
الأسرة والمجتمع
دراسة في علم اجتماع الأسرة
دكتور
حسين عبد الحميد أحمد رشوان
دكتوراه فى علم الاجتماع
كبير مدرسى علم الاجتماع بدرجة مدير عام
استاذ بجامعة الاسكندرية سابقا
استاذ زائر كلية الاداب - جامعة اسيوط
مؤسسة شباب الجامعة
40 ش د / مصطفى مشرفة
تليفاكس :4839496 الاسكندرية
Email:shabab_elgamaa@yahoo.com

الأســـرة والمجتمــع

دراسة في علم اجتماع الأسرة

دكتور

حسين عبد الحميد أحمد رشوان

دكتوراه في علم الاجتماع
كبير مدرسى علم الاجتماع بدرجة مدير عام
استاذ بجامعة الإسكندرية سابقاً
استاذ زائر كلية الآداب – جامعة اسيوط

٢٠١٢

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ شارع الدكتور مصطفي مشرفة
إسكندرية – تليفاكس : ٤٨٣٩٤٩٦
Email:Shabab_Elgamaa@yahoo.com

لقطات

إهداء

إلى روح زميلى وأستاذى المرحوم الأستاذ الدكتور / قبارى محمد إسماعيل رحمه الله عليه . فهذا الكتاب ثمرة من ثمرات علمه الغزير . وكانت كتبه الخمسة المبينة فى صفحات المراجع وتدور حول العلاقة بين علم الاجتماع والفلسفة أكبر عون لى فى اخراج هذا الكتاب .

إهداء وشكر وتقدير

وأهدى هذا الكتاب ، وأقدم خالص شكرى وتقديرى للسيد الأستاذ الدكتور/ اسماعيل سراج الدين رئيس مكتبة الإسكندرية ، وكذلك الأستاذة الدكتورة / سهير فهمى وسطاوى رئيس قطاع المكتبات ، والسادة المسئولين عن موقع مكتبة الإسكندرية على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) لإدراجهم قائمة كتبى بها وهو :

www.Bibalex.org

وأعبر عن تقديرى وشكرى للمسئولين عن مواقع الإنترنت المذكورة لنفس السبب وهى :

٢- جامعة لاجوت	universite de laguat
٣- مكتبة جامعة الملك سعود	ksu.edu.sa
٤- مكتبة جامعة الملك فهد الوطنية	www.kfnl.gov.sa
٥- جامعة أم القرى	www.uqu.edu.sa
٦- شبكة سعوديون الإخبارية	www.saudiyoon.com
٧- جامعة النجاح الوطنية – نابلس	www.najah.edu
٨- الجامعة الأردنية	www.ju.edu.jo

٩ الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب - الكويت	www.paaet.edu.kw
١٠- جامعة البحرين	www.uob.edu.bh
١١- مكتبة كلية الشرطة بالإمارات	www.policecollege.ac.ae
١٢- جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا	www.sustech.edu
١٣- جامعة المسيلة - الجزائر	www.univ-msila.dz
١٤- جامعة ٨ مايو ١٩٤٥ الجزائرية - قالمة	www.univ-guelma.dz
١٥- شبكة الإعلام العربية - محيط	www.moheet.com
١٦- شبكة كتاب العرب	www.university.arabsbook.com
١٧- مكتبة جامعة بيرزيت	http://home.birzeit.edu/cds/arabic
١٨- مجلة علوم إنسانية	www.ulum.nl
١٩- اجتماعى	www.ejtemay.com
٢٠- د. محمد جاسم - مقال فى منتدى الحصن النفسى	www.bafree.net
٢١- شبكة النبأ المعلوماتية	www.annabaa.org
٢٢- نيل وفرات. كوم	www.neelwafurat.com
٢٣- موسوعة دهشة	www.dahsha.com
٢٤- مكتبات جامعة البعث (مكتبة كلية التربية الثانية).	www.albaath-univ-edu.sy
٢٥- كتب مؤسسة شباب الجامعة	library.bethlehem.edu
٢٦- مكتبة المصطفى الألكترونية	www.al-mostafa.com
٢٧- ملتقى أهل الحديث	www.ahlalhdeeth.com
٢٨- بوابة الأفق للمعلومات	http://libranet.paaet.edu.kw
٢٩- دروب	www.droob.com

٣٠- فيكوس www.veecos.net

٣١- اجتماعى - قضايا الثقافة والشخصية www.ejtemay.com

٣٢- النادى الألكترونى التطوعى لذوى الإحتياجات الخاصة www.d52n.com

٣٣- منتدى ستار تايمز www.startimes2.com

٣٤- اليمامة نت www.elyamama.net

٣٥- مكتبات وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع lihbrariesgov.ae/Arabic

٣٦- مكتبة الشروق www.shorok.com

وقد وصفنى بعض المواقع بأننى أكثر شعبية

وشكراً

للسادة المسئولين عن برنامج كتاب اليوم - بالقناة الخامسة - تليفزيون الإسكندرية، وعرضهم ثلاثة من كتبى على القناة، وهى:

١ - الطفل

٢ - الذكاء

٣ - علم الإجتماع النفسى

الفهرس

- المقدمة -

يلقى هذا الكتاب الضوء على الأسرة وعلاقتها بالمجتمع. ومن ثم فهو دراسة فى علم اجتماع الأسرة، ذلك أن العلاقة بين الجنسين : الذكر والأنثى ليست علاقة جنسية فردية أو بيولوجية فحسب، وإنما هى إلى جوار ذلك خلقية أو جماعية .. والزواج هو الوسيلة التى اتخذتها الجماعات لتنظيم هذه العلاقة.

وقد استند المؤلف فى تأليف هذا الكتاب إلى مائة وثلاثة وعشرين مرجعاً. منها اربع وثمانون مرجعا عربيا. كان أبرزها كتاب د. مصطفى الخشاب. علم الاجتماع العائلى. القاهرة. لجنة البيان العربى، ١٩٦٦. واستعان كذلك بجريدة واحدة هى جريدة العروبة، العدد ٣٢٩، بتاريخ ١٩٩٩/١٠/٢٧. ولجأ كذلك إلى خمسة كتب أجنبية مترجمة كان أبرزها كتاب رينيه موينيه. المدخل فى علم الاجتماع ترجمة د. السيد محمد بدوى. الاسكندرية، دار نشر الثقافة، ١٩٥٣. واستند الكاتب كذلك إلى ثلاثة وعشرين مرجعاً أجنبيا نذكر منها Stephen Bahr, Family Interaction, Mc Millan Publishing Company. New York. 1989.

وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب، وستة عشر فصلا. يتناول الباب الأول الزواج والأسرة. ويحمل الفصل الأول عنوانا هو :« الزواج والأسرة». وفيه فرق الفصل بين الرجل والمرأة، وبين أن الناس يتزوجون لعديد من الأسباب مجتمعة أو لسبب واحد أو أكثر، والوسائل التى يتم بها الزواج، وبين كذلك طبقات المحارم. ثم عرف الفصل الأسرة.

وأشار الفصل الثانى إلى خصائص الأسرة وأشكالها، حيث تتميز الأسرة بأنها أول خلية فى المجتمع، وبالعمومية، وبأنها ارتباط جنسى، وذات حجم محدود، وقد تتعرض للتصدع والانهيار، كما تتضاءل اللهفة والقلق على الأطفال

كثيرا فى الأسرة الكبيرة إذا قورنت بالأسر الصغيرة، ويختلف إحساس نظرة الأطفال فى الأسرة الصغيرة والكبيرة من حيث مصادر الأمن، كما تختلف من حيث مشاكل العلاقات . وتقوم الأسر على قواعد تنظيمية يقرها المجتمع.

وتوفر الأسرة لأعضائها الأساس العاطفى، وتمارس قواعد الضبط الاجتماعى، وتضفى على أعضائها خصائصها وطبيعتها، وتؤثر تتأثر بغيرها من النظم الاجتماعية فى المجتمع. وهى وحدة اقتصادية، وذات طبيعة مزدوجة، ودائمة ومؤقته، ويعيش أعضاؤها تحت سقف واحد، وتشتمل على عدد من العلاقات الاجتماعية المعقدة.

وتتخذ الأسرة أشكالا عديدة، فمنها الأسرة النووية، والأسرة الممتدة. وهناك الزواج التعددى، والزواج الجمعى، والزواج الداخلى والخارجى.

ويلقى الفصل الثالث الضوء على وظائف الأسرة، وهى : الوظيفة الجنسية، ووظيفة الانجاب والتكاثر، والوظيفة التربوية، ووظائف نفسية وعاطفية، والوظيفة الاقتصادية.

ويلمح الفصل الرابع إلى تطور الاسرة ومراحل تكوينها من أموية إلى أبوية. ومازالت الأسرة الريفية تحتفظ ببعض رواسب النظام القديم. وفى العصور الحديثة يرتكز محور القرابة على الأب والأم معا. كما تطورت وظائف الأسرة من المجتمعات التوتمية، والتى كانت وظائفها واسعة إلى الضيق ثم الأضيق. كما تطورت الحياة الاجتماعية فى محيط الأسرة، وتغيرت العائلة كذلك فى المجتمع العربى.

وتطرق الفصل إلى مراحل تكوين الأسرة، حيث جعلت التقاليد الرجل يكون هو البادئ صراحة بالتودد إلى المرأة والتى تنتهى بالزواج. ويتحكم فى معايير اختيار الزوج والزوجة مبدأ التكافؤ. ويظهر كذلك مبدأ التكافؤ الاجتماعى،

والتقارب المكانى والأسلوب الوالدى فى الاختيار، والتواعد والتلاقى، والحب. وتدرج الفصل إلى مرحلة الخطوبة، ومرحلة التعاقد، ومرحلة الانجاب، والأسرة بعد كبر الأبناء، ثم إنهاء الحياة الزوجية بالترمل.

وألمح الفصل الخامس إلى مشكلات الأسرة، وهى مشكلات نفسية، وجسمية، وعدم التوافق الجنسى، والتفكك الأسرى، الطلاق، والمشاكل الاقتصادية، ومشكلة الإسكان.

ويعنون الباب الثانى بـ علم اجتماع الأسرة. وأشار الفضل السادس إلى بعلم اجتماع الأسرة، ذلك أن الأسرة هى أول خلية فى المجتمع، وهى جماعة اجتماعية، وهى الوحدة الأساسية فى التنظيم الاجتماعى، وهى مؤسسة من المؤسسات الاجتماعية، وتقوم على مصطلحات يقرها المجتمع. وهى نظام اجتماعى، وتنقل التراث الاجتماعى من جيل إلى جيل.

والأسرة وحدة اقتصادية، وترتبط بالنظام السياسى، وبالنسق القيمى، وبالنظام الدينى. وتنطبق خصائص الظاهرة الاجتماعية على الأسرة، وبالتالى فهى ظاهرة اجتماعية، ومن اختصاص علم الاجتماع، بل هى علم الاجتماع ذاته. ومن هنا صدر علم اجتماع الأسرة، أو علم الاجتماع العائلى. وهو علم يبحث فى مدى التأثير المتبادل بين عناصر أو أجزاء الأسرة، وفى ارتباط ظاهرة الأسرة بالظواهر الاجتماعية، وبالمشاكل الأسرية، والعوامل الاجتماعية التى تؤدى إلى هذه المشاكل.

ويتناول الفصل السابع اتجاهات دراسة الأسرة. فقد عبر الفلاسفة والحكماء عن وجهات نظرهم وآرائهم الخاصة فى المسائل المتعلقة بالحياة الأسرية وظهر هذا فى كتابات حكماء مصر القديمة، وفلاسفة الهند القديمة، وفى كتابات كونفشيوس الحكيم الصينى القديم؛ وفى كتابات فلاسفة اليونان القديمة. (أفلاطون، وأرسطو)، وعند مفكرى الرومان (جايوس).

ومن القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين ظهر الاتجاه الوضعى على يد عالم الاجتماع الفرنسى أوجست كونت ، والاتجاه التطورى على يد هربرت سبنسر من المدرسة الانجليزية، ومن المدرسة الامريكية ظهرت نزعة الحب على يد لستر وارد.

ويحمل الباب الثالث عنوانا «الأسرة والمجتمع» . وتناول الفصل الثامن الأسرة والعمليات الاجتماعية، مثل التعاون حيث يتعاون أعضاء الأسرة فى العديد من المجالات. والتنافس والصراع حيث شارك النساء الرجال فى نفس المهن؛ مما أدى إلى زيادة التنافس والصراع فيما بينهما. كما ظهر الصراع نتيجة تعارض الأدوار. وتعرض الفصل كذلك إلى العنف الأسرى، والتنشئة الاجتماعية.

ويلقى الفصل التاسع الضوء على «الأسرة والمعايير الاجتماعية». وعرض الفصل للعادات والعرف والتقاليد، مبينا أن الاحتفال بأعياد الميلادو الزواج تعتبر عادة، أما الاحتفال بميلاد نبى أو زعيم فيعتبر تقليدا. وطرق الفصل موضوع المركز والدور.

وأشار الفصل العاشر إلى «الأسرة والدين». فقد كان الدين قديما هو دين الأسرة، ثم تطور فأصبح دين القبيلة، والمدينة. وفى مجتمعات ما قبل الصناعة ارتبطت القرابة برابطة روحية وليست فسيولوجية. وكانت القرابة فى روما تنبعث عن الدين. وقد اهتمت التوارة بشئون الأسرة، ونظمت لبنى أسرائيل قواعدها. والزواج فى المسيحية علاقة مقدسة رفعه المسيح إلى مرتبة السر الإلهى وعند عرب الجاهلية وصلت المرأة إلى مكانة من المهادنة. وكانت القرابة عندهم قائمة على الإدعاء لا على رابطة الدم. فكان الولد لا يلحق بأبيه إلا إذا رضى الأب أن يلحق به. وكانت القبائل العربية تتركز السلطة فيها فى يد شيخ القبيلة الذى يتسم بالروحية والمعنوية.

وتفيد نصوص القرآن الكريم أن الزوجية «الازدواج»، لا الفردية هى أساس طبيعة المخلوقات فى الكون. واهتمت الشريعة الإسلامية بنظام الأسرة، وألفت وراثة الرجل للنساء. وحث الإسلام على الزواج، واعتبره بعض الفقهاء فرضا. ومن أهداف الزواج فى الإسلام إنجاب الأولاد. وقد حارب الاسلام قتلهم، ووأد البنات خشية الإملاق.

ورفع الإسلام مكانة المرأة، واحتفظ للرجل بالقوامة عليها. ونظم شئون الميراث. وأقر الإسلام نظام تعدد الزوجات، ولكن بشروط وشرع الطلاق، والخلع . وطرق الفصل مراحل تكوين الأسرة فى الإسلام.

وعرض الفصل الحادى عشر «للأسرة والتربية»، فالتربية من أهم وظائف الأسرة. والأسرة توفر العناصر الضرورية للحرص على مقومات الطفولة، وتوفير الأمن للطفل، واستقراره المنزلى، والعمل على معالجة حالات التوتر فى محيط الأسرة وانقاذها من عوامل التفكك والإنهيار.

هذا ومدارس اليوم ذات أهمية كبرى للحكومة الديموقراطية. وثبت وجود ارتباط بين التعليم وسن الزواج. كما يرتبط التعليم بارتفاع وانخفاض معدل الطلاق.

وألمح الفصل الثانى عشر إلى «الأسرة والصحة». فلصحة الأسرة دور هام فى سلامة الأفراد ورفاهيتهم . كذلك فإن البيئة التى تعيش فيها الأسرة تعكس أثرها الطيب الحسن على نشأة الإنسان وتكوينه، والعكس بالعكس. هذا ويشترط فى المسكن الذى يأوى فيه الإنسان مع أسرته أن يكون صحيا. ومستكملا للشروط الصحية.

والتغذية الصحيحة من أهم العوامل لحفظ الصحة. والمرض المزمن لزوجة له نفس الآثار. وقد تؤدى بعض الأمراض إلى العقم؛ مما يؤثر فى العلاقات

الأسرية. كما أن بعض الأمراض قد تصيب الجهاز العصبي، مما ينشأ عنه الأزمات في الأسرة. وتؤثر بعض الأمراض على القدرة الجنسية للزوج أو الزوجة.

وتؤثر العاهات الجسمية تأثيراً سيئا على العلاقات الزوجية. كذلك فإن الأمراض التناسلية تعد خطر على الأبناء لاحتمال إصابتهم بالتلوث الوراثى، وتدمير للحياة الجنسية بين الزوجين للرعب من العدوى.

وبين الفصل الثالث عشر العلاقة بين الأسرة ووقت الفراغ، إذ تمد الأسرة أعضاءها بوقت الفراغ. فالتكنولوجيا الحديثة اختصرت الوقت الذى تخصصه الأمهات للأسرة. كذلك فإن الأسرة هى الاطار التى من خلاله يشارك أعضاءها فى الأعياد والمناسبات الهامة كالولادة والزواج وحالات الوفاة.

ويعتبر الترويح المنزلى عن طريق إدخال التليفزيون أحد الوسائل التى يستخدمها أعضاء الأسرة لقضاء وقت الفراغ. ويمكن للآباء أن يشاركوا فى الترويح المدرسى. كما قامت الدول بإنشاء مراكز الشباب الاندية الترويحية، ويمكن للآباء أن يشاركوا فيها. كما يمكن للأسرات تمارس انشطتها الترفيهية من خلال النقابات. كما أقامت الدول بيوت الشباب وهى مساكن تصلح لإقامة المسافرين نظير اشتراك زهيد.

وأوضح الفصل الرابع عشر العلاقة بين الأسرة والاقتصاد، فقد أدى التفوق الجسمى للرجل على المرأة إلى تقسيم العمل بينهما. وقد ربط العالم الأمريكى لويس هنرى مورجان بين التغيرات التى تعترى أنماط الحياة الاقتصادية بتلك التى تطرأ على أشكال الأسرة ونظم الزواج. وكتب كارل ماركس فى تأثير الصناعة على الأسرة فى المراحل الأولى للنمو الصناعى الرأسمالى. وناقش أصحاب الاتجاه الوظيفى العلاقة بين التصنيع وتقلص الأسرة بنائيا ووظيفياً. ومع حدوث التغيرات الاقتصادية، وظهور الميكنة الصناعية، أصبحت الأسرة استهلاكية.

هذا وقد اتخذت كثير من المنظمات العالمية إجراءات للحصول على أجر للنساء مساو لأجر الرجال الذين يعملون في أعمال متشابهة؛ مما أدى إلى المساواة في مجال اتخاذ القرارات. ولا شك أن هناك علاقة بين طبيعة المسكن وبين متوسط الدخل.

وفي الفصل الخامس عشر تناول الكاتب العلاقة بين الأسرة والسياسة. فللأسرة دور كبير في السلطة، وقيام الدول، وتشكيل النسق السياسي. والولاء الذي تتطلبه الدول تقوم الأسرة بتلقينه لأبنائها. ومازلنا حتى اليوم نشاهد المرشحين الناجحين في الانتخابات الديموقراطية في الدول الحديثة يرثون عن آبائهم قوى سياسية تساعدهم على النجاح.

وتذعن الأسرة للقرارات التي يفرضها النظام السياسي، فالشرطة ليس لديها في نهاية الأمر لتقديم المنحرفين سوى استخدام القوة. وقد تتسم الأسرة بالدكتاتورية والتسلط، أو بالحرية والديموقراطية فتسمح لأبنائها بمناقشتهم.

وألقى الفصل السادس عشر الضوء على العلاقة بين الأسرة والطبقة الاجتماعية. حيث تبدو الاختلافات بين أسر الطبقات العليا، وأسر الطبقات الدنيا في عملية الاختيار الزواجي. ويزداد الاهتمام برعاية الأطفال بين الأسر التي تنتمي إلى الطبقات العليا في حين نجدها تقل بين غيرهم من أسر الطبقات الدنيا.

دكتور

حسين عبد الحميد أحمد رشوان

الباب الأول

الزواج والأسرة

الفصل الأول
الزواج والأسرة

الأسرة هى أحد مقومات الوجود الاجتماعى فى المجتمع الإنسانى، ولذلك فهى نظام اجتماعى عالمى. فقد أوجد الله سبحانه وتعالى فى الإنسان ضرورة وجود الأسرة بصفة فطرية. ويتحقق ذلك عن طريق الزواج لكائنين لا غنى لأحدهما عن الآخر، وهما الرجل والمرأة.

الزواج :

تنقسم الكائنات الحية جميعها إلى ذكر وأنثى. ويشترك كل من الإنسان والحيوان فى الغريزة الجنسية، إلا أن الإنسان يميز بين العلاقات الجنسية المسموح بها والعلاقات المحرمة أو الممنوعة.

ومعنى هذا أن الجماعات الإنسانية لا تعتبر العلاقة بين الجنسين فردية أو بيولوجية، وإنما تعتبرها إلى جوار ذلك خلقية أو جماعية، وما الزواج إلا وسيلة اتخذتها الجماعات لتنظيم هذه العلاقة، ومن الواضح أن إشباع الغريزة عند الإنسان لا تختلف كثيراً عنه عند باقى الحيوانات، ولكنه لا ينتهى عند الحيوانات بشكل أسرة بمعناها الواضح، كما هو الحال عند الإنسان وذلك لأن رغبة الإنسان لإشباع غريزته دائمة، ولأن فترة الطفولة عند نسله طويلة. هذا ولا يعرف النشاط الجنسى الدائم عند الإنسان حاجزاً مناخياً أو فصلياً، وكذلك تطول مدة الطفولة عنده، مما يساعد على حياة الأسرة[1].

وهنا يشترك الزواج والتزاوج فى إشباع الغريزة الجنسية، إلا أنهما يختلفان فى أن التزاوج وهو العلاقة الجنسية بين الحيوانات تكاد تكون مؤقتة، وعابرة. وهى لا تفرض عادة أية التزامات أو مسئوليات على الأطراف الداخلة فيه. وعلى ذلك فمفهوم التزاوج مفهوم بيولوجى.

1- See Edward Westermarck, the History of Human Marriage (London, 1921).

وانظر د. عبد الحميد لطفى «علم الاجتماع» ص ٩٩.

أما الزواج، فهو مقصور على البشر. وهو نظام اجتماعى يتصف بالاستمرار والامتثال للمعايير الاجتماعية. ويعيش الزوجان فى حياة واحدة يقرها ويقبلها أفراد المجتمع. وتستند الحياة على الود المتبادل الذى يستمر على مدى الحياة. ويتوقع المجتمع من الزوجين أن يتعاونا معاً، و يتعاونا مع بعض الأقارب الآخرين، لتسيير دفة الأمور فى الأسرة. كما يتوقع منهما أن ينجبا أطفالاً. وبمجرد أن يولد الأطفال يجب أن يعترف الآباء ببنوتهم، وأن يتكفلا بهم وبتربيتهم[١].

ويختلف الزواج عند البشر من قبيلة إلى أخرى، ومن شعب إلى آخر فى الدوام وفى الخصائص، وفى الدوافع، وفى الالتزامات. وهو الوسيلة التى يعهد بها المجتمع لتنظيم المسائل الجنسية[٢].

وتتبدى فروق بين الرجل والمرأة نوجزها فى الآتى :-

١- يختلف الذكور عن الإناث فى الحجم فالرجال أضخم وأعرض من النساء. حقيقة قد يوجد نساء أضخم وأطول وأثقل وزناً من الرجال، ولكن الحقيقة الثابتة أن الرجال أضخم وأعرض من النساء.

٢- يختلف الهيكل العظمى بين الرجال والنساء. فالهيكل العظمى للرجال أثقل وزناً، وفى نفس الوقت تختلف النسب القائمة بين مكونات أجزاء جسمه بالمقارنة بجسم المرأة، فالمنطقة التى توجد فيها العضلات عند الرجل تكون أكثر خشونة. ولهذا السبب يكون فى مقدورها التكيف مع عضلات أضخم. وحوض (Polvis) المرأة أوسع من حوض الرجل كما أن ساقيها يأخذان شكل ٧ بينما يكون ساقا الرجل متوازيان تقريباً، كما أن اتساع الحوض عند المرأة وشكل ساقيها يجعلها أكثر استعداداً للحمل أكثر مما لو كان هيكلها العظمى مشابهاً للرجل.

٣- ومن ناحية أخرى نجد أن الرجال أكثر ولعاً بالقتال والخصام من النساء،

1- See Ralph L. Beals & Harry Hoijer, An Introduction to Anthropology, PP. 381-405.

وانظر د. عبد الله الخريجى . علم اجتماع العائلة. ص ٣٠١.

٢- انظر د. عبد الخالق محمد عفيفي . الأسرة والطفولة . النظرية والتطبيق. ص ٨٠.

وهم ليسوا أكثر ميلاً للقتال فقط بل هم أكثر ميلاً للاستمتاع به. وهم يعبرون عن روح المشاكسة هذه في ممارسة أنواع الرياضة العنيفة وفي العمل والحرب وبطرق عديدة أخرى. ويقال أن النساء أكثر تكيفاً من الرجال مع المواقف الجديدة، كما أنهن أقل ميلاً للمشاركة في الأعمال الإجرامية أو تشكيل العصابات. وعموماً ينظر الرجال إلى النساء على أنهن «تافهات» وتنظر النساء إلى الرجال على أنهم «مغرورون».

وربما يكون للرجال والنساء نفس الدرجة من الغرور إلا أنهم يختلفون في طريقة إظهارها. فالرجال يميلون إلى رفع أصواتهم عالياً والضرب على صدورهم عندما يتكلون والمشي في خيلاء وتعالٍ. بينما تكون النساء أقل صخباً في إظهار غرورهن واحترامهن الزائد لذواتهن. فهن عادة أكثر خبثاً ومكراً وأكثر مخادعة في أساليب وصولهن إلى أهدافهن. إلا أن هذه الأساليب قد تكون مفروضة عليهن وكنوع من المقاومة خلال قرون طويلة من التبعية للرجال الذين كانت لهم خلال التاريخ القوة الغالبة والتي كانت وما تزال الطريقة الفعالة عندهم للوصول إلى غاياتهم.

٤- وفي حالة التودد والمغازلة يميل الرجال إلى القيام بدور المطارد بينما تميل النساء إلى القيام بدور المطاردات، فالنساء يستجبن بإيجابية لمطاردة أو ملاحقة الرجل، بينما يستجيب الرجال بسلبية لمطاردة النساء، بل إن الرجل قد يصاب بالذعر والخوف إذا طاردته امرأة ويشعر تجاهها بالشك والريبة ويصفها بالتهور أو بسوء الخلق، ومن المحتمل أن يكون هذا الفرق نتيجة للعوامل البيولوجية والثقافية معاً.

٥- ولكن هناك مؤشرات عديدة تؤكد أن المرأة في الوقت الحالي فقدت إلى حد كبير تحفظها التقليدي وأصبحت أكثر صراحة وعدوانية في موقفها من الرجال، وبالرغم من هذا التغير الواضح في عدوانية الأنثى تجاه الذكر، فإن الثقافة ما تزال ثابتة لم تتغير من وجهة نظر الفروق بين الذكر والأنثى وخاصة من ناحية الاختيار، فنحن نعلم أن اختيار الذكر لشريكته مسألة تقليدية تقوم على الاختيار المباشر والإيجابي من ناحيته، بينما يقوم اختيار الأنثى على الموافقة والاختيار غير الظاهر. فليس لها نفس الحرية التي له في أن تقرر من تختار، فهي تنتظر حتى يقوم هو بالتمهيد، وفي هذه المرحلة تحاول هي شد انتباهه، وأن تكون جذابة بالنسبة له. وهذا

الموقف المتمايز يقوم على الفرض التقليدى بأن الذكر هو الذى يسأل الأنثى أن تتزوجه، والعكس أصبح شائعاً إلى حد ما فى بعض المجتمعات فى الوقت الحالى فقط، ولكنه لم يحظ بالموافقة عليه عالمياً بعد.

٦- وعادة ما يقال أن النساء أكثر عاطفية بينما الرجال أكثر موضوعية ومنطقية إذ يعتمد الرجال على التفكير فى مواجهة المشاكل ولكن النساء يعتمدن على الحواس. وهذا الرأى مردود عليه، فإذا استعرضنا بعض الانجازات العقلية للمرأة المعاصرة فى مقابل بعض الأخطاء الفادحة وأساليب التعبير المتخلفة للرجل المعاصر فإن هذا يؤدى إلى الشك فى وجود اختلاف فى السلوك العاطفى والعقلى بين الجنسين. والفرق بين الجنسين ليس فى أن الرجال يتعقلون أو يفكرون Reason، أى يعتمدون على التفكير، وأن النساء يشعرن Feel أى يعتمدن على الشعور والعواطف، وإنما يرجع أساساً إلى نمط إظهار العواطف الذى يتميز به كل منهما إلى جانب درجة الحرية فى التعبير عن الرأى المتاحة لكل منهما عبر التاريخ. فمن المألوف عند بلوغ سن المراهقة وتجاوزها أن تصبح «الأنوثة» صفة ينبغى على الفتيات أن يتحلين بها، بغض النظر عن النجاح الذى حققته فى التعليم، فإذا حاولت الفتاة مثلاً أن تنمى فى نفسها صفات أخرى مثل الاستقلال أو المنافسة نظر إليها المجتمع نظرته إلى الخطر الذى يهدد العلاقات الطبيعية بين الجنسين، وبالتالى يتم قمعها. ولا تتوقف عملية صب الفتاة فى القالب الاجتماعى عند هذا الحد، فبعد إرغامها على الكف عن منافسة الرجال فى المجال العقلى من أجل أن تصبح أكثر جاذبية وأكثر أنوثة، فإن المجتمع يقدم لها البديل، وهو أن تتسامى تطلعاتها ومطامحها وتتجه إلى الأمومة وحب زوجها. وهكذا تتركز جميع رغباتها ومطامحها فى إنجاح حياتها الزوجية، وفى منجزات زوجها، وفى رعاية أطفالها، وهذا يفسر إلى حد ما، ما سجله «تيرمان» من أن تكريس النساء لطاقتهن فى الأعمال المنزلية يحرم الفنون والعلوم من جانب كبير من العبقرية الإنسانية . ومع ذلك فبعض النساء ممن يتمتعن بمواهب عالية أو متوسطة لا يتقاعسن بالضرورة عن مزاولة النشاط الخلاق، ولكنهن يواجهن صراعاً فى أنفسهن بين مزاولة المهنة والاشباع الذى يولده إتقانها والإبداع فيها وبين الحاجة الاجتماعية والنفسية للتكيف مع القالب الأنثوى التقليدى.

٧- إن حاجة المرأة لتأكيد شخصيتها من خلال الرجل، تجعلها تعمل على إخضاع روحها العدوانية وتوجيهها نحو بنات جنسها، والروح العدوانية عند المرأة تختلف عن الروح العدوانية عند الرجل والتى تتجه نحو نشاطه المهنى؛ذلك لأن عدوانية المرأة مقنّعة غير مكشوفة، وتتخذ أشكال الغدر والخيانة والغيرة وانعدام الثقة التى تزحف وتدب فى علاقتها النسائية وتسبب لها كثيراً من القلق والتوتر، وإذا عثرت المرأة على الرجل المثالى يمكن من خلاله أن تكتسب لنفسها قيمة أكبر، فإن جميع النساء الأخريات يصبحن فى هذه الحالة أعداء لها، لأنها إذا فقدت رجلها لواحدة منهن، فقدت كل ذاتها.

٨- ويتمتع الرجال بحرية أكبر من النساء، فالرجال لهم حرية واسعة فى ممارسة الأنشطة المختلفة، كما أنهم أقل تعرضاً للنقد والتوجيه. وهم يتحركون بحرية أكبر. كما أنهم فى بعض الأحيان أكثر حرية فى تحديد سلوكهم الخاص، ومع ذلك، فالرجال فى بعض الأحيان يكونون أقل حرية من النساء كما تقول «باردويك Bardwick» حيث تكون هناك بعض مستويات للرجولة يلتزم بها الرجال، ومثال ذلك أن النساء أكثر حرية فى التعبير عن عواطفهن وأحاسيسهن مثل الخوف، والشفقة والحزن، والعواطف نحو أشخاص من نفس الجنس. والرجال قد يشعرون بالرغبة فى الصراخ ولكنهم لايفعلون لأن من يفعل ذلك من الرجال يعتبر جباناً أو مخنثاً (Sissy). ومن الممكن أن يصعق الرجل خوفاً ولكنه يجب أن يتماسك وألا يظهر هذا الخوف على ملامحه حتى لايوضع فى قائمة الجبناء. ولعل ذلك يرجع إلى أن الرجال يخضعون لبعض المبادئ التقليدية ألتى تحتم عليهم الالتزام بمبادئ الفروسية والتى تقود سلوكهم فى اتجاه معين، وتبعاً لهذه المبادئ يكون لزاماً على الرجل أن ينحنى للمرأة ويجاملها ويحميها ويساعدها، بينما لا توجد مثل هذه المبادئ أو القوانين التقليدية بالنسبة للمرأة.

٩- وهناك ناحية أخرى تنتقص من حرية الرجال وتتمثل فى أنهم ليست لهم حرية الاختيار فى أن يصبحوا المعِيلين لأسرهم، بينما يكون فى إمكان المرأة أن تعمل أو لا تعمل بعد الزواج تبعاً لاختيارها ورغبتها وفى بعض الأحيان يكون هذا الاختيار مفروضاً عليها ولكن ليس بنفس الدرجة التى يفرض بها على الرجل. فأعمال الرجال

ترضى ميولهم وتحقق ذواتهم ولكنها من ناحية أخرى تكون نتيجة للضغوط التى يفرضها نمط الثقافة التقليدى عليهم. فالرجل يجب أن يعمل حتى يثبت أنه رجل حقيقى (Realman) أما المرأة فيمكنها أن تكون امرأة حقيقية (Realwoman) دون أن تكسب قرشاً واحداً.

١٠- غالباً ما يلوح الرجل العادى بيديه قائلاً : إنها مجرد إمرأة (She's only a woman) ولكنه لا يعرف ماذا يمكن أن تفعل المرأة إزاء هذا القول. وهو يعتقد أنها إلى حد ما أدنى منزلة منه وأنها لا تستحق أن يبذل أى جهد لفهمها وربما أنها لا تستحق الفهم. أما المرأة فقد أجبرت خلال قرون طويلة من الخضوع والتبعية على فهم وإجابة طلبات الرجال ولكنها إذا لم تستطع السيطرة على الرجال بأساليب مباشرة مثل تلك التى يمارسها الرجال على النساء، فهى قادرة على ممارسة تأثير له قيمته، وغالباً دون أن يشعر الرجال بذلك. لأنها تعلمت أن تفهم الرجال، على الأقل من بعض النواحى، وبالتالى تستطيع إلى درجة معينة التنبؤ بسلوكهم، ومن ثم فإنها تدبر التكتيك والتنظيم الملائم لمواجهة وردع هذا السلوك ولكن بأساليب النساء الخاصة. ومما لاشك فيه أن أى جماعة مقهورة سوف تتخذ لنفسها صوراً معينة للمقاومة تكون واعية بها بدرجة أو بأخرى، وتتدرج من التكتيك البسيط الذى يمتد عبر الأجيال إلى الهجوم المضاد. وقد أطلق البعض على هذه الصور من المقاومة التى اتخذتها المرأة «الاستراتيجيات النسائية». وقد كانت أول استراتيجية للمرأة هى محاولة التوافق دون مقاومة مع النمط «الأنثوى» المفروض عليها. كأن تهدئ من روع الشك فى نفوس الأزواج، وتعمل على طمأنينتهم ، وأن تحاول أن تعيش بقدر الإمكان من المزايا القليلة المتاحة، وهكذا كانت الزوجة تنضوى فى كنف الأسرة، وتحاول إنتهاز الفرصة المواتية لممارسة السلطة، وتستفيد بأكبر قدر ممكن من معرفتها بالعلاقات البشرية. وتستخدم أنوثتها خير استخدامٓ لتطويعَ مولاها وسيدها وإشباع طموحها من خلاله. أما الاستراتيجية المقابلة فهى التوحد قدر المستطاع مع الرجل. وهذه إحدى استراتيجيات الحركة النسائية التقليدية التى تستهدف إثبات أن المرأة قادرة على كل أعمال الرجل بمثل كفاءته سواء بسواء.

١١- والدافع الجنسي (Sex Drive) يفرق بين الرجال والنساء. ويمكن القول بأن الدافع الجنسي عند الرجل يكون أكثر الحاحاً عنه في المرأة. ويمكن للدافع الجنسي عند المرأة أن يكون قوياً مثل الرجل عندما تكون الظروف مناسبة. إلا أن الدافع الجنسي عندها لاتكون له الأولوية كما هي الحال عند الرجل، فالرجال أكثر رضوخا للدافع الجنسي، ولهذا فإن الإهتمام بالجنس ظاهر على الدوام تقريباً.

أما اهتمام المرأة بالجنس فهو أقل إلحاحاً، كما أنه قد يكون دورياً إلى حد ما، ومعنى ذلك أن النساء أكثر مقدرة على كبح وكبت دوافعهن الجنسية. وعموماً، تستطيع النساء أن يعشن حياتهن كلها دون ممارسة الجنس أكثر مما يستطيع الرجال. وجدير بالذكر أن الرجال يفرقون بين الجنس والحب بينما تربط النساء بينهما. ويعتبر هذا واحداً من أهم الفروق بين الجنسين. وهذا يعني أن الرجال والنساء ينظرون إلى السلوك الجنسي من وجهات نظر مختلفة واتجاهات متباينة تماماً.

١٢- وعند البلوغ (Puberty) تبدأ الأعضاء التناسلية في العمل عند المراهقين بطريقة تشبه البالغين، وخلال هذه الفترة تحدث أيضاً تغيرات ثانوية فصوت الولد يتغير، ويكبر حجم عضلاته، ويتسع صدره ويظهر الشعر في أجزاء متفرقة من جسمه، أما الفتاة فإن ثدييها ينموان، وتصبح زوايا جسمها أكثر استدارة نتيجة لترسب الدهون وينمو الشعر أيضاً في مناطق معينة من الجسم، ويتسع حوضها.

١٣- إن الطفل بالإضافة إلى التوافق مع التغيرات العضوية التي تحدث في سن البلوغ، يجب أن يتوافق مع التغيرات العاطفية ويتعلم أن يتعايش مع الاتجاهات الجديدة والتجارب الجديدة التي تنمو معه. ومن الجدير بالذكر أن البنات يبلغن «قبل الأولاد» وفي فترات معينة من العمر تكون البنات أنضج وأطول من الأولاد في نفس العمر. وفي سن البلوغ يواجه الجنسان تشعباً في طريق النمو، وهذه هي نقطة الافتراق المسببة عن الاختلافات التي أشرنا إليها في الاتجاه والنظرة إلى الجنس. فالتغيرات التي تحدث في تلك الفترة تحدد بصورة قاطعة التمايز بين الجنسين، مما يؤدي إلى زيادة درجة الجاذبية بينهما، إلا أن هذا التمايز تظهر بوادره قبل البلوغ ليس فقط من خلال التشريح بل أيضاً من خلال الأسماء ونوع الملابس وألوانها، وجماعات النظراء والمعاملة المتمايزة والتوقعات.

١٤- يتلقن الصبى «رجولته» منذ بداية حياته، أما البنت فتتلقن «أنوثتها» عندما تبلغ سن المراهقة. وجوهر أنوثتها يتجلى فى تبعيتها للغير باعتبارها من الصفات الطبيعية لها. والنتيجة التى تترتب على ذلك أن الفتاة تبدأ حياتها متخلفة عن الولد بكثير فى تنمية استقلالها والعثور على «شخصيتها» وإذا حاولت أن تفعل ذلك قبل الأوان فسوف يكبح جماحها بدون شك(١).

ويوجد معياران لتعريف العلاقة بين الرجل والمرأة، والتى تؤدى إلى تكوين زيجة، وهما :-

١- الشرعية .

٢- نية الاستمرار فى العلاقات الزوجية.

ومن الواضح من هذين المعيارين أن الأول محدد وجامد لايسمح بأى قدر من الاجتهاد أو الاختلاف. فشرط الشرعية لابد أن يراعى بدقة - سواء كانت الشرعية مستلهمة من تشريع سماوى، أو كانت من تحديد القانون الوضعى. وبتطبيقها على الموقف يتحدد على الفور شرعية العلاقة أو عدم شرعيتها، هذا المعيار موضوع أصلاً لاستبعاد حالات الزواج اللاشرعية. فهو لا يحدد الدوافع التى تدفع رجلاً معيناً وامرأة معينة إلى الاقتران ببعضهما. وإنما يتطلب تطبيقه وجود مشروع زواج شبه مكتمل، وتطبق عليه قواعد الشرعية لإجازته من عدمه.

وتبدأ العلاقة المستمرة باشهار هذا الزواج (سواء كان هذا الإشهار رسمياً أو غير رسمى). وتقتضى عملية الإشهار أن تشهد البيئة الاجتماعية لهذين الزوجين، بأنهما قد أصبحا كذلك، سواء كانت تلك البيئة الإجتماعية جماعة قرابية، أو عشيرة أو قبيلة، أو جماعة جوار، أو مجتمعاً محلياً، أو حتى المجتمع الكبير. وقد حدثت تغيرات عديدة فى أسلوب إشهار الزواج نتيجة تغير البناء الاجتماعى للمجتمعات الحديثة فأصبح عقد الزواج فى بعض الأحيان بديلاً عن الإشهار. كما يحدث أحياناً فى زواج الأرامل أو المطلقات، حيث قد يستنكف أحد طرفى العلاقة الزوجية أو كليهما عملية

١- د. سناء الخولى، الأسرة والحياة العائلية . ص ١١-٢٠.

الأشهار. ومع ذلك فلابد من انتشار الخبر حتى ولو على اضيق نطاق اجتماعى متاح.

أما اشتراط نية الاستمرار عند عقد الزواج فلا يعنى استبعاد احتمال إنهاء العلاقة الزوجية (فى حالة عدم الترفيق مثلاً). فهناك إمكانية لإنهاء هذه العلاقة، ولكن النية ليست مبيته على ذلك عند الدخول فى الزواج، وإنما هى من باب الاحتمالات التى تلوح فى الأفق إذا تعذر الاستمرار فى هذه العلاقة. ومن الأمور التى تثير السخط والاستنكار أن يجهر طرفاً العلاقة الزوجية عند بدء هذه العلاقة بنيتهما عدم الاستمرار فيها[1].

ويرى «بومان» أن الناس يتزوجون لعديد من الأسباب مجتمعة أو لسبب واحد أو أكثر، وتتمثل هذه الأسباب فيما يلى [2] :-

١- الحب

٢- الأمان الاقتصادى.

٣- الرغبة فى حياة المنزل.

٤- الأمان العاطفى.

٥- تحقيق رغبة الوالدين.

٦- الهرب من الوحدة.

٧- المشاركة

٨- الهرب من أوضاع غير مرغوب فيها فى منزل الأسرة.

٩- إغراء المال.

١٠- وجود الصحبة والصداقة.

١١- الحماية.

١٢- تحقيق مركز اجتماعى معين.

١٣- المغامرة.

١- علياء شكرى، الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الأسرة. ص ص ١٤٧-١٤٨.

٢- د.سامية حسن الساعاتى، الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى، ص ص ١٤-١٨.

وقد ينجذب رجل وامرأة كل منهما للآخر، لأنهما يشتركان فى حب أشياء معينة والاهتمام بها، مما يجعل علاقتها أكثر ثراء وعمقاً. لكن هذه الاهتمامات المشتركة- رغم أهميتها التى لا تنكر - لا تكفى وحدها لبناء زواج ناجح، وأحياناً ما تختلط بالاهتمام بالشخص الآخر نفسه، فقد يهتم الشريكان بشئ مشترك أكثر من اهتمام كل منهما بالآخر. وأحياناً ما يفشل الشخص فى حبه، ثم يحول عاطفته إلى أخرى، ويشعر نحوها بنفس الشعور الذى كان يشعر به تجاه الأولى، مع أن الثانية تختلف اختلافاً بينا عن حبيبته الأولى. وقد لا يكون ذلك الشخص قد عرف الثانية بما فيه الكفاية كى يقع فى حبها، لكنه يقرر الزواج بها، قبل أن تسنح له الفرصة لاستعادة توازنه الانفعالى.

وهناك بعض زيجات تمليها الضرورة، ذلك عندما يكون هناك طفل غير شرعى، وهذا الزواج المبنى على الضرورة قد يعطى الطفل أباً شرعياً، لكنه لا يستطيع أن يهبه أباً عطوفاً محباً.

وقد تكون معارضة الأبوين للزواج هى الحافز الأول للشاب والشابة على اتمامه، كما أن تلك المعارضة هى التى تجعل كلا منهما يبدو فى عين الآخر أكثر جاذبية، وهما بذلك لا يتزوجان لأنهما يريدان ذلك الزواج حقاً، بل ليؤكدا ذاتيهما، ويثبتا وجودهما.

ويلعب كل من العرف، والقانون، دوراً فى هذا الشأن، فالحياة الاجتماعية قد نظمت بطريقة تجعل من المتوقع أن يتزوج الناس كلهم. وإذا لم يتزوجوا، فإن المجتمع يميل حينئذ إلى التساؤل. لماذا لا يتزوج هؤلاء الناس؟ ثم يبدأ هؤلاء الناس أنفسهم فى الشعور بأنهم مختلفون . وكثيراً ما نرى الفتيات يتزوجن لمجرد أن أخريات فى محيط صديقاتهن قد تزوجن، وهن لا يردن أن يكن آخر من يتزوج. كما أنهن يعتقدن أنه كلما تأخر زواجهن، كان ذلك دليلاً على أنهن أقل جمالاً وجاذبية ممن تزوجن فعلاً. أما القانون فإنه لا يجبر الناس على الزواج، لكنه يفرض عليهم ذلك الزواج، إذا ما أرادا التمتع بحقوق وامتيازات معينة

ويتزوج الإنسان لعديد من الدوافع الداخلية، ويبدأ دافع الإنسان نحو الزواج فى طفولته. وتحس النساء بضغط اجتماعى وعاطفى أكبر من الرجال نحو الزواج. ذلك أن

تربيتهن مرتبط إلى حد كبير بالأسرة. كما أن الزواج يدل على نضجهن، وامتيازهن عن الأخريات ممن لم يتزوجن.

ويختلف مدى شعور الفرد فى سن معينة بالضغوط الاجتماعية عليه لكى يتزوج، باختلاف المجتمع الذى يعيش فيه، ففتاة الجامعة التى تبلغ العشرين، والتى يتبقى لها عامين كى تنتهى من دراستها الجامعية، لا تشعر بضغط اجتماعى عليها كى تتزوج، بل أنه قد تحس ضغط من والديها، ومن أصدقائها بألا تتزوج حتى تنتهى من دراستها، لكن الفتاة التى تبلغ الثامنة عشر، والتى تركت المدرسة وهى فى المرحلة الابتدائية أو الثانوية قد تشعر بضغط اجتماعى كبير عليها كى تتزوج. وفى بعض المجتمعات نجد للزواج قدراً اجتماعياً كبيراً وبخاصة فى المجتمعات الريفية، حيث يتزوج الشاب فى سن مبكرة، وحيث يوجد ضغط كبير على الفتاة لكى تتزوج، وعلى أهلها كى يزوجوها، هنا يكون الزواج لتحقيق مكانة اجتماعية لا تتوفر إلا بالزواج، ولبداية حياة زوجية، وتربية الأطفال الناتجين عن ذلك الزواج وهذه كلها تمثل قيماً عالية فى نظر المجتمع.

وعلى ذلك فإن الحيوان يعاشر ولكن الإنسان يتزوج، وأهمية هذا التمييز واضحة، فالمعاشرة أمر بيولوجي، ولكن الزواج عمل اجتماعي. فالزواج يتضمن مراسيم وطقوساً إذا لم تقم فلا يسمى الاتحاد بين الذكر والأنثى زواجاً، فهو يتضمن حفلة واتحاداً ذو ميول اجتماعية ومعروف بشروط المجتمع الذى ينظم الدخول فى هذه العلاقة.

وكما أوضح مالينوفسكى (Malinowski) أن الزواج بين البشر حتى فى القبائل الاسترالية البدائية التى هى أقل مستوى ثقافى هو دائما يتم وفقاً لمعايير بمعنى أن كل مجتمع إنسانى في الماضى، وفى كل العالم قد نظر إلى الزواج كأمر هام للرفاهية الاجتماعية. ولهذا فقد عنى بتنظيمه وضبطه. فالعرف يوضح من هو الذى يسمح له بالزواج، ومن أى جماعة يختار الشريكان أو لا يختاران، وعن طريق من يختار الزوجان وكيف يرتبطان وأين يعيشان، وما هى حقوقهما ومسئولياتهما، وكيف ولأى سبب ينتهى زواجهما[1].

١- انظر د. محمد فؤاد حجازى، الأسرة والتصنيع ، ص ص ١٩٦-١٩٧. وانظر د. عبد الهادى محمد والى، الاجتماع العائلى - دراسة فى اجتماعيات الأسرة، ص ص ٤٤-٤٩.

ويعد الزواج فى حياة الشاب بداية للحياة الجادة الخالية من العبث واللهو، وينعدل سلوك الشاب على هذا الأساس ليبدى نوعاً من تحمل المسئولية التى تتلاءم مع دوره كزوج. ويتطلب هذا الدور الجديد تخليه عن عادات ربما كان لا يتصور التخلص منها فى يوم من الأيام، مثل قضاء معظم الليل مع أصدقائه أو مخالطة الفتيات فى الأندية والانفاق عليهن بغير حساب. وفى بعض الأحيان يزداد عبء دور الزوج على الشاب إذا ما ارتبط زواجه ببعض الخلافات بين زوجته وأهله مما يتطلب منه أن يسعى باستمرار للتوفيق بينهم وذلك فى حالة تمسكه بزوجته وحبه لها.

والزواج ليس رابطة بين شخصين فقط وإنما هو علاقة وثيقة بين أسرتين وهو يعنى أن أسرة ما تفقد عضواً من أعضائها الذى يعتبر فى نفس الوقت مكسباً للأسرة الأخرى. هذا ولابد أن يتحقق نوع من التكيف لابين الزوجين فحسب، حيث يقوم كل طرف بتعديل أدواره الاجتماعية بحسب الموقف الجديد الذى خلقه الزواج، بل يمتد التكيف إلى أسرة الزوج وأسرة الزوجة، فقد طرأ على كل منهما عضو جديد ، عليهم ان يتفاعلوا معه من ناحية ، ومع أسرته من ناحية أخرى.

●●●

الوسائل التى يتم بها الزواج

ترجع هذه الوسائل إلى الأمور الآتية :-

١- طريقة الاستيلاء على المرأة بالقوة: وتعرف بطريقة «السبى» وقد أخذت بها طائفة كبيرة من العشائر والقبائل الأولى. فكان لا يتم الزواج إلا بالإستيلاء عنوة على المرأة. ولذلك كانت هذه القبائل تقوم بالغارات الخاطفة للاستيلاء على النساء.وكان الأفراد يقتفون أثرهن للإيقاع بهن وأخذهن سبايا.

ومما يدل على قدم هذا النظام أن «تشريعات مانو» أشارت إليه بوصفه نظاماً قائماً ومشروعاً «إذا استولى رجل على إمرأة بالقوة وسباها من منزل أهلها وهى تبكى طالبة النجدة ولكنه انتصر على من حاول مقاومته؛ فإنه يتزوجها. لأن هذه الطريقة مشروعة للزواج. وتسمى طريقة الجبابرة».

ويستدل أصحاب هذا الرأى على صحة ما يقولون بما تركته هذه الطريقة من آثار واضحة فى العادات الشعبية الدارجة، فما نشاهده من ألعاب القوى وإطلاق المقذوفات النارية فى مواكب العرس والمباريات الحقيقية بين أهل الزوج والزوجة، وما تبديه الزوجة من تمنع وبكاء عند خروجها من منزل أهلها؛ كل هذه الأمور وما إليها تعتبر بقايا ورواسب لطريقة الاستيلاء بالقوة على النساء.

غير أن هذا الرأى فاسد لأنه يقوم على افتراضات تعوزها الأدلة المادية. فلم تشكو الترابطات الأسرية الأولى ندرة النساء ولم تقم الحياة فى هذه الخلايا على أساس خطفهن. وكذلك نظام الأسرة التوتمية لم يكن قائما على السبى ولكن على التعاقد والتبادل وانتشر نظام شراء النساء فى الكثير من البلاد القديمة. كل هذه الأمثلة تدلنا على أن سبى النساء لم يكن الطريقة الأولى التى كان الزواج يتم بفضلها، ولكنه كان إحدى الوسائل المشروعة التى زاولتها بعض المجتمعات لظروفها الاجتماعية الخاصة.

٢- طريقة التبادل : وهى أن تتفق أسرتان على أن يتبادلا الأزواج والزوجات بمعنى أن يتزوج رجال إحداهما نساء الأخرى والعكس. وقد أخذت مجتمعات كثيرة بهذا النظام وكان شائعاً لدى بعض قبائل فيجى وبولونيزيا وميلانيزيا وبعض الجزر المحيطة باستراليا.

وكانت المجتمعات ترى فى حرصها على الأخذ بهذا النظام أن يؤدى إلى السلام بين الأسر القديمة وإنهاء الخصومات التى تثار بينها. وكثيراً ما كان يحدث أن تقرر مجالس التحكيم بصدد المنازعات بين العشائر والبطون مبدأ التزاوج بين الأسر المتخاصمة كأساس لفض النزاع وكشرط من شروط الصلح. وأدى هذا النظام كذلك إلى التضامن والتعاون المشترك. ولا تزال بقاياه موجودة فى مجتمعاتنا المعاصرة ولاسيما فى المجتمع الريفى.

٣- طريقة الشراء : أخذت بعض القبائل القديمة بنظام بيع الفتيات، فكان على الزوج أن يشترى زوجته لقاء قدر يتفق عليه من مظاهر النقد الشائع فى مبادلاتها الاقتصادية فمثلاً إذا كانت تتخذ من الأنعام مقياسا نقديا لقياس قيم الأشياء؛ اتفق الزوجان أو من يمثلهما على عدد رؤس الأنعام التى تقدم ثمناً للزوجة. والملاحظ أن هذا الشراء لاينطوى على أى مظهر من مظاهر الاسترقاق. فالمجتمعات التى زاولت هذا

الشكل من الزواج لم ينتشر فيها نظام الرق؛ وخاصة رق النساء. فقد كانت النساء أحراراً بالرغم من استساغة فكرة بيعهن فى سوق الزواج. هذا، والبيع والشراء يجرى بين أفراد أحرار. ولذلك يختلف هذا النظام فى طبيعته عن نظام شراء الرقيقات».

٤- وقد يتخذ الشراء مظهراً آخر وهو تأدية خدمات عينية بدلاً من التقييم بالثروات المتداولة. فكان الرجل في سبيل حصوله على زوجة؛ عليه أن يعرض على أبيها أن يعمل عندهم مدة يتفقون عليها. وكانت المجتمعات القديمة التى أخذت بهذا النظام تزاول فى غالب الأمر الرعى والزراعة البدائية. فكان الزوج يقوم بالصعب من الأعمال بدون مقابل حتى تنتهى المدة المتفق عليها. فإذا أدى وظيفته بنجاح؛ اجتمع مجلس العائلة وقرر القيام بطقوس الزواج. وإذا لوحظ عليه الإهمال والتراخى فى عمله؛ دلّ ذلك على عدم استطاعته الوفاء بالتزامات الحياة الزوجية. أى أن هذا النظام ينطوى على اختبار مقدرة الزوج على العمل وعلى الاطمئنان إلى أخلاقه ومعاملاته ومظاهر سلوكه ومبلغ احتماله للشدائد. وكانت مدة الخدمة التى يتفق عليها الطرفان تختلف باختلاف المركز الاجتماعى ومبلغ الثراء، فتطول هذه المدة إذا كانت الزوجة من طبقة راقية وتمت بصلة إلى آباء العشائر؛ وتقصر إذا كانت من طبقة فقيرة. وقد أخذت بعض القبائل العبرية والآسيوية وخاصة قبائل سيبيريا بهذا النظام. ويؤيد ذلك ما ورد فى القرآن الكريم (سورة القصص) بصدد زواج سيدنا موسى ببنت شعيب. قال تعالى: «فجاءته إحداهما تمشى على استحياء؛ قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا، فلما جاءه وقص عليه القصص؛ قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين. قالت إحداهما يا أبت استأجره؛ إن خير من استأجرت القوى الأمين، قال إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج، فإن أتممت عشراً فمن عندك؛ وما أريد أن أشق عليك؛ ستجدنى إن شاء الله من الصالحين. قال ذلك بينى وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان على، والله على ما نقول وكيل. فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً...».

٥- طريقة ملك اليمين : أتاحت المجتمعات للسيد أن يعاشر رقيقاته معاشرة الأزواج بدون حاجة إلى عقد زواج يجرى بينه وبينهن لأنه لا يصح أن يرتبط الرجل مع رقيقاته بعقد زواج. لأن طبيعة العقد تنطوى على اعتبارات قانونية ومدنية وتفترض العدالة والمساواة؛ بينما الرقيقة تعتبر من النواحى القانونية والمدنية معدومة الشخصية

وليست لها حقوق المواطن الحر. هذا إلى أن رابطة الزوجية تنشئ علاقات وترتب حقوقاً وواجبات متبادلة بين الزوج والزوجة؛ ولا يصح أن تقوم مثل هذه العلاقات والقيود بين السيد ورقيقاته. وعلى هذا النحو؛ هناك تناقض واضح في أن تكون المرأة زوجة ورقيقة في آن واحد.

غير أن المجتمعات اختلفت في موقفها من الثمرات التي تجيئ من فراش الرجل برقيقته. فالبعض اعترف ببنوه هذه الثمرات ونسبتها إلى السيد ونظر إليها نظرته إلى الأولاد الشرعيين الذين يجيئون من فراش صحيح وزواج يقره المجتمع ورتب لهم جميع الحقوق والواجبات المخولة لنظرائهم الشرعيين. والبعض الآخر اعتبر هذه الاتصالات زواج ناقص لا يرقى إلى الزواج الكامل الذي يقره المجتمع[١].

٦- طريقة التعاقد وتقضي هذه الطريقة أن تتم الرابطة الزوجية بأن يبرم عقد بين طرفي الزواج أي بين الرجل والمرأة أو من يمثلهما . ويعترف فيه كلا الطرفين بقبول الزواج وقبول ما يترتب عليه من التزامات ومسئوليات. هذا ولا نعني بالتعاقد تحرير القسائم وتدوينها في سجلات رسمية؛ ولكننا نعني بذلك توافر الشروط الضرورية للتعاقد وهي الرضى والقبول المتبادل بين طرفي العقد.

وينطوي التعاقد في العصور الحديثة على ثلاث صور : فمنه ما تقره السلطة الدينية ومنه ما تقره السلطة المدنية؛ ومنه ما تقره السلطتان معاً.

فمثلاً نرى معظم الكنائس المسيحية ولاسيما الكاثوليكية أن الزواج لا يصح، ويكمل إلا إذا أقرته السلطة الدينية وتم تحت إشرافها. وبعضها لاتعترف به إلا إذا أقرته السلطة المدنية وتترك الحرية بعد ذلك للمتعاقدين في تسجيله دينياً أو عدم تسجيله. وفي كثير من الجمهوريات الروسية يكتفي بالعقد المدني ولاقيمة للتسجيل الديني. وبعض المجتمعات لاتعترف بعقد الزواج إلا إذا أقرته السلطتان المدنية والدينية معاً؛ وتم تحت إشرافهما وحسب القواعد المصطلح عليها في هذا الصدد[٢].

١- د. علي عبد الواحد وافي. الأسرة والمجتمع . ص ٩٠

٢- انظر د. مصطفى الخشاب. دراسات في علم الاجتماع العائلي. ص ص ٦٧-٧٣

طبقات المحارم

تحدد المجتمعات لأفرادها طبقات معينة يحل لهم التزاوج من بناتها ونسائها: وتحرم عليهم طبقات أخرى لا يستطيعون الارتباط بها بروابط زواجية. ولا يستطيع الفرد التحلل من هذه القيود إذا أراد أن يتزوج بل لابد أن يضعها موضع الاعتبار وإلا وقع تحت طائلة العقاب واعتبر زواجه لاغياً ولا يقره المجتمع الذى يعيش فيه. وترجع أهم القيود الزوجية إلى ما يأتى :

١- قيود ترجع إلى اختلاف الأديان. وتوجد هذه القيود فى معظم المجتمعات الإنسانية. فالقوانين اليهودية القديمة تحرم بشدة الزواج بين اليهود وأهل الديانات الأخرى كالمسلمين والمسيحيين. غير أن هذه القيود قد خفت الآن ولاسيما فى البلاد الغربية. وحرمت القوانين الكنسية فى العصور الوسطى زواج المسيحيين بمن عداهم. وفى غمرة الصراع الذى قام بين الفرق المسيحية على أثر دعوة (مارتين لوثر) كانت الفرق المسيحية تحرم الزواج فيما بينها. وقد زالت هذه القيود فى معظم البلاد الغربية ولاسيما التى تأخذ بشرعية الزواج المدنى فقط.

وفى الأمم الإسلامية لايجوز لرجل الزواج إلا من مسلمة أوكتابية فلا يصح له أن يتزوج مشركة أو بوذية مثلا، ولا يجوز زواج المسلمة بغير المسلم ولو كان يدين بدين سماوى (أى كتابياً). ونحن نسمع كثيراً عن مبلغ التحايل الذى يلجأ إليه الأفراد لتحقيق رغباتهم الزوجية والخروج عن أوضاع العرف والشرعية فيغيرون الدين الذى ينتسبون إليه حباً فى تنفيذ مآربهم ولا يأبهون بالتحقير الاجتماعى والزراية التى تلحقهم فى هذا الإجراء.

٢- قيود ترجع إلى إختلاف الأصول الاثنولوجية. فكثير من المجتمعات تحرم الزواج بين أفرادها وبين أجناس معينة لاعتقادها أن الأجناس الأخرى أقل منها مرتبة. وهى تخشى أن تنتقل إلى أعقابها هذه النقائص أو الخسة الجنسية. أى أن هذه القيود ترجع فى نهاية تحليلها إلى خرافة الجنس الأمثل أو شعب الله المختار. فمثلا حرم قدامى العبريين التزاوج بينهم وبين قبائل كنعان لأن هؤلاء فى نظرهم أقل جنساً. وحرم

اليونان التزاوج بينهم وبين سائر الشعوب الشرقية لأن هؤلاء فى نظرهم أرقاء. وحرمت القوانين الرومانية زواج الرومانى بغير رومانية؛ ومن يخرج عن هذه القاعدة يعاقب ويبطل زواجه ويعتبر أولاده أولاد سفاح. وأخذت قبائل عرب الجاهلية بهذه القيود فحرمت التزاوج بينها وبين الشعوب الأخرى بل حرمته فيما بينها؛ لأن بعضها كان يدّعى السمو والحسب والشرف على القبائل الأخرى. فما كان يتاح زواج القرشية مثلاً بغير القرشى إلا إذا تنازل أولياء أمورهما عن شرط الكفاءة. ولا تزال هذه النزعة راسبة فى النظم الزواجية المصرية؛ فالعربية لا تتزوج فلاحاً أو مصرياً لا ينحدر من أصل عربى. ولا تزال هذه القيود الاثنولوجية قائمة إلى الآن. فقد بالغ الألمان فى تقديرها وحرموا الزواج بينهم وبين الشعوب الأخرى لأنهم كانوا يعتقدون أنهم الشعب السيد الذى اختاره الله ليحمل مشعل الحضارة فى العالم الحديث. ولا تزال هذه القيود قائمة فى البلاد التى تعانى مشكلة الملونين مثل الولايات المتحدة الأمريكية وجنوب أفريقية. إذ تقرر بعض قوانين الولايات وأوضاعها الاجتماعية تحريم الزواج بين البيض والسود ومن يلجأ إلى زواج من هذا القبيل تلحقه الزراية والتحقير الاجتماعى.

٣- قيود ترجع إلى تفاوت المراكز الاجتماعية. كانت القوانين والتقاليد الزواجية القديمة تفرض التقارب الطبقى بين الزوج والزوجة؛ ويندر أن نجد مجتمعاً من المجتمعات تحدد أو تحلل الاتجاهات الديمقراطية ومبادئ الحرية والمساواة غير أن رواسبها لا تزال باقية إلى الآن فى كل المجتمعات. فقديماً نصت شرائع الهند على أنه لا يصح لبراهمى أن يتزوج من أية طبقة أخرى لأن البراهمية كانت الطبقة المقدسة التى ترجع إلى سلالة الآله. أما ما عداها فكانت طبقات علمانية وأقل منها درجة وأهلية، وفى روما ما كان يصح التزاوج بين طبقات الأشراف والعامة. وفى العصور الوسطى بلغ نظام الطبقات غايته. وفى المجتمعات الحديثة حيث تتفاوت المراكز الاجتماعية لا تزال هذه القيود مدعمة بالعرف وليست بالقوانين؛ وتشتد هذه القيود فى المجتمعات الريفية عنها فى المجتمعات الحضرية. لأن الريف لا يزال يتمسك بالتقاليد ويفتخر بالأحساب والأنساب والعصبيات.

٤- قيود أساسها القرابة. وهذه القيود هى فى واقع الأمر التى تحدد لنا

«طبقات المحارم» أى التى يحرم التزاوج من بينها. ولا يخلو منها مجتمع إنسانى. وقد لوحظت على نظام واسع فى القبائل القديمة ولاسيما القبائل التوتمية التى كانت تعتبر الأفراد المنحدرين من توتم واحد مرتبطين بدرجة قرابة واحدة ؛ ولذلك يحرم التزاوج بينهم من حيث إنهم يشاركون فى المبدأ التوتمى المقدس. ونجد هذا التحريم موجوداً فى بعض الشعوب القديمة. فعرب الجاهلية كانوا يكرهون الزواج من القريبات (ولو أنه لم يكن محرماً قانوناً). وفى بعض الدول الأوربية المسيحية كان يحرم التزاوج بين أولاد الأعمام والعمات والأخوال والخالات.

غير أن كثيراً من المجتمعات القديمة الراقية قد تحللت فى بعض عصورها من قيود القرابة . ففى مصر القديمة كان يباح زواج الأخ من أخته أو من أمه، وفى فارس ما كان الرجل يجد ضيراً فى زواجه من ابنته أو أخته. وفى بلاد فينيقيا وبعض القبائل الصقلية كان الزواج من القريبات منتشراً على نطاق واسع.

غير أن الشرائع الحديثة قد اتفقت فى تنظيم هذه الظاهرة وتحديد نطاقها. وإليك طبقات ذى القربى التى حرم الإسلام الزواج منها :

أ- أصول الإنسان. فيحرم على الفرد الزواج من أمه وجدتيه.

ب- فروع الإنسان فيحرم على الفرد الزواج من بناته وبنات أولاده.

جـ- فروع أبويه فيحرم على الفرد الزواج من أخوته وبناتهن وبنات أخواته.

د- الفروع المباشرة لأجداده فيحرم عليه الزواج من عماته ، وخالاته، وعمات أبيه، وأمه ، وخالاتهما. أما الفروع غير المباشرة فيحل الزواج بينهم بمعنى أنه يباح الزواج بين أولاد الاعمام والعمات والأخوال والخالات.

٥- قيود ترجع إلى روابط المصاهرة. وترتكز هذه القيود على اعتبار أن الأسرة التى يرتبط بها الإنسان برابطة الزواج تصبح أسرته وتدخل فى نطاق قرابته. ومن ثمَّ تنشأ بعض القيود المنظمة للعلاقات الزواجية بين الأسرتين المتصاهرتين. وهذه القيود واضحة كل الوضوح فى الشريعة الإسلامية وأهمها :

أ- يحرم على الرجل الزواج بأم زوجته وجداتها.

ب- يحرم على الرجل الزواج ببنات زوجته وبنات أولادها ذكوراً وإناثاً.

جـ- يحرم على الرجل الزواج بزوجة أبيه وزوجات أجداده.
د- يحرم على الرجل الزواج بزوجة ابنه وزوجة ابن ابنه أو ابن بنته.
هـ- يحرم على الرجل الجمع بين الاختين مادامت زوجته فى عصمته.

أما بعد طلاقها أو موتها فيصح له الزواج بأختها وبذات الرحم اللائى كن محرمات عليه بسبب الرابطة الزوجية[١].

تعريف الأسرة

هذا الاتحاد القائم بين هذين الكائنين : الرجل والمرأة، بصورة يقرها المجتمع هو الأسرة. فالزواج مرحلة وشرط ضرورى لقيام الأسرة. والأسرة نتاج التفاعل الزواجي. ولكى نفرق بين المصطلحين نذكر أن الزواج هو تزوج منظم بين الرجال والنساء، على حين أن الأسرة تدل على الزواج مضافاً إليه الإنجاب[٢].

والأسرة مأخوذة من الأسر، وهو القوة والشدة، ولذلك تفسر بأنها الدرع الحصينة، فإن أعضاء الأسرة يشد بعضهم أزر البعض، ويعتبر كل منهم درعاً للآخر. وتطلق كذلك على أهل الرجل وعشيرته، كما تطلق على الجماعة يضمهم هدف مشترك، كأسرة الأطباء، وأسرة المهندسين، وأسرة السائقين، وأسرة المحامين، وأسرة الأدباء[٣].

أما الأسرة التى تنتج عن الزواج، فمن الصعوبة بمكان أن نقدم تعريفاً شاملاً لها، وذلك نظراً لتعدد أنماطها. فمعظم الزيجات التى نطلق عليها مصطلح الأسرة قد لا تنطبق عليها المعنى التقليدي الذى نطلقه على الأسرة خاصة وأن ملايين الزيجات التى تحدث فى بلدان كالكاريبى أو أمريكا اللاتينية تتم دون أن يجرى فيها الإجراءات الرسمية والقانونية والدينية. فمن المعروف مثلاً – أنه فى معظم المجتمعات تقريباً يعيش الزوجان معاً، ولكن فى المجتمعات التعددية يبيت الزوج مع واحدة من زوجاته كل ليله.

١- نفس المرجع، ص ص ٨٢-٨٥.
٢- أنظر محمد عاطف غيث. علم الاجتماع، ص ١٩٦.
٣- د. أحمد أحمد. الأسرة وتكوين الأسرة - الحقوق والواجبات، ص ١٤.

وبالرغم من هذه الاختلافات بين الأسر فى المجتمعات المختلفة، إلا أنه تبقى حقيقة هامة، وهى أن كل فرد من بنى البشر فى أى زمان ومكان قد ولد وربى فى أسرة تتكون كل منها فى مجموعها من ثلاث أفراد على الأقل، وينتميان إلى جيلين فقط جيل الآباء، وجيل الأبناء. وهى تشتمل على شخصين بالغين هما الذكر والأنثى يعرفان بأنهما الابوان البيولوجيان للأطفال. وهما يقومان فى العادة بالالتزامات الاقتصادية تجاه الوحدة الأسرية[١].

إن الأسرة هى الوحدة الأساسية فى التنظيم الاجتماعى، ومؤسسة من المؤسسات الاجتماعية ذات الأهمية الكبرى. ففيها نبدأ حياتنا الأولى، ونتعود عليها. وهى تصنع أولى خبراتنا. وفيها تتشكل شخصياتنا، وتتكيف مع البيئات المتغيرة حولنا. وهى مصدر الأخلاق، والدعامة الأولى لضبط السلوك، ويلقى فيها الكبار والصغار مصدر الرخاء[٢].

وقد ذهب المفكرون الأمريكيون إلى إطلاق لفظ أسرة على كل وحدة اجتماعية مكونة من شخص واحد أو مجموعة أشخاص تكفل لنفسها استقلالاً اقتصادياً منزلياً سواء انطوت هذه المجموعة على وجود نساء وأطفال أو اعتمدت على عنصر الرجال فقط، وسواء كانت تربطهم قرابة يقرها، ويحددها المجتمع أم لم توجد بينهم هذه الرابطة.

ففى الولايات المتحدة الأمريكية يوجد حوالى ١١٪ من إجمالى الوحدات العائلية تتكون من شخص واحد- بمعنى وجود رجل أو امرأة يعيش الواحد منهما مستقلاً فى بيت خاص ومعيشة مستقلة على حين أن نسبة ١٪ من الوحدات العائلية الأمريكية تضم ١٠ أشخاص أو أكثر[٣].

وفى ضوء هذا الاعتبار يعتبر كل فرد مستقل فى معيشته أسرة. وكذلك مجموعة الأصدقاء الذين يعيشون عيشة منزلية واحدة. وينطبق التعريف أيضاً على المؤسسات الاجتماعية التى ترعى مئات الأطفال[٤].

١ د. سناء الخولى، الزواج والعلاقات الأسرية، ص ٣٢-٣٤.
٢- أنظر د. عبد الهادى الجوهرى. أسس علم الاجتماع، ص ٢٠٧.
٣- د عبد الله الخريجى. علم الاجتماع العائلى . ص ١٣٠.
٤- د. محمد أحمد بيومى. أسس وموضوعات علم الاجتماع. ص ٤٤٧.

ويعتبر بعض العلماء الأسرة وحدة بيولوجية (Biological) تتكون من أبوين ونسلهما ومهمتها الأساسية التناسل وحفظ النوع. وفى إطار هذا المعنى تنطبق التعريف على مجموعات الثدييات (Mammals) والطيور (Birds).

ويعتبر كنجزلى دافز (K.Davies) من الذين أخذوا بهذا الاتجاه الأول. فقد ذهب إلى أن الزواج وسيلة لإشباع الرغبات الجنسية والحاجة إلى الرفقة. وخارج هذا الإطار ليس له أهمية تضفى عليه صفة الاستقرار. ويؤخذ على هذا التعريف أنه يحصر وظائف الأسرة فى الوظيفة الجنسية والإنجاب.

ويعتبر البعض الآخر الأسرة وحدة طبيعية اجتماعية ثقافية . فالأسرة فى نظرهم جماعة مستقلة داخل المجتمع، ويرتبط الواحد منهم الآخر برباط الدم. فها هو هربرت سبنسر[١] يعرف الأسرة بأنها الوحدة البيولوجية والاجتماعية .

ولقى تعريف جورج ميردوك (G.Murdock) (١٩٤٩) اتفاقاً من الباحثين، بالرغم من توجيه الانتقادات إليه من البعض الآخر. فقد ذهب إلى أن الأسرة جماعة اجتماعية يقيم أفرادها جميعاً فى مسكن مشترك، ويتعاونون اقتصادياً ويتناسلون». وينطبق هذا التعريف على الأسرة فى كل المجتمعات، كما أنه يؤكد على أن الأسرة جماعة اجتماعية تتكون من ذكر وأنثى تجمع بينهما علاقة جسدية يقرها المجتمع، وتسفر هذه العلاقة فى غالب الأحيان عن إنجاب أطفال ينتمون إلى هذه الجماعة. ويترتب على ذلك حقوق وواجبات ورعاية وتربية للأطفال الذين يأتون نتيجة لهذه العلاقات[٢]. والأسرة بهذا المعنى تقوم بوظيفة أساسية للمجتمع، وهى ضمان استمراره ونموه.

وقد وجهت إلى هذا التعريف بعض الانتقادات، فالأسرة ليس من الضرورى أن تتكون من ذكر وأنثى وأطفالهما. فقد تتألف الأسرة من أحد الوالدين الأب أو الأم، ومن أطفاله الذين أنجبهم، أو الذين تبناهم، أو قد تتكون من زوجين لم يرزقا بأطفال[٣].

١- انظر د. محمد عاطف غيث. دراسات فى المجتمع القروى ص ١١٨

2- See Morgan, D.H., Social Theory and the Family P. 20.

٣- انظر د. غريب سيد أحمد وآخرون، علم اجتماع الأسرة. ص ١٨

ويعرف بيرجس (E.W.Burgess) و (هـ ج لـوك) (A.J. Locke)[١].
الأسرة في كتابها الذي صدر عام ١٩٥٣ بأنها : مجموعة من الأشخاص ارتبطوا معاً برباط الزواج والدم، أو الاصطفاء، أو التبني Adoption مكونين حياة معيشية مستقلة، ويتقاسمون الحياة الاجتماعية، ويتفاعلون كل مع الآخر من خلال دور كل عضو منها : الزوج، الزوجة، الأم، والابن، والبنت، والأخ، والأخت. وهم جميعاً لهم ثقافتهم المشتركة.

واعتبر ما كيفر بيج الأسرة جماعة أو اتحاداً دائماً بين رجل وامرأة عن طريق علاقة جنسية تمكن من انجاب الأطفال ورعايتهم.

وينظر عالم الاجتماع إلى الأسرة من زاويتين رئيسيتين هما [٢] :-

١- باعتبارها نظاماً اجتماعياً يكون مع النظم الأخرى المجتمع. ويتمثل ذلك في تعريف وليام ستيفينز (W. Stephens) الأسرة بأنها : نظام اجتماعي يعتمد على الزواج. ويتضمن الاعتراف بحقوق وواجبات الأسرة، والمعيشة المشتركة للزوج والزوجة والأطفال، والإلتزامات الاقتصادية المتبادلة بين الزوج والزوجة[٣].

والأسرة نظام اجتماعي ينبع عن ظروف الحياة الطبيعية التلقائية للنظم والأوضاع الاجتماعية. وهي ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري، ودوام الوجود الاجتماعي الذي يتحقق باجتماع الرجل والمرأة والانماء الدائم المستقر بينهما بصورة يقرها المجتمع[٤].

٢- باعتبارها جماعة اجتماعية أولية يرتبط أعضاؤها ببعض عن طريق رابطة الدم التي تربط الأزواج بالزوجات، والآباء والأبناء، والإخوة والأخوات. ويحدد ليفي

---

١ انظر د. خيري خليل الجميلي، ود. بدر الدين كمال عبده. المدخل إلى الممارسة المهنية في مجال الأسرة والطفولة. ص ص ٩-١٠.

وانظر د. محمد عاطف غيث وآخرون. المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية. ص ص ١٧٧.

٢ د. سناء الخولي. الأسرة والمجتمع ، ص١١٥.

3- Court, Catherine, Basic Concepts of Sociology, p. 103.

٤ يسرى سعيد. قراءات حول رعاية الأسرة والطفولة، ص ٥.

شتراوس الأسرة على أنها جماعة اجتماعية لها ثلاث خصائص [١]:

١- أنها تتكون أساساً عن طريق الزواج.

٢- أنها تتكون من زوج وزوجة وأبناء. كما تحمل وجود أقارب آخرين.

٣- أن هؤلاء الأعضاء يرتبطون معاً بعدة روابط قانونية وشرعية وجميعها حقوق والتزامات دينية واقتصادية.

وتعرف الأسرة على أنها جماعة اجتماعية يرتبط أعضاؤها ببعضهم عن طريق روابط الدم أو الزواج أو التبنى، ويقيمون أو لا يقيمون معاً[٢].

ومن العلماء من أبرز جانب الشعور والألفة والترابط فالأسرة فى نظر رينية كوينج[٣]. جماعة من نوع خاص يرتبط أفرادها بعلاقة الشعور الواحد الأليف المترابط، والتعاون، والمساعدة المتبادلة، وتتميز العلاقات داخلها بالألفة والترابط، وهى تخلق نفسها بنفسها.

ومن العلماء من يركز على الجانب الاجتماعى والثقافى، ويبرز الجانب الدائم بين الرجل والمرأة، فالأسرة هى اتحاد بين الرجل والمرأة وما يترتب على ذلك من إنجاب ورعاية الأطفال بصورة يقرها المجتمع، حيث ينتقل شاب وفتاة شعائرياً إلى مرحلة ناضجة، مع كل ما يترتب على هذا من حقوق والتزامات. وتعد هذه الشعائر فى نفس الوقت إشعاراً بأن المجتمع يبارك مثل هذه العلاقة الجديدة.

وها هو أوجست كونت يعرف الأسرة بأنها : الخلية الأولى فى جسم المجتمع؛ والنقطة الأولى التى يبدأ منها التطور، والوسط الطبيعى والاجتماعى الذى يترعرع فيه الفرد. أما أوجبرن ونيمكوف فيعرفان الأسرة بأنها منظمة أو رابطة اجتماعية دائمة نسبياً تتكون من زوج وزوجة وأطفالهما أو بدون أطفال أو من زوج بمفرده مع أطفاله، أو زوجة بمفردها مع أطفالها.

١- د. محمد أحمد غنيم، المدينة - دراسة فى الأنثروبولوجيا الحضرية ص ص ٣٤٧-٣٤٨.

2- Smith, Rebecca M., & Apicelli Mary L., Family Matters. P. 102.

٣- د. علياء شكرى، الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الأسرة. ص ٢٦.

واعتبر ماكيفر وبيج الأسرة جماعة أو اتحاد بين رجل وأمرأة عن طريق علاقة جنسية تمكن من إنجاب الأطفال ورعايتهم[١].

وتنطبق هذه التعريفات على الأسرة النواة Nuclear Family، وهى التى تتكون من الزوج والزوجة والأولاد فقط، ولا تضم أفرادا آخرين وكذلك بعض الجماعات مثل الزوجين اللذين لم ينجبا، والأب الذى يعيش مع ابن واحد.

أما الأسرة الممتدة أو المركبة (Extended Family) أو العائلة أو الدوار، فتتكون ليس فقط من الآباء والأطفال، بل تمتد لتشمل الأبناء المتزوجين وأبنائهم، وكذلك الأقارب والأصهار والأحفاد والأعمام والعمات، وهم يشكلون حياة اقتصادية واحدة تحت رئاسة الأب الأكبر أو رئيس العائلة (ميردوك)[٢].

والعائلة مأخوذة أصلاً من العيلة – أى الحاجة – فأعضاء العائلة يحتاج بعضهم إلى بعض، أو يعتمدون فى حاجتهم إلى رب العائلة. ولم يأت فى القرآن لفظ الأسرة ولا لفظ العائلة – وإن جاء لفظ العيلة فى قوله تعالى : ﴿ووجدك عائلا فأغنى﴾ (الضحى ٨)[٣].

وقد يتخذ تعريف الأسرة شكلاً قانونياً. فيعرفها البعض بأنها تجمع قانونى لأفراد اتحدوا بروابط الزواج والقرابة أو بروابط التبنى (Adoption). وهم فى الغالب يشاركون بعضهم بعضاً فى منزل واحد، ويتفاعلون معاً، ويؤدى كل منهم دوراً معيناً.

وخلاصة القول فإن الأسرة التى تقابل كلمة (Family) باللغة الانجليزية، تعنى من الناحية السسيولوجية جماعة اجتماعية تربط أفرادها روابط الدم والزواج، ويعيشون معيشة اجتماعية واقتصادية واحدة، مما يترتب عليه حقوق وواجبات بين أفرادها كرعاية الأطفال وتربيتهم.

---

١ أنظر د. محمد عاطف غيث . علم الاجتماع، ص ص ١٩٠ – ١٩١.
٢ انظر د. إسماعيل على سعد . الاتجاهات الحديثة فى علم الاجتماع ص ص ١٦٦–١٧٠.
٣ د أحمد أحمد. المرجع السابق ، ص ١٤.

الفصل الثانى
الأسرة : خصائصها وأشكالها

تبدو الأسرة عند النظرة الأولى أنها نظام اجتماعى متميز، ولكنها مع ذلك تتميز ببعض الخصائص العامة التى نلاحظها عند مقارنة هذا النظام فى عدد من المجتمعات القديمة والحديثة . ويرى بعض العلماء أن ما هو عام فى الأسرة الإنسانية يرجع إلى أن بقاء الإنسان ليس مسألة فردية وإنما هو فى الحقيقة أمر متصل بالجماعة أشد اتصال. ذلك أن العناية بالأطفال والمسائل المتعلقة بالعلاقات الجنسية التى تسبق مولدهم، من الأمور التى تخضع للضبط التام فى كل الأزمنة، وفى كل الأمكنة . كذلك فإن الإنسان نوع واحد؛ ومن أجل هذا فإن تركيبه البيولوجى المتميز يفرض حدوداً معينة على مدى التغير فى سلوكه.

وتتميز الأسرة بالخصائص التالية :

١- الأسرة أول خلية فى المجتمع. ومن مجموع الأسر يتكون المجتمع. ومن خلالها يتم توفير الرعاية والغذاء.

٢- العمومية.

الأسرة أكثر الظواهر اجتماعية عمومية وانتشاراً فى المجتمع الإنسانى، ولا يخلو منها أى مجتمع، وهى موجودة فى كل المراحل التى مرت بها المجتمعات الإنسانية. ويكاد يكون كل إنسان، أو كان بالفعل عضواً فى أسرة ما.

٣- الزواج ارتباط جنسى رسمى دائم لعدد من الرجال وعدد من النساء.

٤- الحجم المحدد :

لا تنمو الأسرة إلى ما لا نهاية فهى بالضرورة محدودة الحجم، إذ تتوقف عن النمو عند حد معين. وهى أصغر الكل إذا قيست بالنظم الأخرى. ومن المعروف أن الأسرة الكبيرة أو الصغيرة أمر نسبى، ففى بعض المجتمعات و(خاصة المتقدمة) تعتبر الأسرة التى لديها أربعة أطفال أو أكثر أسرة كبيرة (Large Family) ، بينما

يعتبر نفس الأسرة فى مجتمعات أخرى أسرة صغيرة (Small Family)، وعموما يكون الآباء فى الأسر الصغيرة أكثر اهتماما وإيجابية مع كل طفل بعكس الحال فى الأسرة الكبيرة. كما يعتبر الطفل الأخير فى الأسرة الكبيرة غير مرغوب فيه عادة أو ليس موضع الحب الكافى بعكس الطفل الأول أو الثانى. والمشاكل الناشئة عن كثرة عدد الأطفال تدفع بكثير من الآباء إلى تحديد عدد أطفالهم وكذلك تحديد الفارق الزمنى بين مولد كل طفل وآخر، وترجع مقدرة الآباء حالياً على ذلك إلى استخدام الوسائل الحديثة لمنع الحمل أو اللجوء إلى الاجهاض فى حالة عدم استخدام هذه الوسائل. وبالرغم من أن الاجهاض ممنوع شرعاً وقانوناً فى معظم المجتمعات إلا أن الكثيرين ينادون بإباحته حرصاً على راحة الأم وسعادة الأسرة.

إن التأثيرات المتعلقة بأثر حجم الأسرة على رفاهية وسعادة أعضائها والأطفال فيها بصفة خاصة متنوعة للغاية، فاحتمالات زيادة المرض بما فى ذلك سوء التغذية وزيادة معدلات الوفيات، والإشباع الأقل، والذكاء الأقل، وزيادة أمراض الوالدين ترتبط بالأسرة الكبيرة(١).

وتختلف طريقة ممارسة تربية الطفل بين النمطين من عدة أوجه، فالأسر الكبيرة يسيطر عليها الأب، بينما تسيطر على الأسرة الصغيرة الأم، وتختلف أنماط ممارسة السلطة فتقوم على العقاب الجسمانى أو التهديد به فى الأسر الكبيرة التى يبدو عليها بعض مظاهر التفكك وتكون غير سعيدة فى معظم الحالات.

٥- تكون الأسرة الكبيرة فى بعض الأحوال أكثر عرضة للتصدع والإنهيار لأن معظمها يمر بأزمات اقتصادية، وقد يتعرض بعض الأطفال فيها للأمراض أو الحوادث الأليمة، وجدير بالذكر أنه مع أن معدل الطلاق منخفض فى الأسر الكبيرة إلا أن نسبة الهجر أو الموت الذى يصيب أحد الوالدين أو كليهما مرتفعة إلى حد كبير.

٦- تتضاءل اللهفة أو القلق على الأطفال كثيراً فى الأسر الكبيرة إذا قورنت بالأسر الصغيرة. فالأم التى لديها عدد كبير من الأطفال تكتسب خبرات تعرف من

1- Joe D. Wray, "Population Pressure on Families :family Size and Child Spacing". Report on Population Family Planning , p. 454.

خلالها أن كل الأطفال يمرون ببعض الصعاب أو المشاكل، وهذا شئ طبيعي ومؤقت ولا يدعو إلى القلق أو اللهفة. ولكن الأمر يكون على عكس ذلك فى الأسر الصغيرة التى تكون خبرتها قليلة فى هذه المجالات بسبب قلة الأطفال مما يدفعها للإنزعاج الشديد بمجرد تعرض الطفل لأى حادث أو مرض مهما كان بسيطاً.

٧- يختلف إحساس ونظرة الأطفال فى الأسر الكبيرة والصغيرة تماماً من حيث مصادر الأمن. فالأطفال فى الأسر الكبيرة يجدون الأمن فى كثرة عدد الأشقاء الذين يشكلون جماعة متماسكة للدفاع عن النفس، أو اللعب، أو حتى فى التآمر ضد الآباء. أما اتجاهات الأطفال فى الأسر الصغيرة فهى على العكس من ذلك تماماً، حيث يستمدون أمنهم من آبائهم مباشرة.

٨- تختلف مشاكل العلاقات بين الآباء والأبناء أيضاً فى هذين النوعين من الأسر. ويلاحظ أن أطفال الأسر الكبيرة يتحدثون عن الحرمان العاطفى، لأن آباءهم ليس لديهم الوقت الكافى لإرضاء الجميع. أما الأطفال فى الأسر الصغيرة فهم يشكون ن كثافة العلاقات وتركيزها ومن المنافسة على العواطف، والارتباط الشديد بالوالدين ذى قد يستمر سنوات طويلة.

وليس هناك شك فى أن هذه الاختلافات بين الأسر الكبيرة والصغيرة تؤثر على أطفال الذين يعيشون فى ظلها، فالتركيز فى الأسرة الكبيرة يكون على الجماعة وليس لى الفرد. بينما يحدث العكس فى الأسر الصغيرة، حيث يحظى الطفل بكل أنواع العناية.

٩- تقوم الأسرة على قواعد تنظيمية، وأوضاع ومصطلحات يقرها المجتمع. فهى ليست عملاً فردياً، وإنما من صنع المجتمع، فالزواج والقرابة فى الأسرة، والعلاقات الزوجية والواجبات المتبادلة جميعها أمور يحددها المجتمع الذى يلزم الأفراد بها ومن يخرج عليها يقابلها المجتمع بقوة وعنف.

كذلك فهى مصدر العادات والتقاليد والعرف وقواعد السلوك والآداب العامة، وهى دعامة الدين. وهى تنقل التراث الاجتماعى من جيل إلى جيل عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية.

١٠- توفر الأسرة لأعضائها الأساس العاطفى الذى يوفر الاستقرار والأمن.

١١- تمارس الأسرة قواعد للضبط الاجتماعى على أفرادها. ويتم ذلك من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التى توفرها الأسرة لأفرادها.

١٢- تضفى الأسرة على أفرادها خصائصها وطبيعتها. فإذا كانت الأسرة قائمة على أسس دينية تشكلت حياة الأفراد بالطابع الدينى، وإذا كانت قائمة على اعتبارات قانونية تشكل حياة الأفراد بالطابع التعاقدى(١).

١٣- الأسرة تؤثر فيما عداها من النظم الاجتماعية وتتأثر بها فإذا كانت الأسرة منحلة وفاسدة فى مجتمع من المجتمعات تردد فى وضعه السياسى وانتاجه الاقتصادى فسادا يؤثر ذلك فى مستوى معيشة الأسرة، وفى تماسكها. وخير دليل على ذلك أننا نشاهد فى الدول المستقرة سياسياً أن الأسرة مدعمة وقوية ومحل رعاية الدولة وفيها التشريعات المحققة لسعادة الأفراد . أما المجتمعات غير المستقرة سياسياً فنجد عكس ذلك.

١٤- تعتبر الأسرة وحدة اقتصادية فقد كانت قائمة فى القديم بكل مستلزمات الحياة واحتياجاتها وكان انتاج الأسرة رهن استهلاكها وعندما اتسع نطاق الأسرة اصبح الإنتاج العائلى من خصائص المرأة. وكان الرجل يعمل تابعاً لهيئات أو مؤسسات أخرى. والأسرة مازالت تؤدى وظائفها الاقتصادية بالرغم من التطورات التى طرأت على نظمها. ففى الأسرة الحديثة يتعين لكل فرد عمل اقتصادي - هذا وينظر معظم الأفراد إلى الأسرة الحديثة على أنها شركة اقتصادية بين عميلين هما الزوج والزوجة.

١٥- للأسرة طبيعة مزدوجة تتمثل فى أن كلا من الزوج والزوجة يرتبط بأسرتين بكون واحدة منها الإبن أو الأبنة، ويكون فى الأخرى الأب أو الأم.

١٦- الأسرة دائمة ومؤقته فى نفس الوقت، فهى دائمة من حيث كونها نظاماً

(١) انظر د. خيرى خليل الجميلى ، د. بدر الدين كمال عبده. المدخل إلى الممارسة المهنية فى مجال الأسرة والطفولة ص ١١

موجوداً فى كل مجتمع إنسانى فى كل زمان ومكان. وهى مؤقتة من حيث أنها تأخذ فى الانهيار عندما يتزوج الأبناء كما فى حال موت الزوج أو الزوجة، وتنهار تماماً وتختفى بموت الزوجين، وتحل محلها أسر أخرى.

١٧- يعيش أعضاء الأسرة الزواجية تحت سقف واحد، قد يكون حجرة صغيرة أو شقة فاخرة أو كوخ بسيط أو قصر عظيم. وقد اختلفت المجتمعات فى تحديد مكان بيت الزوجية. فهناك من تسكن مع أسرة الزوج، ويطلق على هذا اصطلاح (Virilocal) وهناك من تسكن مع أسرة الزوجة (Uxorilocal) وهناك من المجتمعات من يترك للأسرة الزوجية الجديدة حرية السكن مع أسرة الزوج أو أسرة الزوجة (Bilocal). وهناك من تسكن مع أسرة خال الزوج (Avunculocal). وأخيراً هناك مجتمعات لا تحدد مكان مسكن الأسرة الزواجية الجديدة، وإنما يترك ذلك لحريتها تبعاً لمؤثرات أخرى مثل قرب المسكن من عمل الزوج أو عمل الزوجة.

ويلاحظ أن كثيراً من المجتمعات تجمع بين أكثر من نظام واحد من النظم السابقة الذكر، فمثلا عند قبائل الهنود الحمر يعيش الزوجان عند أهل الزوجة فى الستة شهور الأولى من الزواج. ثم ينتقلان إلى منزل جديد بالقرب من مسكن أهل الزوج حيث يستقران فيه. وبالنسبة لقبائل الأشانتى بغرب أفريقيا يوجد نظام السكن مع أسرة خال الزوج ونظام السكن مع أسرة الزوجة.

١٨- يبدو النظام الأسرى بسيطاً. ومع ذلك فهو يشتمل على عدد من العلاقات الاجتماعية المعقدة. فمثلاً عند الزواج يدفع المهر، وهو يتألف من عدد من الظواهر الاجتماعية التى تختلف من مجتمع إلى آخر. فقد يكون المهر نقوداً. وقد يتألف من بعض السلع الاستهلاكية أو الممتلكات أو الماشية.

كما يختلف مقدار وطريقة الاتفاق عليه، وطريقة دفعه، وما يلازم ذلك من مراسيم وطقوس معقدة من مجتمع لآخر، وفى بعض المجتمعات يستعاض عن المهر بتبادل الزوجات والأزواج بين العائلتين(١).

١-انظر د. أحمد أبو زيد . البناء الاجتماعي-مدخل لدراسة المجتمع الجزء الأول-المفهومات ص ١٣٤.
وانظر د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان. المجتمع - دراسة فى علم الاجتماع ص ١٤٥.

خصائص الأسرة الحديثة

تمتاز الأسرة الحديثة بخصائص كثيرة أهمها :

١- تمتع أفراد الأسرة بالحريات الفردية العامة. فلكل فرد كيانه الذاتى وشخصيته القانونية لاسيما إذا بلغ السن الذى يضفى عليه هذه الأهلية. لأن الأسرة الإنسانية في تطورها فقدت صفتها كوحدة قانونية جمعية. فأصبح لكل فرد حق التملك فى حدود النظام الاقتصادى للدولة لأن الملكية لم تعد ملكية جمعية كما كان الحال فى النظام الأسرى القديم. ولكل فرد حق التصرف بحرية وهو المسئول الأول عن تصرفاته؛ ولم تعد المسئولية جمعية. وللفرد الحق فى أن يعمل وأن يختار ما يناسبه من الأعمال وأن يؤجر أجراً مناسباً على عمله؛ فلم يعد خاضعاً لرب الأسرة أو مقيداً بتوجيه حرفى أو مهنى.

٢- تغير المركز الاجتماعى لعناصر الأسرة. وكان وضع المرأة فى الحياة الاجتماعية؛ أشد المراكز تغييراً لاسيما فى نصف القرن الأخير. فقد نزلت المرأة إلى ميدان العمل وذاقت حلاوة الكسب وشعرت بقيمتها الاقتصادية وبأنها أصبحت سيدة الموقف وتستطيع أن تكفى نفسها بنفسها. ومن ثم فلا داعى لتحمل القيود التى كان يفرضها عليها الرجل؛ وليس ما يبرر استمرار سياسة الخضوع والاستكانة التى عاشت فى ظلها المرأة القديمة. وكان من نتيجة هذا الوضع الجديد أن ظهرت شخصيتها وأصبحت عنصراً إيجابياً تتدخل بحرية فى اختيار شريك حياتها وترسم بنفسها خطوط الحياة الزوجية. ونازعت الرجل فى السيادة على الأسرة بل أصبحت هى المتصرفة فى شئون المنزل والقائمة بأكبر قسط من مستلزماته ومسئولياته.

٣- سيادة الاتجاهات الديموقراطية . فكان من نتيجة انتشار النظرية الديموقراطية تحقيق قدر من المساواة وتكافؤ الفرص وانتشار التعليم العام وخاصة التعليم الإلزامى. فتعلمت البنت ونالت قسطاً كبيراً من الثقافة وشعرت بحريتها الفكرية. وقد انعكست كل هذه الأضواء فى حياة الأسرة الحديثة. فلم يعد المنزل قلعة يحكمها الرجل ويقبض على منافذها؛ بل أصبح خلية للاستمتاع والشعور بقيم الحياة الاجتماعية. فيه المكتبة البسيطة؛ وفيه مختلف ألوان الهواية وفيه المذياع والتليفزيون

والأدوات والآلات الحديثة. وأصبحت النزعة الديموقراطية مسيطرة على مناقشات الأسرة وأصبحت الصراحة والتفاهم الواضح هما العاملان المسيطران على مختلف الاتجاهات فى محيطها.

غير أن اختلاف الأجيال الثقافية فى نطاق الأسرة يقلل من شأن الحرية الفكرية ويوهن من قيمتها. فقد يحدث أن يكون الأب من جيل ثقافى والأم من جيل آخر والبنت أو الولد من الجيل المعاصر. وقد يكون الأب ريفياً والأم حضرية؛ والبنت جامعية. وقد يحدث كذلك أن يكون الزوج من بيئة قبلية؛ والزوجة من بيئة متحضرة؛ والولد كان مبعوثاً فى بعثة خارجية. وغنى عن البيان أن اتفاق وجهات النظر بين هذه الأجيال الثلاثة أو تلاقيها عند هدف مشترك أمر عزيز المنال أو صعب التحقيق.

٤- العناية بمظاهر الحضارة والكماليات وإغفال مسائل ضرورية :

وتبدو هذه النزعة حتى فى أبسط الأسر وأرقها حالاً. فالاهتمام بالملبس وتنسيق المنزل على بساطته؛ والاهتمام بشئون الزينة والتظاهر بما يخرج عن حدود الإمكانيات كل هذه الأمور وما إليها أصبحت سمة الأسرة المعاصرة وأثقلتها بالتزامات كثيرة.

٥- العناية بتنظيم الناحية الروحية والمعنوية فى محيط الأسرة. مثل تنظيم أوقات الفراغ واستغلال نشاط الأفراد فيما يعود على الأسرة والمجتمع بالفائدة، والعناية بالفنون وتهذيب الأذواق.

والعناية كذلك بالناحية الترويحية مثل الذهاب إلى السينما والحدائق العامة والأندية والمهرجانات. فإن هذه الأمور وما إليها أصبحت من أهم مقومات حياة الأسرة المدنية وتستأثر بنصيب يذكر من ميزانيتها[1].

١- د. مصطفى الخشاب، دراسات فى علم الاجتماع العائلى . ص ص ٥٦-٥٨.
- وانظر د. حسن أحمد الخولى وآخرين . علم الاجتماع العائلى، ص ١٤٤.

أشكال الأسرة والزواج

تتخذ الأسرة أشكالاً عديدة فى المجتمعات الإنسانية، إذ تتباين فى تكوينها (Composition)، وفى أصلها، ونسبها، وفى مكان الإقامة. ونورد هنا بعضاً من هذه الأشكال :

١- الأسرة النووية (Nuclear Family) :

تعتبر الأسرة النووية الشكل الأساسى والمنتشر فى معظم المجتمعات وهى الأسرة الزواجية (Conjugal) التى تتكون من زوج واحد وزوجة واحدة والأبناء غير المتزوجين، أو طفل واحد على الأقل إلا أن ذلك لا يعنى ضرورة حدوث الزواج مرة واحدة طوال حياة الإنسان فقط، بل إنه يمكن السماح بالزواج مرة أخرى فى حال وفاة الزوجة أو الزوج أو الطلاق.

وينتمى الفرد عادة فى ظل هذا النظام إلى أسرتين نوويتين، الأسرة النووية التى تربى فيها، وتعرف باسم أسرة التوجيه. والثانية التى يقوم فيها بدور الأب، وهى أسرة التكاثر.

وتتغير الأسرة النواة عندما يكبر الأشخاص الذين يشغلون أوضاع الأب والأم والأبناء. وعندما يبدأ الأبناء فى ملء أوضاع الأب والأم فى أسرة جديدة يكونونها بأنفسهم، وبالتالى يكون هناك دورات حياة للأسرة.

٢- الأسرة الممتدة (Extended Family):

فهى أسرة يرتبط فيها الأفراد بعضهم ببعض من خلال أصل قرابى واحد وتحتوى على نماذج من الأسرة النواة. وقد عرفها روسر (Rosser) وهاريس (Harris)[١]. بأنها علاقة معينة بين مجموعة من الأفراد تربطهم المودة والتراحم من خلال الزواج والانجاب . وهى أوسع من الأسرة النواة بحيث تمتد لثلاثة أجيال بدءاً من الأجداد وحتى الأحفاد.

١- د. السيد عبد العاطى السيد وآخرون. دراسات فى علم الاجتماع العائلى ، ص ٦٧.

وكل أعضاء تلك المجموعة ليسوا محتاجين للإقامة بمكان واحد لكي يكونوا أسرة ممتدة. وتشكل الأسرة الممتدة نمطاً شائعاً في المجتمع البدائية، وفي المجتمعات الريفية، والغير صناعية، وبين أفراد الطبقات الدنيا في التجمعات الحضرية، وذلك لأن أفراد العائلة غالباً ما يتكافلون اقتصادياً لما يعانون من فاقة وندرة في الموارد المتاحة.

وهذه الأسر هي جماعة متضامنة، الملكية فيها عامة، والسلطة فيها لرئيس الأسرة أو الجد الأكبر.

ولقد ظهرت الأسرة الممتدة بأشكال مختلفة في كل أرجاء العالم، سعى نايار (Nayar) وهم جماعة من طائفة الجنود (Soldiering Caste) في جنوب غرب الهند وفي الفترة السابقة على الاستعمار الانجليزي. حيث أختفت تماماً روابط الزواج والإقتران. إذ عندما تدخل المرأة مرحلة البلوغ (Pulerty) يتم تزويجها على نحو إحتفائي من رجل يختار لها بمعرفة جماعة الجيرة. وبعد ثلاثة أيام من الإحتفالات، يتم فصلها عن زوجها بإحتفال آخر. وعندئذ تكون حرة في استقبال سلسلة من الأزوج الزوار وغيرهم يقدمون لها هدايا بشكل منتظم وفي مناسبات معروفة إلا أنهم لا يقدمون لها أي دعم يذكر. ولكن عندما تنجب هذه المرأة طفلاً - يقوم واحد من هؤلاء الرجال - وليس بالضرورة الأب البيولوجي للطفل - بدفع أتعاب لهذه المرأة وهذا يسهم في تأكيد شرعية الطفل.

وعلى أية حال فإن هؤلاء الرجال لا يفترض أن يكون لهم حقوقاً اجتماعية أو قانونية أو اقتصادية أو أية إلتزامات تجاه الأطفال وإنما يتولى أقارب الأم مسئولية هؤلاء الأطفال.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية عرف هذا النظام بين المزارعين المهاجرين في مواقع متفرقة من الولايات المتحدة الأمريكية، كذلك أسهمت الضغوط الاقتصادية التي تتعرض لها الأسرة الأمريكية في ظهور نمط العائلة الممتدة بالمناطق الحضرية، إذ يميل كبار السن إلى العيش مع أبنائهم المتزوجين لتوفير المبالغ الضخمة التي يدفعونها لدور المسنين سنوياً، وخاصة إذا كان هؤلاء الأبناء هم الذين يدفعون هذه المبالغ من أموالهم

الخاصة (Beck and Beck. 1989). وعرف هذا النظام كذلك فى اليابان فى عهد توكوجاوا (Tokugawa).

وفى ظل هذا النظام كان الإبن الأكبر هو الوريث الوحيد لثروة العائلة. وفى مقابل ذلك كان يتكفل بتزويج شقيقه والإنفاق على إخوته الذكور حتى يبلغون أشدهم. ومن هنا كانت ثروة الأسرة وإسمها والمسئوليات المترتبة على ذلك من نصيب فرد واحد، وهو الابن الأكبر.

وفى مصر بدأ نظام الأسرة الممتدة يظهر فى المناطق الحضرية بسبب أزمة الإسكان الخانقة، حيث لا تجد الأسرة مخرجاً لأزمة المساكن سوى تزويج الأبن أو الأبنة فى شقتها إذا كان فيها اتساعاً. ومن ثم تتحول الشقة إلى مقر لمعيشة أجيال متعاقبة فيها. وقد أضعف التصنيع من أنماط الأسرة الممتدة، ويرجع هذا إلى الأسباب الآتية:

١- يتطلب التصنيع من السكان أن يتحركوا بحثاً عن مهن ووظائف جديدة أو فرص للعمل. وهذا ما أضعف الالتزامات القرابية التى تقوم على التفاعل المتكرر والحميم.

٢- يسهل الاتجاه نحو التصنيع من الحراك الاجتماعى، ويتسبب فى وجود الاحتكاك بين الأقارب من مراتب طبقية متباينة.

٣- يحل الاتجاه نحو التصنيع الهيئات غير القرابية محل الجماعات القرابية فى التعامل مع المشكلات الشائعة مثل حماية البوليس والتعليم والدفاع العسكرى والمعاملات المالية.

٤- يؤكد الاتجاه نحو الصناعة على الانجاز فى مقابل النسب والقرابة، ويضعف من أثر النمط التقليدى، ومن ثم يقلل من اعتماد الناس على أسرهم[1].

١- د. على عبد الرازق جلبى، أسس علم الاجتماع . ص ٢٢٠-٢٢١.

الزواج التعددى :

وينقسم إلى نظام تعدد الزوجات (Polygyny) وهو احتفاظ الرجل بامرأتين أو أكثر. وعلى هذا الأساس تتكون الأسرة من أكثر من وحدة نووية واحدة يقوم الرجل فى كل منها بدور الزوج. ويتمتع نظام تعدد الزوجات بإنتشار واسع فى كل ارجاء المعمورة فمن ٨٣٪ من ٨٦٢ مجتمعاً كان يسمح للأزواج باتخاذ مجموعة من الزوجات. إذ يسجل العهد القديم (Old Testament) على سبيل المثال حالات متكررة من تعدد الزوجات بين اليهود. وكان لجودوين (Gideon) كثيراً من الزوجات ولدن له ٧٠ طفلاً. وكان للملك دافيد (David) عديد من الزوجات، وذكر سولون (Solomon) فى كتابه أنه قد تزوج من ٧٠٠ زوجة، و ٣٠٠ خليلة أو محظية (Concubines) . كما كان للملك رهويام (Rehoboaum) ابن الملك سولون ١٨ زوجة، و ٦٠ خليلة . واتخذ أبناء رهويام بدورهم زوجات كثيرة[١].

ومن أهم أسباب تعدد الزوجات ما يلى :-

١- زيادة عدد الإناث على الذكور بشكل ملحوظ .

٢- رغبة بعض الرجال فى الزواج من امرأة جميلة صغيرة السن بعد أن تكون زوجته الأولى قد تقدمت فى السن.

٣- الرغبة فى الذرية إذا كانت الزوجة الأولى عاقر.

٤- الرغبة فى إنسال الذكور إذا كانت الزوجة الأولى لا تنسل إلا إناث.

٥- مرض الزوجة الأولى لمدة طويلة، أو مرضها بمرض لا يرجى شفاؤه.

٦- المباهاة بكثرة عدد الزوجات كعلامة امتياز بالنسبة للأغنياء، كما هو الحال بين بعض القبائل الأفريقية.

٧- إعلاء شأن الرجل وإبراز أهميته وذيوع شهرته، هذا بالأضافة إلى القوة والمكانة التى تضعها عليه كثرة عدد أولاده. ويعد ذلك سبباً قوياً من أسباب تعدد

١- نفس المرجع . ص ٢٢٦.

الزوجات فى بعض المجتمعات. فعندما يريد أحد مواطنى الكونغو أن يبين مدى عظمة أحد رؤساء قبيلته وقوته، فإنه يذكر عدد زوجاته، وكثيراً ما يضيف إلى ذلك العدد الكثير من عنده.

٨- قد يكون تعدد الزوجات بالنسبة للرجل فى بعض القبائل مصدراً للراحة وجلب المال، كما فى قبائل الزولو، وفى شرقى وسط إفريقيا، حيث تقوم النساء هناك بأعمال الزراعة والطحن وغيرها، فيعد الرجل أكثر غنى كلما كثر عدد زوجاته، وحيث يقال بتباه شديد : إن زوجات هذا الرجل هن اللائى يكفلنه.

٩- قد تقسو الحياة فى بعض المجتمعات على أفرادها من الرجال، كما هو الحال بالنسبة للصيادين فى القطب الشمالى، فتؤدى إلى تناقص عدد البالغين من الذكور عند الاسكيمو ولا يصبح هناك مفر من تعدد الزوجات.

وقد أخذ بهذا النظام بعض الشعوب الأفريقية. ففى قبائل داهومى يعاشر الرجل من خمسة إلى ستين سيدة. ويتفاوت هذا العدد تبعاً لمركز الرجال الاجتماعى والتميز الذى يتمتع به، ودرجة ثرائه. كما يرجع ذلك إلى رغبة الرجال فى إنجاب أطفال كثيرين وخاصة الذكور. وينتشر هذا النظام كذلك فى المقاطعات الزراعية لحاجة الرجال إلى عدد من النساء يساعدنه فى عمله، وينجبن له أولادا كثيرين.

وقد اختلفت المجتمعات فى اباحة تعدد الزوجات، فبعضها قررته فى حالات المرض والعقم. والبعض الآخر أطلقها بدون قيد أو شرط، وجعلت العدد مرهوناً بمقدرة الزوج، ومطالبه الخاصة. والبعض الآخر جعلته فى طبقات معينة. وحددت الشريعة الإسلامية عدد الزيجات بأربع زوجات، ووضعت له شروط كالعدل بين الزوجات.

واختلفت المجتمعات كذلك فى تعيين مركز هذه الزوجات فبعضها كانت تسوى بينهم فى الحقوق والواجبات. وخصت بعض المجتمعات الزوجة الأولى بكافة الامتيازات، وتعتبرها الزوجة الأصلية، ويطلق عليها أحياناً «السيدة العظيمة»، فإليها تنتسب الأولاد جميعاً سواء جاءوا من فراشها، أو من فراش ضرائرها. أما الزوجات الأخريات فهن من الدرجة الثانية، ويطلق عليهن لفظ المحظية.

أما النوع الثانى من الزواج فهو تعدد الأزواج (Polyandry) وهو يقوم على زواج المرأة الواحدة بأكثر من رجل واحد وهو محدود الإنتشار. وفى غالبية الأحيان يكون الأزواج من الأشقاء. فالإخوة الصغار يعاشرون زوجة أخيهم الأكبر من أجل التكاثر الجنسى (Sexual access).

ويرجع نظام تعدد الأزواج إلى ظروف الفقر الشديد، فإذا لم تستطع الأسرة توفير زوجة لكل ابن من أبنائها، فإنها توفر زوجة واحدة للابن الأكبر فيها فقط. وهى تصبح بذلك زوجة له ولاخوته الأصاغر فى نفس الوقت. وقد لاحظ (Rivers) ممارسات تعدد الأزواج بين قبائل التودا (Toda) فى الهند.

الزواج الجمعى (Group marriage) :

وهو النظام الذى بمقتضاه يتزوج عدد من الرجال بعدد من النساء، على أن يكن حقاً مشاعاً بينهم. ومن المعتقد أن هذا النظام كان سائداً فى المجتمعات البدائية فى العصور القديمة، ونادر الحدوث فى الوقت الحالى إلا فى حالات فردية تعتبر شاذة إلى حد كبير.

فالعشائر القديمة سارت على هذا النظام فى بعض نواحى أستراليا وميلانيزيا وبولونيزيا وبعض قبائل التبت وهيمالايا وسيبيريا وتودا وقبائل الهاواى. وقد تفرع هذا النظام إلى أشكال فرعية كثيرة : منها الزواج الأخوى الذى بمقتضاه يتعاشر الإخوة والأخوات معاشرة زواجية فى نطاق الأسرة: ومنها زواج الأقارب وبمقتضاه يتعاشر بعض الأقارب بطائفة من آقاربهن أو من الأباعد على حسب النظم التى يأخذ بها المجتمع.

ويرى العالمان (مورجان وفريزر) أن نظام الزواج الأخوى قد ترك آثاراً كثيرة فى النظم الزواجية القديمة والحاضرة. وأهمها نظامان : أولهما ، يسمى (الليفيرا Levirat)[١]. وبمقتضاه يتعين أن يتزوج الرجل بأرملة أخيه المتوفى أو أخواته. وثانيهما «السورورا Sorora»[٢]. وبمقتضاه يتزوج الرجل بأخت زوجته أو أخواتها

١- لفظ (levirat) مشتق من الأصل اللاتينى (Levir) ومعناه أخ الزوج.
٢- لفظ (Sorora) مشتق من الأصل اللاتينى (Soror) ومعناه الأخت .

بعد وفاتها أو يجمعهن فى زواج واحد. والملاحظ أن الأطفال الذين يولدون فى ظل هذين النظامين يعتبرون أشقاء للأولاد الموجودين قبلاً. كما يكتسب العم فى النظام الأول صفة الأب؛ وتكتسب الخالة فى النظام الثاني صفة الأم. وهذا يدل على أن الأبوة والأمومة والأخوة إنما تترجم عن مصطلحات وأوضاع اجتماعية وتخضع لعادات الجماعة وعرفها وتقاليدها ولا ترتبط فى أساسها بالقرابة الدموية أو العصب.

الزواج الداخلى والخارجى :

يقوم الزواج هنا إما على زواج داخلى أو خارجى. ويستند ذلك إلى النظرة الخاصة إلى الأقارب بإعتبارهم محارم لايجوز الزواج منهم، أو الرغبة فى توسيع نطاق العلاقات القرابية من الداخل ، وذلك محافظة على الثروة أو العصبية أو الرغبة فى إنشاء علاقات مع الغير لتوسيع نطاق القرابة، أو طلباً لمراكز القوة التى تترتب على الزواج الخارجى.

الزواج الداخلى Endogamy :

ويمنع الزواج الداخلى أفراد الجماعة من الزواج بمن لا ينتمون إلى تلك الجماعة، أو لايكونون أعضاء فيها. فهى تحتم على الفرد الزواج من داخل الجماعة التى ينتسب إليها. وعلى ذلك فالأفراد عليهم أن يتزوجوا من داخل طبقتهم Class، أو جماعتهم العرقية Race، أو الاثنية Ethnic، أو الدينية. والشاهد أن هناك بعض الأجناس لاتوافق، أو تحرم الزواج أو الاتصال الجنسى عامة بأشخاص ينتمون إلى جنس آخر. ويرجع ذلك إلى الزهو العنصرى أو الزهو القومى.

ويرجع وسترمارك الزواج الداخلى إلى قانون التشابه الفسيولوجى، والذى يقول بوجوب وجود قدر من التشابه بين المتزوجين حتى تتم عملية الإنسال، وأن الأجناس المختلفة جنسياً من حيث المظهر تنفر من الاتصال الجنسى بجنس آخر. ويوجد هذا الشعور الغريزى عند أجناس معينة من الحيوانات الأليفة أو شبه الأليفة والتى ترفض الاتصال الجنسى إلا مع نظائرها[١].

١-د. عبد الهادى محمد والى. الاجتماع العائلى - دراسة فى اجتماعيات الأسرة ص ٦٥.

ويبدو ذلك فى الاندوجامية الدينية وهى عدم الزواج من زوج يدين بدين آخر: فاليهود - مثلاً - لا يشجعون على الزواج من خارج دينهم، كما تقتضى بذلك تعاليم التلمود. وفى الإسلام حرم الدين زواج المسلم من مشركة حتى تسلم. وإذا كان وافق على زواج المسلم من كتابية، فإنه قد حرم زواج المسلمة بغير المسلم.

وفى الديانة المسيحية نجد أن الكاثوليكى يفضل الزواج من كاثوليكية، والبروتستانتى من بروتستانتية مثله.

أما الزواج الخارجى Exogamy :

فيبيح للفرد أن يتزوج من خارج الجماعة التى ينتمى إليها. وفى ظل هذه الظروف على الأفراد أن يتزوجوا من خارج جماعتهم القرابية سواء كانت أسرة نواة، أو عشيرة، أو قبيلة.

وأكثر قواعد نظام الزواج الخارجى شيوعاً هو ذلك الذى يقضى بتحريم نكاح المحارم أو معاشرتهم، والتى تمنع زواج الابن من أمه، والأب من ابنته، والأخ من أخته.

وقد وسعت كثيراً من القبائل البدائية من دائرة التحريم، لتشمل كل أفراد العشيرة التى ينتمى إليها الفرد. ويتمثل ذلك فى قبائل ميلانيزيا باستراليا. وينتشر هذا النظام بين سكان استراليا الأصليين، حيث يحكم بالقتل على كل من يخرج على هذه القاعدة.

وفى كثير من قبائل الهند كان يحرم على الرجل الزواج من عشائر أخرى يعتقد أنها تنتسب إليها أمه أو جدته.

أنساق النسب System of Descent :

من المعروف من الناحية البيولوجية أن إنجاب طفل يكون محصلة للتفاعل البيولوجى بين الذكر والانثى، ولكن السؤال هنا إلى من ينتسب الطفل؟ هل ينتسب إلى أبيه أم إلى أمه؟ وهو ما يعرف بأنساق النسب. فإذا كان خط النسب للأطفال راجعاً إلى الأب، فإنه يعرف بالإنحدار الأبوى Patrilineal . ومن ثم يحمل الطفل لقب أسرة والده، ولا يكون له صلات نسب بأسرة أمه. وتنتقل الملكية من خلال خط الأب.

أما إذا كان انحدار الطفل متجها ناحية خط نسب الأم، فإنه يعرف بالإنحدار الأموى Matrilineality ، وفيه يأخذ الطفل لقب أسرة والدته، ويكون عرفيا أكثر ارتباطا بالجماعة الأسرية أو العشيرة التى تنتمى إليها الأم. ويحدث التوريث من خلال جانب الأم. ويسود هذا النظام شعب النايار Nayar إذ يدين الطفل لخاله وليس لوالده. وتنتقل الملكية والأوضاع ذات الامتياز من الخال إلى ابن الأخت.

أما فى نسق الأسرة الثنائى Bilateral وهو الذى يجمع فى نسب الطفل بين كل من الأب والأم، ويعطيهما أهمية متساوية، فإنه غالباً ما يأخذ الطفل لقب أسرة أبيه، وتكون صلاته القرابية بكل من أسرة والده ووالدته مرغوبة لديه. ويشيع هذا النظام فى المجتمعات المعاصرة.

وفى المجتمعات البدائية أصبحت الأسماء الجمعية رمزاً أو علماً للعصبية، أو الجد التاريخى الذى ينحدر الأفراد من أصلابه بعد انقراض عبادة التواتم.

هذا وكان عرب الجاهلية يتفاخرون بأسماء القبائل والعصبيات التى ينتمون إليها. وكان السائد فى بلاد الرومان أن اسم الشخص لا يذكر إلا إذا كان مقرونا باسم أسرته القديمة. وكان يلى الإسم الفردى فى الترتيب. وكانت النظم القانونية تقيم وزناً لهذا الأسم.

وفى المجتمعات الحديثة لايزال الأفراد حريصين على احترام أسماء عائلاتهم وما زلنا نفخر بالأنساب والألقاب الجمعية التى انحدرت إلينا منذ القدم.

ولما كانت بعض الأسماء الجمعية مثيرة للتندر والتفكه مثل الأسر التى يطلق عليها أسماء الجحش والحمار وأبو قردان وما إليها فإن كثيراً ما تثار المشاكل بين الأطفال والشبان نظراً لما يلحق هذه الأسماء من التحقير.

مكان الإقامة :

تختلف المجتمعات من حيث موقع الإقامة الذى يتخذه الزوجات للإقامة بعد الزواج ومن المعروف أن الأزواج والزوجات يأتون من أسر مختلفة. وعند الزواج لابد أن ينتقل أحدهما. وأكثر الأنماط شيوعاً هو انتقال العروس للمعيشة مع أسرة العريس. ويسود فى هذا نمط المسكن الأبوى Patrilocal .

أما النمط الثانى فهو المسكن الأموى Matrilocal . وهو يعنى انتقال العريس للمعيشة مع أسرة العروس. ويحدث هذا فى حالة ملكية المرأة للأرض وسيطرتها على الأسرة . ويرتبط بهذا النمط من المسكن أن يكون أخو الزوجة هو المسيطر وله الكلمة العليا.

ويسود نظام السكن الأموى قبائل الهوبى Hopi، وسكان المنطقة الجنوبية الغربية من الولايات المتحدة الأمريكية، إذ ينتقل الزوج إلى مسكن أسرة زوجته. وهناك يقدم له الطعام، ومكان النوم.

وهناك نمطان آخران هما المسكن المزدوج Bilocal والمسكن المستقل Neolocal حيث يسمح فى النمط الأول للزوجين بالمعيشة قريباً من والدى كل من الزوج والزوجة. أما نمط المسكن المستقل فيؤدى إلى استقلال الزوجين فى السكن بعيداً عن أسرتى التوجيه. وقد أصبح هذا النمط من السكن شائعاً فى المجتمع المصرى سواء فى الريف أو الحضر.

وفى بعض الحالات يسكن أحد الاقارب أو بعضهم مع الأسرة. وهم فى معظم الحالات يكونون من أقارب الزوج لأن الابن مازال مسئولا عن والديه فى حالة كبرهما وخاصة مسئوليته عن إعالة والدته فى حالة موت الأب. وعموماً فإن انتشار هذا الشكل من السكن يشيع فى المناطق الحضرية ويرجع إلى ظروف ضيق المساكن والمرتبات المحدودة ثم اختلاف المستوى الثقافى بين الأبناء والآباء.

ومما هو جدير بالذكر أنه فى السنوات الأخيرة ونظراً للأزمة الشديدة فى المساكن الموجودة حالياً فى المجتمع المصرى بدأت العودة إلى نظام السكن مع أسرة الزوج أو الزوجة لاتساع مسكن أيهما، وبالرغم من عدم اقتناع الشباب أو الآباء بهذه الطريقة إلا أن الواقع يفرض عليهما قبول الأوضاع الراهنة. أما فى المناطق الريفية فيرجع انتشار نمط السكن المستقل إلى تفتت الملكية الزراعية إلى حد كبير بحيث أصبح كل ريفى لايكون فى إمكانه سوى إعالة زوجته وأطفاله وبذلك يميل إلى الاستقلال فى السكن.

السلطة:

على الرغم من أن السلطة التى يتمتع بها الرجل أو المرأة فى اتخاذ قرارات الأسرة تتأثر بسمات شخصياتهم، إلا المجتمعات هى التى تحدد من منهم الذى يتوقع أن يكون صاحب القرار، والشخص المسيطر. فإذا كانت السلطة تتمركز فى يد الأب فيسمى هذا التنظيم الأسرى الأبوى Patriarchal .

وعادة ما يقوم بهذا الدور الذكر الأكبر أو الزوج. وكان هذا النظام يوجد لدى اليهود القدامى، واليونانيين والرومانيين والصينيين فى القرن التاسع عشر، وكذلك اليابانيين . أما الأسرة الأموية Matriarchal، فتكون السلطة أو القوة للمرأة.

وهناك تنظيم ثالث يقوم على المساواة Egalitarian، وفيه يتم توزيع القوة، والسلطة بالتساوى بين الزوج والزوجة، ويسود هذا النمط فى المجتمعات المعاصرة فى الوقت الحالى، حيث تتوزع السلطة بين الأم والأب معاً.

الفصل الثالث
وظائف الأسرة

الأسرة من خلايا المجتمع الأساسية. وهى العماد الهام الذى يقوم عليه البناء الاجتماعى. وتتنوع أشكال الحياة الأسرية، وتختلف من مجتمع إلى آخر، وحتى فى المجتمع الواحد من زمن إلى زمن. فقد تطورت فى نطاقها ووظائفها بتطور الزمن. ولذلك نشاهد اختلافاً فى وظائفها فى الحاضر عنه فى الماضى.

ولقد تطورت هذه الوظائف فى جملتها من الأوسع إلى الواسع، ثم إلى الضيق فالأضيق، فوظائف الأسرة قديماً كانت واسعة كل السعة شاملة لمعظم شئون الحياة الاجتماعية. ولكن المجتمع أخذ ينتقص تلك الوظائف شيئاً فشيئاً.

لقد كانت الأسرة فى العصور القديمة تقوم بجميع الوظائف الاجتماعية فى الحدود التى يسمح بها نطاقها، وبالقدر الذى تقتضيه حالتها الاقتصادية والدينية والخلقية والقضائية والتربوية.. إلخ. فكانت الأسرة هيئة اقتصادية، وكانت كذلك هيئة تشريعية تضع الشرائع وترسم الحدود وتمنح الحقوق وتفرض الواجبات. كما كانت هيئة سياسية تنفيذية تشرف على شئون سياستها العامة. وبالإضافة إلى ذلك كانت هيئة قضائية تقوم بالفصل فيما ينشأ بين الأفراد من خصومات، وتعمل على رد الحقوق لأهلها، والقصاص، وحراسة القانون، وعقاب من يعتدى على حرماته. وكانت إلى جانب ذلك هيئة دينية خلقية وتربوية. ثم تناقصت وظائف الأسرة بظهور التكنولوجيا الحديثة والتصنيع والحضرية .

ومع ذلك فإن وظائف الأسرة تكاد تكون واحدة فى كل المجتمعات، بل يمكن القول بأن أسرار تأثير الأسرة كمؤسسة اجتماعية إنما يعود إلى الوظائف التى تؤديها للمجتمع، والتى تساعد على بقائه. فقد احتفظت بعدد من الوظائف الجوهرية لعل أهمها الوظيفة الجنسية، ووظيفة الإنجاب والتكاثر، والوظيفة الاقتصادية، والوظيفة التربوية. وجميعها وظائف اجتماعية تجرى من أجل مواجهة متطلبات المعيشة، والضبط الاجتماعى، وذلك من أجل أعضائها، ومن أجل المجتمع.

الوظيفة الجنسية :

الأسرة هى النظام الرئيسى، والمجال المشروع اجتماعياً ليشبع الفرد رغباته الجنسية بصورة يقرها المجتمع ويقبلها، أى وفق قواعد تمثل فى جملتها تنظيمات اجتماعية تتحكم فى العادات والتقاليد المجتمعية، وبناء على تعاليم دستورية إلهية. ويعترف المجتمع بثمرة هذه الاتصالات. وتؤدى الوظيفة الجنسية إلى تقوية العلاقة الاجتماعية بين الزوج والزوجة. ولا عجب إذا لاحظنا أن كثيراً من حالات الطلاق تتم بسبب الضعف الجنسى.

ومع ذلك فقد أثبتت الدراسات الميدانية أن بعض المجتمعات لا تعطى أولوية لهذه الوظيفة. فهى تسمح بالخبرة الجنسية للصغار قبل الزواج، أو خارج نطاق الأسرة. وتضع مجتمعات أخرى عقبات متعددة إزاء هذا النوع من العلاقات الجنسية قبل الزواج وتعتقد بعض المجتمعات أن عذرية الفتاة أمر لا أهمية له، وتنظر إلى الممارسات الجنسية على أنها إعداد للزواج، وليست من قبيل الترفية. وفى قبيلة بانارو بغينيا الجديدة لايسمح للعريس أن يتصل بعروسه إلا بعد أن تلد نتيجة اتصال جنسى بين العروس وأحد أصدقاء والد العريس(١).

وهكذا نجد أن المسموحات الجنسية تختلف من مجتمع إلى آخر، بل قد تختلف فى المجتمع الواحد فى أقسامه المختلفة إزاء هذه الخبرات الجنسية التى تمارس خارج نظام الزواج.

وظيفة الإنجاب والتكاثر :

تتيح الأسرة الفرصة لإنجاب الأطفال والتكاثر، وإمداد المجتمع بالأعضاء الجدد ليحلوا محل الآباء وغيرهم ممن يختارهم الله إلى جواره، وليغطوا حاجة المجتمع إلى أفراد يدافعون عن الوطن، وليعملوا فى مختلف النواحى الإنتاجية وذلك كله من أجل بقاء النوع البشرى، ودوام وبقاء المجتمع، ليستمر فى الوجود.

١- انظر د. عاطف صدقى. الأنثروبولوجيا الإجتماعية . ص ٣٩.

وقد أشارت الشريعة الإسلامية إلى ذلك فى قوله عز وجل ﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ (النحل ٧٢)، مما يعنى أنه عن طريق ذلك تستمر الحياة الاجتماعية.

ويدلل على ذلك بأن الأطفال الذين يولدون في خارج نطاق الأسرة يعدون أطفالاً غير شرعيين. أما الأطفال الذين تنجبهم الأسرة فهم أطفال شرعيون ورسميون ويقبلون ومعترف بهم من قبل المجتمع.

هذا ولا يخلوا أى مجتمع من المجتمعات من الاحتفالات والطقوس التى تجريها الأسر احتفالاً بمولود جديد، كما تفرض المجتمعات جزاءات على الوالدين أو أحدهما فى حال قتل طفلهما.

الوظيفة التربوية :

يصل الوليد البشرى إلى حالة من العجز التام، وذلك بعكس وليد القردة كالبابون والنسانيس. ومن ثم يبقى لسنوات طويلة قاصراً على الاعتماد على نفسه، وفى حاجة إلى رعاية وتوجيه الكبار.

وتلعب الأسرة دوراً هاماً فى علمية التنشئة الاجتماعية Socialization ، أو التدريب غير الرسمى للأطفال على تبنى أنماط السلوك. ويساعد على ذلك أن الأسرة تتلقى الطفل وهو صغير أشبه ما يكون بالعجينة القابلة للتشكيل. ولكونها أيضاً الحياة الثابتة المستقرة فى حياة الإنسان التى تسودها علاقة أولية مباشرة. كما أنها تملك من وسائل الاتصال ما لا تملكه غيرها. فهى تستطيع بذلك أن تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية.

والتنشئة الاجتماعية هى عملية إكساب الفرد شخصيته فى المجتمع لمساعدته على تنمية سلوكه الاجتماعى الذى يضمن له القدرة على استجابات الآخرين، وإدراك أهمية المسئولية الاجتماعية، وبذلك يتحقق قدر مناسب لدى الفرد من التجاوب الاجتماعى النفسى.

والأسرة هي أول وسط يلقن الطفل اللغة لأن الطفل فى نشأته الأولى لايعرف من أمر اللغة شيئاً، ولا يكاد ينطق إلا بأصوات تشبه أصوات الحيوان والطيور . والأسرة هي الجماعة الأولى التى تعلم الطفل قواعد آداب السلوك والمعاملات، والعادات، والتقاليد والعرف، وقواعد الدين، ومستويات الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والحسن والقبيح، واللذة والألم، وما يتعلق بها من معايير العمل والسلوك. فالأسرة كانت ومازالت تقوم بنقل التراث الاجتماعى والثقافى من جيل الآباء إلى جيل الأبناء.

وتعتنى الأسرة بتربية أطفالها، وما يصاحب ذلك من تعليم وتأديب، وما يقابل ذلك من الطاعة والاحترام. ومن خلال الأسرة يكتسب الطفل شخصيته، وتتكون ذاته نتيجة احتكاكه فى حياته المبكرة بأعضاء العائلة، والمواقف التى يواجهها وردود الفعل العاطفية التى يمر بها.

وتقوم الأسرة بتعليم أطفالها، ولا يقصد بالتعليم القراءة والكتابة، وإنما يعنى تعليم الحرفة، أو الصنعة، أو الزراعة، أو التربية البدنية، والشئون المنزلية.

وتشرف الأسرة على متابعة أطفالها فى الواجبات المنزلية، وفهم الدروس. ويمكن القول أن الوالدين هما اللذان يحددان مدى تقدم أو تأخر أطفالهم فى المدارس.

ويكتسب الفرد مكانته الاجتماعية من الأسرة التى ولد وتربى فيها، وذلك فى ضوء مؤشرات العمر، والجنس، ونظام الولادة، ولون البشرة، وانتماء الأسرة إلى طبقة ما. كما تحدد الأسرة الفرص والمكافآت والتوقعات بالنسبة لأعضائها. كذلك يكتسب الفرد مهنته، وملكيته، وتعليمه، ودينه، وانتسابه السياسى من الأسرة التى ولد فيها. وفى الأسرة يتعلم الطفل أن يكون رجلاً، وزوجاً، وأباً من خلال معيشته فى أسرة يرأسها رجل وزوج وأب ، ذلك أن البيت ليس فقط مكاناً للاستجمام والراحة، بل مكان يقوم فيه الأب بدوره كأب مسئول عن كل شئ فى بيته.

وإذا كان التعليم قد انتقل بالفعل من البيت إلى المدرسة إلا أن الأسرة هى التى تقوم بدفع نفقاته. وبالرغم من مجانية التعليم فى بعض المجتمعات العربية إلا أن الأسرة مازالت تنفق الكثير فى سبيل تعليم أولادها مثل أجور المواصلات والأدوات

والملابس المدرسية فضلاً عن وجود ظاهرة الدروس الخصوصية التى ترهق كثيراً من ميزانية الأسرة.

وإذا نظرنا إلى كل متغير على حده نلاحظ اختلافات هامة بين فئات الأسر المختلفة تنحصر فيما يلى :

١- الأم لها دور أكثر فعالية من الأب فى الإشراف على واجبات الأبناء المدرسية.

٢- أنه فى حالة اشتراك الزوجين معاً فى الإشراف على متابعة تعليم أبنائهما، فإن هذا الاشتراك يقل كلما انتقلنا من فئة لأخرى حتى تنتهى إلى فئة الفلاحين، ويعكس ذلك المستوى الثقافى للأم الذى يتناقص مع الفئة الحضرية حتى الفئة الريفية.

٣- أن قيام الإخوة بمهمة الإشراف على أخواتهم الأصغر منهم يبدو واضحاً فى الفئات الفقيرة والريفية، وهذا يرجع إلى انخفاض المستوى الثقافى للآباء فى هذه الفئات.

٤- أن ظاهرة الاستعانة بمدرس خصوصى قد بدأت تظهر بوضوح فى كثير من المجتمعات العربية، وقد تبين أن هذه الظاهرة بدأت تتزايد إلى الدرجة التى ستحل فيها محل إشراف الوالدين أو الأخوة وخاصة فى مراحل الشهادات العامة.

٥- الأسر الريفية لا تشرف بصورة فعالة على متابعة تعليم أبنائها لإنخفاض مستوى الآباء الثقافى بدرجة ملحوظة مما يؤثر على إنجاز أبنائهم ونجاحهم فى مراحل الدراسة المختلفة.

وعموماً نستطيع أن نقول أن استجابة المجتمع بفئاته المختلفة للتغيرات الاجتماعية من زاوية الإقبال على التعليم كانت ملحوظة للغاية، حتى أن كثيراً من أبناء الأسرة فى فئتى العمال والفلاحين يواصلون التعليم الآن حتى نهاية مستوياته العليا، لأن التعليم أصبح له إلى جانب ما تقدمه من مركز اجتماعى، وظيفة اقتصادية واضحة، وقد تصل إلى أنه بالرغم من انتقال الوظيفة التعليمية وخاصة فى أبعادها الرسمية إلى

مؤسسات خارجية إلا أن الأسرة على عكس ما كان موجوداً من قبل تنبض بوظيفة جديدة هي المتابعة المستمرة لتقدم أبنائها الدراسي.

وظائف نفسية وعاطفية:

توفر الأسرة لأبنائها مظاهر الحب والعطف والاهتمام، والرعاية والاستقرار والأمن والحماية مما يساعد على نضجهم النفسي. وقد تبين بصورة واضحة أن الكثير من الأمراض الفيزيقية التي تصيب الأبناء ترجع إلى الافتقار إلى الحب والدفء والعلاقات العاطفية، وأن قدراً كبيراً من التكامل الانفعالي العاطفي يتوقف على مبلغ ما يتوفر للأبناء من إشباع لرغباتهم المتعددة.

وفي هذا تقول العلامة «مارجريت ميد» : لقد تبين بصورة واضحة أن الأطفال الذين يوضعون في مؤسسات خاصة عند الولادة تصيبهم مشاكل وأمراض كثيرة رغم رعايتهم رعاية جسمية جيدة، إذ أن هناك آثاراً سيئة جداً على الأطفال الذين يفصلون عن أمهاتهم بعد الولادة، ومن أمثلة ذلك التأخر العقلي والإخفاق في تعلم الكلام والبلادة وفقد الإحساس والنكوص وأحيانا الموت.

ويلاحظ أن هذا الإشباع النفسي والعاطفي لا يقتصر على الأطفال فقط، إذ لا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة للكبار، فهم يجدون مسرة كبيرة في مداعبة أطفالهم، وفي اللعب معهم. كما تثير الأسرة في الأطفال العواطف والانفعالات الخاصة بالأبوة والأمومة والأخوة والغيرية وما إلى ذلك.

ومن هنا لابد أن يدرك الأزواج أن العاطفة المتبادلة نحو الأبناء، وهي مزيج متوازن من الحب والحزم كفيلة برسم الأبعاد السليمة للسلوك، بحيث يمارس الطفل أنشطته في جو من الأمان النفسي دون الخروج من الحدود المرسومة للسلوك السوي.

وليتعلم الآباء كذلك أن التدليل الزائد مثله مثل القسوة الزائدة، كلاهما يضران بنفسية الطفل وتسببان له الأضطراب النفسي.

الوظيفة الاقتصادية :

الأسرة جماعة اجتماعية مسئولة عن توفير الحاجات المادية لأفرادها، فهى تطعمهم وتأويهم وتكسيهم. ولا عجب إذا رأينا الأب مسئولاً عن حماية ابنته ومساعدتها مادياً حتى بعد الزواج فى كثير من الأحيان.

وكانت الأسرة فيما مضى تمثل وحدة اقتصادية إنتاجية مكتفية بذاتها، فأفرادها يعملون فى الحقل أو غيره من أماكن العمل. وهم يستهلكون معظم ما ينتجونه. ونتج عن ذلك أنه لم تكن هناك حاجة للبنوك أو المصانع أو المتاجر.

وفى عصرنا الحالى، ونتيجة للتطور فى وسائل الانتاج، أصبحت الأسرة تمثل وحدة إنتاجية إستهلاكية فى الريف، ووحدة إستهلاكية فى المدن. وقد ترتب على استخدام الآلة فى الصناعة أن أصبح الأبناء والزوجات يشاركون بنصيب كبير فى العمل الصناعى، ويساهمون فى دخل الأسرة، وما تزال الأسرة فى بعض البلاد الصناعية كاليابان تمد المصانع بالأيدى العاملة.

وقد ترتب على زيادة دخل الأسرة فى الهيئات الصناعية أن أصبح لها دور واضح فى استهلاك المنتجات الكثيرة التى تنتجها المصانع بحيث أصبحت الوحدة الاستهلاكية الأساسية فى المجتمع. كما أصبح للمرأة دور واضح فى اتخاذ القرارات الاقتصادية المتعلقة بالشراء، وفى توزيع ميزانية الأسرة على بنود الانفاق المختلفة.

وإذا لاحظنا الاتصال الجنسى بين الزوج والزوجة، مضافاً إليه الوظيفة الاقتصادية لأيقننا أن الأسرة تكون الوحدة أو النواة الأولى فى المجتمع، ذلك أن الاتصال الجنسى بدون التعاون الاقتصادى أمر موجود فى العديد من المجتمعات، كما أن التعاون الاقتصادى بدون الاتصال الجنسى موجود أيضاً، وذلك مثل تعاون الأخ والأخت، والأم والأبن، ولكن الجمع بين الوظيفة الجنسية، والوظيفة الاقتصادية لا يتحقق إلا فى نطاق الأسرة.

الفصل الرابع
تطور الأسرة ومراحل تكوينها

الأسرة قديمة قدم المجتمعات الإنسانية، وموجودة فى كل مجتمع إنسانى، ولكن فى أشكال مختلفة، لدرجة أننا لو عدنا إلى الوراء بعيداً، والظروف الخاصة بعلم الإنسان البدائى، فإننا لن نجد جماعة لا توجد بها الأسرة فى أى شكل من الأشكال[1].

إن جميع الناس فى المجتمعات فى الماضى والحاضر ولدوا وتربوا فى أسر. وتكوين الأسرة وبناؤها وأبعادها، وظروف معيشتها، واحتياجاتها، والعلاقات القائمة بين أعضائها، وعلاقتها بالكيان الاجتماعى برمته، ووظائفها تتنوع عبر الزمان والمكان. فلقد تعرضت الأسرة لكثير من التغيرات، وعلى وجه الخصوص فى وقتنا الحاضر. وقد إزداد معدل هذه التغيرات فى الآونة الأخيرة. وهكذا قطعت الأسرة الإنسانية مراحل من التطور منذ الماضى البعيد وحتى الآن.

وكان نظام العشيرة هو أقدم هذه التشكيلات أو التجمعات البشرية. وكان أفراد العشيرة يرتبطون ببعضهم البعض ليس على أساس صفات الدم، كما هو الشأن فى الوقت الحاضر، وإنما على أساس انتماء الأفراد إلى توتم Totem واحد.

والتوتم هو حيوان أو نبات أو جماد تتخذه العشيرة رمزاً لها، ويعتقد أفرادها أنهم منحدرون منه، وينتسبون إليه، ويتخذونه لقبالهم، ويؤلفون معه وحدة روحية اجتماعية. فقد حل المبدأ التوتمى فى أجسادهم وهو سر بقائهم، ووجودهم الاجتماعى. وقد أشار لوسيان ليفى بريل Lucien Levy Bruhl إلى ذلك فى قوله : إن القرابة فى هذه المجتمعات تنتج عن رابطة روحية وليست فسيولوجية. وهى مشاركة أسطورية فى جماعة معينة، وفى جميع القيم الدينية والأخلاقية التى تمثلها الجماعة.

هذا ولايمكن للحالة هذه أن يدنسوا التوتم، أو يقربونه بسوء، لأنه موضع التقديس والعبادة. وعلى ذلك فهم يحرمون ذبحه إلا فى مناسبات خاصة وبعد القيام

١- انظر د. محمد نبيل جامع، المفتتح فى علم الاجتماع، ص ١٩٣.

بعبارات وطقوس يرسمها المجتمع.

وكان الرجل يعيش فى كوخ زوجته، وإليها تنسب الأطفال فهى العنصر البارز فى محور القرابة. ولذلك كانت سيطرة الأب عليها وعلى أولادها ضعيفة. ويعزى ذلك إلى حالة الترحال التى كان يقوم بها الرجال فى رحلات الصيد.

وقد انطوى هذا النظام على ترابطات شبه أسرية من الصعب معرفة حدودها ونظامها. فلم يكن المعشر أسرة واحدة، ولكن كان مكونا من خلايا أسرية. وقد اختلفت العشائر فى عدد أفرادها. فقد تكون بضعة أفراد فى بعض الهيئات، وقد تبلغ المئات فى البعض الآخر.

وقامت الترابطات على بعض المعاشر على أساس تعدد الزوجات، وفى أخرى على أساس الزواج الثنائى. وكما كانت العلاقات الجنسية فى نظرهم تنطوى على اختلاط الدماء وتدنيس المبادئ التوتمية المقدسة لذلك حرمت هذه المجتمعات الزواج الداخلى. وكان على الرجال أن يتزوجوا من خارج التوتم. ومن هنا نشأ نظام الزواج من خارج العشيرة Exogamy.

وقد أخذت القرابة التوتمية مظاهر عديدة وهى :

١- كانت بعض العشائر تسير على نظام إلحاق الأولاد بتواتم آبائهم. أما الام فتظل هى وأسرتها غريبة عن أولادها وبمضى الزمن اكتسبت هذه العشائر وحدة مكانية أو تركيزاً بيئياً كان له أثره فى تدعيم الرباط الاجتماعى وفى استقرار النظم الاجتماعية وفى الشعور بسيادة الأصل المشترك.

٢- وكانت عشائر توتمية أخرى تسير على نظام الحاق الأولاد بتواتم أمهاتهم فتعتبر الأم محور القرابة. ولما كانت نساء العشائر يتزوجن فى جهات متفرقة فتكون النتيجة أن أولاد التوتم الواحد يتبعثرون فى مختلف الأقطار . ولذلك لم تستقر أوضاعهم الاستقرار الكافى. غير أن الرباط الروحى والدينى كان يؤلف بين قلوبهم ويدعوهم فى أجيال معينة وأوقات محددة إلى الاشتراك فى الطقوس والحفلات الدينية والعائلية.

٣- وكانت قلة من العشائر تلحقهم بتوتم المنطقة التى تظن الأم أنها حملت بالجنسين فيها فقد كانت بعض العشائر البدائية تعتقد فى «تواتم محلية» مزودة بها الأماكن التى تحتلها العشائر. وهذه الاتجاهات فى تحديد محور القرابة تدلنا على أن القرابة قائمة على رموز ومصطلحات يحددها المجتمع ويرسمها الأفراد بغض النظر عن صلات العصب والدم التى تتمثل فى الأب والأم، وفى المجتمعات التاريخية القديمة تطور محور القرابة وأصبح مرتكزاً على مبدأين. العصبية من ناحية والقبول والأدعاء من ناحية أخرى فكان الأب هو أساس القرابة. وكانت المصطلحات الاجتماعية مؤدية كذلك إلى القرابة وذلك مثل القبول والرضى والادعاء والتبنى وقد سارت معظم القبائل القديمة فى نظمها الأسرية على هذه المبادئ[1].

وهكذا كانت القرابة فى المجتمع الريفى فى الصين القديمة. فهى تتكون من انتماءات لايمكن فصمها، وتتميز برسوخها منذ الماضى السحيق، وبأنها محددة تحديداً دقيقاً، ولا تهتم التسمية بالأفراد ولا بقرابتهم الطبيعية، وكانت كلمة الأم لاتستخدم فى تسمية المرأة التى ولد الإنسان منها، ولكنها كانت تستخدم فى تسمية المرأة التى كانت أكثر أجيال الأمهات احتراماً، كذلك فإن الأب لا يتميز عن الأعمام، حيث تنسحب الكلمة إلى دائرة تتسع كثيراً عن دائرة إخوة الأب فقط. ويختلط الأبناء بأبناء الأخ أو الأخت.

وانتقلت القرابة من أموية إلى أبوية فى ضوء اعتبارات هى :

١- تعلم الإنسان الزراعة واستقر فى الأرض، وبقى الرجل بجوار زوجته وأولاده.

٢- التطور الدينى من النظام التوتمى إلى نظام عبادة الأرواح والأجداد، ونسب الأفراد إلى عصبيات معروفة تاريخياً.

٣- انتشار المعتقدات الخرافية التى تنسب النساء إلى الأرواح الشريرة. والتى

١- د. عبد الهادى الجوهرى، أسس علم الاجتماع . ص ٢١٢.

أدت إلى انتشار ظاهرة وأد البنات، فى كثير من المجتمعات، ولذلك كانت تحل اللعنة على الزوجات التى لا تلدن ذكوراً.

٤- انساع ظاهرة الحرب بين العشائر وظهور قوة الرجل، والابقاء على الذكور بجانب أبنائهم فى وقت الشدائد؛ مما أدى إلى التقليل من شأن المرأة.

ويتمثل نظام القرابة الأبوى فى روما القديمة. وتنبثق القرابة عن الدين. وقد كتب فى ذلك فوستيل دى كولانج يقول : إن رابطة الدم لاتكفى لإقامة القرابة ولابد من رابطة العبادة. وعلى ذلك فإن الدين كان ينتقل من ذكر إلى ذكر. ولم يكن تحديد الأقارب العاصبين يتم على أساس الميلاد، وإنما يتم على أساس العبادة». وهكذا فإن صفة الأقارب لا تعطى إلا للأقارب العاصبين (المنحدرين فقط فى خط الذكور). أما الأقارب المنحدرين من خط الإناث فلا يعترف لهم بهذه الصفة مهما كانت قرابتهم الأموية[١].

وكان رب الأسرة هو الذى يحدد نطاقها، ويعطى له المجتمع مطلق السلطة. وقد كانت الأسرة فى الماضى، وحتى وقت وقريب، وفى كثير من المجتمعات المعاصرة تعتمد كلياً على الرجل (الزوج والأب) من حيث الإعالة، ويعتمد على المرأة «الزوجة والأم» فى القيام بالأعمال المنزلية وإنجاب الأطفال ورعايتهم. ونتيجة لهذا التقسيم فى العمل كان الرجل هو رئيس الأسرة وله السلطة على كل من زوجته وأولاده.

فهو الذى يحدد نطاقها، ويعطى المجتمع له مطلق السلطة. فكان من سلطته أن يضيف إلى أسرته من يشاء من الأفراد حتى ولو لم يكونوا من أصلاب العائلة، ويلفظ منها من يشاء حتى ولو كانوا من أصلابه. فقد كانت الأسرة عندهم تنتظم جميع الأقارب من ناحية الذكور وتنتظم كذلك الأرقاء والموالى والادعياء وهم الأفراد الذين يتبناهم رئيس الأسرة أو يدعى قرابتهم له، فيصبحون أعضاء فى أسرته ويمنحون إسمها ويسمح لهم بالاشتراك فى طقوسها وكان اسم الفرد منهم لا يذكر إلا مقرونا باسم أسرته. وكانت تقام طقوس خاصة حين الاعتراف بالأولاد، فيوضع الطفل على عتبة حجرة كبيرة العائلة فإذا ضمه إلى صدره اعتبر ذلك إعترافاً ببنوته. وإذا تركه ملقى على العتبة اعتبر أجنبياً عن الأسرة مباح بيعه أو قتله.

١- د. محمد محمد الجوهرى. دراسات فى علم الاجتماع . ص ص ٣٠٢٥-٣٠٦.

وأخذ نطاق الأسرة يضيق شيئاً لاسيما عندما حاربت الشرائع نظام القبول والادعاء ودعت إلى الغاء نظام الرق وفتحت منافذ العتق والتحرر . فلم يعد من حق رب الأسرة أن يدخل فى نطاقها من يشاء، بل أصبح ذلك مقصوراً على نسائه وأولاده الذين يأتون من فراش صحيح أو عن طريق التبنى فى الحدود التى يقرها المجتمع، وهذا هو نطاق الأسرة الزواجية الحديثة، التى تعتبر أحدث أشكال النظام الأسرة.

ومع ذلك فإن الأسر الريفية لاتزال تحتفظ ببعض رواسب النظام القديم، إذ يدخل فى نطاقها الزوج والزوجة والأولاد وزوجاتهم وأحفادهم ثم البنات مادمن عذارى. وكذلك اللاتى لم يتزوجن وغير هؤلاء من العصب وبنى العمومة وذوى القربى. وتعرف هذه الأسر باسم الأسر المركبة، لأنها فى الواقع تنطوى على أكثر من أسرة نواه. أما فى المدينة فيذهب بعض الباحثين فى وصفهم لأسلوب الحياة داخلها، أنه لايزال واضحاً وبخاصة فى إحياء الطبقة العاملة والمناطق المزدحمة علاوة على مدن الأكواخ، المناطق العشوائية اسلوب حياة يشابه القرية، وتوجد بالفعل عناصر التشابه فشبكات القرابة تمتد طويلاً وبطريقة متوازية.

أما فى العصور الحديثة فنجد أن محور القرابة يرتكز على الأب والأم معاً، مع أرجحية قرابة العصب على قرابة المصاهرة. ويظهر هذا الترجيح بصورة واضحة فى البلاد الإسلامية، ولاسيما فى المسائل المتصلة بالميراث والنفقة. وتحمل مسئوليات الأسرة والحقوق والواجبات، والتى يتعين على الرجل الوفاء بها باعتباره دعامة الأسرة وسيدها.

تطور وظائف الأسرة

كانت الأسرة فى المجتمعات الإنسانية الأولى لا تتعدى وظائفها جمع الأقوات الضرورية، والقيام بمستلزمات الحياة، وصنع الأدوات البدائية التى يعتمدون عليها فى الصيد وجمع الثمار.

أما فى المجتمعات التوتمية فكانت وظائف الأسرة واسعة، فالأسرة كانت وحدة اقتصادية تقوم بانتاج ما تحتاج إليه، وتشرف على شئون التوزيع والاستهلاك والاستبدال الداخلى، بمعنى أنها تمثل جميع الهيئات الاقتصادية التى تتمثل فى العصر الحاضر فى المصارف والمصانع والشركات... وما إلى ذلك، وتشرف على جميع

شئونها المادية.

وكانت الأسرة كذلك هيئة سياسية تنفيذية تشرف على شئون سياستها العامة. كما كانت هيئة تشريعية تضع الشرائع وترسم الحدود وتمنح الحقوق وتفرض الواجبات. كما كانت هيئة قضائية تقوم بالفصل فيما ينشأ بين الأفراد من خصومات، وتعمل على رد الحقوق إلى أهلها، والقصاص، وحراسة القانون، وعقاب من يتعدى على حرماته. كما كانت الأسرة هيئة دفاعية ترسم خطط الدفاع وتحافظ على الحدود وتتكلم باسم الأفراد في المنازعات الخارجية. وكانت الأسرة كذلك هيئة دينية، فهي التي تشرف على الطقوس الدينية.

وقد تطورت وظائف الأسرة من الأوسع إلى الواسع، ثم إلى الضيق فالأضيق. فوظائف الأسرة في أقدم عهودها كانت واسعة كل السعة لتشمل كل جوانب الحياة الاجتماعية، ولكن المجتمع أخذ ينقص تلك الوظائف شيئاً فشيئاً. وانتقلت هذه الوظائف التقليدية التي تقوم بها الأسرة التقليدية إلى هيئات أخرى متخصصة.

فمع تقدم اجهزة تنظيم النسل، والإجهاض القانونية، فقدت وظيفة النشاط الجنسي بعض نفوذها. وتغيرت كذلك وظيفة التنشئة تغيراً كبيراً. ففي المجتمعات التقليدية، كان أفراد الأسرة يعلمون الصغار مطالب الحياة والأدوار التي تشبه حياة ودور الأب ويكون التركيز على المهارات والأدوار الاجتماعية محدوداً. في حين أصبح مستقبل الطفل غير آمن في المجتمعات الحديثة. فالطفل لايتولى وظيفة الأب أو مهنته عادة. بالإضافة إلى ذلك أصبحت المهارات أكثر تعقيداً، وعادة ما تصبح قديمة الطراز بعد فترة قليلة. وانتقل التدريس في جميع مجالاته، من الرياضيات إلى الجنس إلى قيادة السيارات إلى مؤسسات أخرى وبخاصة المدارس ووسائل الأعلام. كما تقوم مراكز العناية اليومية للأطفال بعملية التنشئة المهنية في سن مبكرة عن ذي قبل.

لقد انتزعت الدولة السلطة السياسية وأنشأت لها الهيئات الحكومية والمجالس النيابية، وانتزعت منها الوظيفة الاقتصادية وأصبحت من اختصاص العمال والصناع والتجار وأرباب الصناعات والشركات واختفى الإنتاج لغاية الإستهلاك وأصبح الإنتاج لغاية الاستبدال هو سمة الاقتصاد المعاصر. وتولت الحكومة بعض الوظائف الاقتصادية مثل العناية والدعم المالي.

وانتزعت كذلك من الأسرة الوظيفة الدينية فأصبحت من اختصاص رجال الدين، وانتزعت منها كذلك وظيفة التربية والتعليم

ولذلك يرى أوجبرن Ogburn أنه نتيجة لفقدان الأسرة لوظائفها، فقد أصبحت الأسرة مفككة. والدليل على ذلك هو زيادة عدد حالات الأسرة المنهارة بسبب الطلاق.

وعلى عكس أوجبرن يرى كل من فليتشر Fletcher وآرون Aron أن الأسرة ليست في حالة تدهور، ولكنها تتكيف فقط مع مطالب المجتمع الحديث.

تطور الحياة الاجتماعية
في محيط الأسرة

كانت الحياة الاجتماعية في محيط الأسرة القديمة مرتكزة على الاعتبارات الآتية:

١- الأهمية الاقتصادية للمنزل : وذلك لأن الأسرة كانت قائمة بانتاج ضروريات المعيشة ومطالب الحياة لغرض الاستهلاك الخاص.

٢- سيادة الرجل : فكان هو دعامة الأسرة وحاميها وصاحب السيادة فيها.

٣- حماية الأسرة للفرد : فكانت مضطرة إلى الوفاء بكل مطالب العناصر الداخلة في نطاقها. وكان هؤلاء يعتمدون على الأسرة ككل في حمايتهم ورعايتهم وتحقيق رغباتهم.

٤- الزواج المبكر : لأن الأسرة بحكم طبيعتها وتكوينها في الحياة الاجتماعية الأولى وبحكم وظيفتها الاقتصادية. كانت تتطلب الزواج المبكر سواء من جانب الرجل أو من جانب المرأة. فمتى وصل الشاب إلى سن النضوج الجنسي تزوج وكان يفضل اختيار زوجته من البنات الصغيرات اللاتي لايتجاوزن الرابعة عشر.

٥- ندرة حالات الطلاق، وعدم انتشار الانحرافات الاخلاقية مثل الزنا والاتصالات المحرمة. فقد كان الطلاق رغم شرعيته الاجتماعية نادر الحدوث، وكان الزنا محرماً ويؤخذ مرتكبه بقصاص كبير. وهذا يدل على أن الأسرة القديمة كانت

١- انظر د. سامية الخشاب . النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة . ص ص ١٧-٢٤.

قوية الدعائم وتمتاز بسمو المعايير الأخلاقية. غير أن هذه الاعتبارات كلها تطورت أو تغيرت بتطور الحياة الاجتماعية. ففقد المنزل قيمته الاقتصادية وانهار الانتاج العائلى (اللهم إلا فى الريف حيث لا تزال الأسرة قائمة ببعض مظاهر الإنتاج العائلى). وأصبحت الأسرة قائمة وحدة استهلاكية فحسب بعد أن كانت وحدة منتجة ومستهلكة؛ وقد أتاح هذا التطور للأفراد أن يتحرروا من سيطرة رب الأسرة ويخرجوا إلى ميدان المجتمع. وقد أدت هذه الظاهرة إلى توهين سيطرته على الأسرة. ثم حدث أن ساهمت المرأة فى العمل الاقتصادى فأدى ذلك أيضاً إلى مغادرتها المنزل وانشغالها عن الاعباء المنزلية بأعمالها الوظيفية، ولم يكن الأمر مقصوراً على الزوج والزوجة، بل تعدى ذلك إلى الأولاد اللذين فرضت عليهم الحياة المعاصرة التغيب عن المنزل معظم أوقات النهار والنتيجة التى تقررها أن الفرد فى الأسرة الحديثة أصبح محرراً، وأصبحت له شخصية قانونية. وأصبح مسؤلاً عن نفسه وعن اتجاهاته. وعليه أن يرسم سياسته الخاصة ويختار أسلوبه فى الحياة وفى التفكير والعمل. غير أنه لا يختار ذلك إلا فى حدود الاطار العام الذى تحدده الدولة لأفرادها. هذا، إلى أن الأسرة أصبحت الآن اتحاداً قائما على التعاون المقصود والتفكير التقديرى والفهم الصحيح لاتجاهات الحياة الاجتماعية الحديثة، ولم تعد اتحاداً مرتكزاً على القوة وسيادة الرجل وسياسة الضغط والاملاء كما كانت من قبل[1] .

تغير العائلة فى المجتمع العربى

إن التغير فى (العائلة) أحد النتائج الهامة للتغير الاجتماعى فى المجتمع القروى. والذى ترتب عليه تغيرات مصاحبة تشمل الأسس التى تقوم عليها الحياة الاجتماعية. حقيقة أن التغير الاجتماعي يغير من الحياة القروية ككل بما فيها الحياة العائلية، إلا أن تغير العائلة فى مراحل التغير الأولى كان أوضح ونتائجه المصاحبة كانت أوسع. والآن تزداد عوامل التغير وتزداد لذلك عمليات التغير فى كل ناحية.

لقد كانت زيادة السكان فى القرية وما تبعها من زيادة حجم العائلات المتعاقبة والتى تعيش على أرض تتناقص باستمرار، النذير الأول لأزمة العائلة فيما بعد. وكان فى وجود العائلة القديمة على نحو ما تعتمده فى حياتها الاقتصادية على أرض تزدحم

١- د. سامية الخشاب. النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة ص ص ١٧-٢٤.

فيها الأيدى العاملة، إيذاناً ببدء خلافات لا تنتهى، تزداد ولا تختفى إلا لتعود أكثر شدة من قبل. ويشترك فى هذا الخلاف الرجال والنساء على السواء، ويعملون بالتالى على تفكك العائلة، لأن السلطة التى كانت تعيد التوازن، فقدت مقومات الطاعة لها منذ أن فقدت القدرة على إمساك تضامن العائلة عن طريق وحدة الحياتين الاقتصادية والاجتماعية. وعندما يبدأ الأفراد يناقشون حياتهم الاقتصادية ويعملون على تدبير أمورهم تهبط سلطة التضامن باستمرار. وقد كان تغير الأساس الاقتصادى للعائلة عاملاً مهما فى خفض حجم العائلة فى أغلب المجتمعات الريفية لا فى مجتمعنا وحده، بل فى كثير من أنحاء العالم.

فمارتن يانج M. Yang يلاحظ فى قرية Taitou فى مقاطعة Shantung بالصين أن الشبان لايحملون الآن أى عاطفة وثيقة نحو العائلات، وأصبح الخلاف أمراً عادياً يتعلق أغلبه بمسائل المسكن والعمل والغذاء.

إذن فقد كان لتغير حجم العائلات وانفصالها إلى أسر مستقلة وخصوصاً من الناحية الاقتصادية، آثار هامة على الحياة العائلية وخصائصها القديمة المتفقة مع تنظيمها المتميز، بل على مجتمع القرية ككل وطبيعة الحياة الاجتماعية فيه، وأيضاً على علاقات القرية بالقرى الأخرى وبمراكز الإدارة والسلطة فى المدينة.

فإذا كان الاكتفاء يؤدى إلى العزلة. فإن القرى لم تكن كذلك فى أى مرحلة من مراحل تاريخها . فالقروى كان يحس بالقرى المجاورة والمدينة ويحدد مركزه فى العالم على هذا الأساس. كما كان يحس بالحكومة لأنها تفرض عليه الضرائب، وتنقله من قريته للعمل فى «السخرة» أو الالتحاق بالجيش، ويتدخل رجالها عند الاشتباك وسقوط القتلى وهكذا.

ومعنى هذا أن علاقة الانتماء إلى الكل كانت ذات اتجاه معين فى الماضى، ويتغير هذا الآن. ويمكن تطبيق هذا القول على العائلة القديمة وعلى الأسرة الآن. كما يمكن تطبيقه أيضاً على أى قرية فى الحالتين. فالقروى فى العائلة والبدنة كان يحس بعلاقة الانتماء للنسق القربى أكثر من احساسه بالانتماء للمجتمع القروى، ولايحس

بالقرية إلا فى بعض المناسبات الخاصة. ومع هذا يكون إحساس الانتماء جمعياً لا فردياً، وكذلك الأمر بالنسبة للقروية فقد كان إحساسها ككل بذاتيتها أو هويتها هو الإحساس الدائم، أما إحساسها بالدولة أو بالمجتمع الكبير فكان احساساً مؤقتا. ولهذا كانت القروية تنتمى للمكان الذى تعيش فيه انتماء من الدرجة الأولى.

أما الأسرة اليوم فإنها تنتمى – وعلى الأخص من وجهة نظر الفرد – إلى مجتمع القرية أكثر من الانتماء إلى النسق القرابى القديم، ومعنى هذا أن دائرة علاقات الفرد أصبحت تشمل من الناحية النظرية جميع أفراد القرية، وبالتالى فإن القرية الآن تنتمى إلى دائرة أكبر من حيث المكان، ويزداد انتماؤها كلما صغرت الوحدة المكانية. ولهذا فإن انتماءها للمركز أقوى من المحافظة ، وأقوى أكثر بالنسبة للدولة ككل. وكقاعدة يمكن القول أنه كلما زادت عوامل التغير الاجتماعى وزادت آثارها كلها زاد اتصال الاجزاء شدة بالكل، سواء كانت هذه الاجزاء فرداً أو أسرة أو قرية.

وتعتبر النتائج التى ترتبت على تغير العائلة فى الحياة الاجتماعية فى مجتمع القرية تغيرات مصاحبة عديدة لتغير العائلة، وتزداد ويتعين اتجاهها بمرور الزمن، وتبرزها هنا على النحو التالى :

١ - زيادة التنقل الاجتماعى :

أصبحت الأسرة أساس البناء الاجتماعى وزادت الصلات المتبادلة بين القرى والعالم الخارجى، وزادت تبعاً لذلك كثافة العلاقات ومداها فى الداخل والخارج معاً. لهذا فللتنقل الآن الخصائص التالية :-

أولا : «غير محدود Unlimited» لأن الحواجز القديمة للعائلة والبدنة ومجتمع القرية ككل لم تعد تمنع امتداد العلاقات فى أى اتجاه، ولذل زادت سرعة التنقل ومداه.

ثانيا : أفقى لا يقتصر فقط على الزواج، بل يمتد إلى عدد من العلاقات المختلفة لجميع الأفراد من الجنسين من مختلف فئات السن. وتعدى الانتقال على هذا النحو حدود النسق القرابى وأصبح انتقالاً فى دائرة مجتمع القرية.

ثالثا : رأسي وهو ما لم يكن موجوداً من قبل. فالأفراد والأسر تنتقل الآن من حيث المركز الاقتصادى والاجتماعى نتيجة لتفتيت الملكية أو انعدامها من طبقة أعلى إلى طبقة أدنى . كما أن بعض أصحاب المهن الذين كانوا ينتقلون من الناحية الاجتماعية أفقيا، أصبحوا الآن ينتقلون رأسياً أيضاً على أساس ارتفاع مركزهم الاقتصادى والاجتماعى.

ويغير بعض القرويين العمل الزراعى فيشتغلون بالتجارة أو بالمهن والحرف، فينتقلون رأسياً من طائفة إلى أخرى وهكذا. وتمثل هجرة القرويين والمتعلمين من القرية إلى المدينة تنقلاً اجتماعياً رأسياً.

رابعاً : توسطى Intermediary أى غير واضح. وذلك لأن بعض الأفراد ينتقلون من مركز إلى آخر غير محدد، كأن يعمل القروى بالتجارة والزراعة معاً. أو يسكن المدينة والقرية فى نفس الوقت.

٢- اللاتثبتية Uncertainty :

كانت علاقة القرى بالأرض والعائلة والزمن علاقة ثابتة منتظمة، وتدور حياته فى دورات يمكن التنبؤ بها فى دقة وتحديد كبيرين، ولهذا كان من السهل تعيين الأبعاد الايكولوجية والبنائية للفرد والعائلة. فدورة عام واحد كانت تعنى أنواعاً مختلفة من العمل والمحاصيل وفترات محددة من الفراغ، كما كانت تعنى احتفالاً بمناسبات وقياماً بشعائر مختلفة، وتوالى السنين لايحمل معنى التغير، وإنما يحمل معنى التردد أو المطابقة. ولهذا كانت دورة حياة الأفراد من الجنسين تكاد أن تكون متشابهة، ونظراً لعدم اختلال هذا النظام، فقد كان الفرد متثبتاً من كل شئ يتعلق بحياته الاجتماعية والاقتصادية – حتى الموت فأجل «مكتوب» . وكان الذى يقوى هذا التثبت وجود الحياة العائلية بخصائصها . ولكن تغير العائلة تحت تأثير العوامل الاقتصادية واستمرار انخفاض مستوى المعيشة إلى جانب التأثيرات المتتابعة من المدينة جعل هذا التثبيت يختل. ولهذا اختلت علاقة القروى بالأرض وبعلاقاته القرابية، وأصبح الامتداد الزمنى لا يؤدى إلى دورات متشابهة للحياة، بل يؤدى إلى تغيرات تحمل معها القلق وعدم الأمن. فكل ما كان ثابتاً فى الماضى يراه الآن متغيراً ولا يعلم اتجاهه أو مداه.

إن القروى الآن لا يعرف إذا كان سيخلل بالقرية أم سيهاجر أو هل سينجح فى الوفاء بحاجات أسرته أم سيتعرض للفشل، هل سيكون دائما على علاقات طيبة مع الجميع، أو هل التغير عامة فى صالحه أم سيلاقى الصعاب.. وهكذا.

٣- الاستقلال والتبعية Autonomy & Sudordination :

لم يكن الفرد فى العائلة مستقلاً بل كان تابعاً لها، ولهذا لم تكن له تبعية أخرى حتى لسلطة القرية الكلية. فنظام المسئولية الجمعية كان يجعل الأفراد جميعاً وحدة واحدة داخل العائلة أو البدنة، ولم يكن لأحد منهم استقلال خاص، وكذلك بالنسبة للعائلة فى حدود البدنة، النسق القرابى الأكبر.

أما الآن وفى ضوء التغير الاجتماعى الذى حدث للعائلة والمجتمع والقرية، فقد أصبح الفرد أو الأسرة التى ينتمى إليها مستقلة وتابعة فى نفس الوقت. لأنه نظراً لتعدد علاقات الأفراد وكثافتها فى نفس الوقت فى الداخل والخارج. فقد أصبحت ضيقة Narrow بمعنى أنه لا يشترك فيها عدد كبير على نفس المستوى كما كان الحال أيام العائلة. ولهذا كلما ضاقت العلاقات بهذا المعنى كلما زاد استقلال الفرد أو الأسرة. أما التبعية فقد كان الفرد تابعاً لوحدة صغيرة، أى أن علاقات التبعية كانت تدور فى دائرة محدودة وهى البدنة أو العائلة، ولكن الوضع الآن أن دائرة التبعية اتسعت حتى شملت مجتمع القرية، بل الدولة بأسرها. ومثال ذلك أن التبعية من حيث السلطة هى تبعية للقرية وللمدينة أيضاً . إذن كلما زادت علاقات الفرد من حيث الاتساع كلما اتسع نطاق تبعيته وهكذا.

٤- فردية البعد البنائى Individualism in Structural distance:

الأبعاد البنائية - أو الاجتماعية - كانت أبعادا بين عائلات وبدنات وبين عائلات وبدنات أخرى. والبعد البنائى على هذا النحو كان يتضمن حجم البدنة ودورها فى سلطة مجتمع القرية، وبالتالى مركزها الاجتماعى والاقتصادى، إلى جانب درجة التضامن فيها. ولهذا لم يكن للفرد استقلال بنائى خاص. فأعضاء البدنة جميعاً متشابهين بعداً بنائياً، ومتميزين على هذا الأساس عن أعضاء البدنات الأخرى.

ونظراً لتفكك العائلة واتساع نطاق العائلات التى تربط الأسر بالأفراد، وتغير مضامين الأنساق القرابية، وظهور المصلحة كمحدد لاتجاه هذه العلاقات ودرجة شدتها. فقد أصبح البعد الاجتماعى فردياً. وأهم ما يدخل الآن فى تحديد هذا البعد المركز الاقتصادى. كما أن المركز الاقتصادى لم يعد يتحدد أساساً بملكية مساحة معينة من الأرض، بل بمقدار ما يكسبه الفرد من الزراعة أو من غيرها من الأعمال؛ تجارة أو مهناً أو حرفاً.

ومن هذه الزاوية ارتفع مركز أفراد كانوا يتبوؤن فيما مضى مرتبة أدنى، وهم على الأخص المشتغلون بالحرف والمهن المختلفة، وضاقت الأبعاد التى تفصلهم عن القرويين المشتغلين بالزراعة. ومع هذا يدخل المركز الاجتماعى القديم فى تحديد البعد البنائى، ولكنه قد يتجاوز عنه فى العلاقات الاجتماعية كالزواج. وكقاعدة يمكن القول أنه كلما زاد التغير الاجتماعى كلما تحددت الأبعاد البنائية بين الأسر والأفراد على أساس إقتصادى، وقل دور المركز الاجتماعى فى هذا التحديد [١].

٥- أصبح محور القرابة يرتكز على الأب والأم مع أرجحية لمحور قرابة لمصاهرة ويظهر هذا الترجيح بصورة واضحة فى البلاد الإسلامية ولاسيما فى لسائل المتصلة بالميراث والنفقة وتحمل مسئوليات الأسرة.

٦- الفرد فى الأسرة الحديثة أصبح محوراً له شخصية قانونية والأسرة أصبحت اتحاداً قائماً على التعاون المقصود والتفكير التقديرى. ولم تعد اتحادا مرتكزاً على القوة وسيادة الرجل.

٧- نشأ عن قيام المدن وكثرة الهجرة فيها تركز فى المكان وأدت هذه الظاهرة إلى ارتفاع ثمن الأرض وبالتالى سكنت الأسرة شقة صغيرة فى إحدى العمارات السكنية.

٨- الاحتكاك والحراك والتفاعل الاجتماعى غير كثير من العادات والتقاليد والعرف الاجتماعى للأسرة.

١- د. محمد عاطف غيث . علم الاجتماع . ص ص ٢٣٨-٢٤٥.

٩- ظهور المرأة كعنصر منتج أثر على حياة الأسرة من حيث دعمها اقتصادياً وإن كانت هذه الظاهرة قد انطوت على عيوب تتعلق بوظائف الأسر الأخرى.

١٠- الثورة الصناعية وما أحدثته من مشكلات كان لها أثرها بوضوح فى الحياة الأسرية من حيث ظهور الإجرام والتشرد والتسول والتفكك الأسرى.

١١- أدت الاختراعات الحديثة إلى الارتفاع بمعايير الأسرة الأخلاقية والجمالية.

١٢- ارتفاع الوعى الثقافى بين النساء واهتمام المجتمعات بتعليمهن وحصولهن على حقوقهن السياسية أثر فى حياة الأسرة من حيث ارتفاع المستوى الثقافى لها: وأصبحت الأسرة ندوة عملية أكثر منها بيئية للأكل والشرب والنوم، الأب ينتمى لحزب سياسى معين وتخالفه الأم والأولاد وأصبحت الحرية والصراحة الشخصية تسود جو الأسرة الحديثة .

١٣- دخول الآلات الحديثة فى الحياة الأسرية - أدوات الطهى والكنس والغسيل... الخ أدت إلى تخفيف أعباء الحياة المنزلية والاقتصادية وفى الوقت والجهد مما أتاح للأسرة مزيداً من استغلال وقتها وأشعرها بمتعة الحياة العصرية.

مراحل تكوين الأسرة

جعلت التقاليد، وربما الطبيعة أن الرجل يكون هو البادئ صراحة بالتودد إلى المرأة والتى تنتهى بالزواج. والواقع أن المرأة وإن كانت لاتملك زمام المبادرة، بحيث تقول : أريد هذا الرجل، فإنها تتمتع بحق الإعتراض على من يتقدم للزواج منها، ولها حق رفضه إذا لم يحظ بقبولها ونيل رضاها. ولا يشذ عن هذه القاعدة فى المبادأة فى الاختيار للزواج، إلا بعض المجتمعات مثل مجتمع الهوبى الذى تأتى فيه الفتاة إلى الشاب وتطلب الزواج منه.

وقد أجرى «برنارد» بحثاً حول اتجاهات الطلبة والطالبات نحو الزواج، سأل فيه الطالبات عما إذا كن يوافقن على أن يعطى للفتاة فى الولايات المتحدة فى التقدم إلى

الرجال طلباً للزواج، كانت نتيجة البحث أن (٦٦٪) من رفض ذلك بل استنكرنه.

من هذا يتبين لنا أن المرأة بعامة، لا تحب أن تبادئ بعملية الاختيار فى الزواج، ولعل ذلك يرجع إلى أن تلك المبادأة لا تجعلها تشعر بأنها محبوبة ومرغوبة مما تحرص المرأة بطبيعتها عليه، وما يكفله لها العرف التقاليد.

كذلك فإن أحد الأسباب الشائعة لشكوى الرجال التعساء فى زواجهم، هو أن زوجاتهم مبادأت أكثر من اللازم، كما أن إحدى شكاوى النساء غير السعيدات فى زواجهن ترجع إلى أن أزواجهن ليسوا مبادئين بالقدر الكافى.

ويعد مطلب النساء فى أن يسمح لهن بالمبادأة فيما يتعلق بالاختيار فى الزواج مجرد إنعكاس للاحتجاج على الذكر. إذ ليس هناك قانون يمنع المرأة من أن تتقدم للرجل، لكنه ليس من المستحب بالنسبة لها أن تفعل ذلك كقاعدة عامة [١].

ومن الطبيعى أن الأفراد الذين يقومون بهذه العملية لا يتصورون أنهم يدخلون فى عملية مساومة من نوع ما . وأذكر أنه فى إحدى المرات أن أبا العريس قال لأبى العروس : إن إمكانياتنا المادية كذا وكذا. فرد أبو العروس : طلب هزهم شوية. وكانت هذه الإجابة السوقية سبباً فى إيقاف الزواج.

ويتزوج الناس لأسباب عديدة، منها : تبادل الحب مع شخص آخر، والبحث عن الأمن الاقتصادى والمنزل المستقل، وإنجاب الأطفال، وتحقيق الأمن العاطفى، والاستجابة لرغبات الوالدين، والهرب من الوحدة، أو من منزل الوالدين، أو من موقف غير مرغوب فيه، أو الحصول على المال والرفقة، أو الجاذبية الجنسية، أو طلباً للحماية، أو الشهرة، أو الوصول إلى وضع اجتماعى معين، أو الوفاء بالجميل، أو الشفقة، أو لنكاية. وفى بعض الحالات عندما يفشل شخص ما فى الحب، أو يفسخ خطبته، أو يعانى من تجربة مؤلمة مشابه لذلك، فإنه يحول عاطفته من الحب الأول إلى حب ثان، ويشعر نحو هذا الثانى نفس شعوره نحو الأول حتى لو كان الثانى مختلفاً عنه تماماً،

١- د. عبد الهادى محمد والى : الاجتماع العائلى - دراسة فى علم اجتماعات الأسرة ص ص ٦٨-٦٩.

وحتى لو كان لا يعرفه فترة كافية يبادله أثناءها الحب فهو فى هذه الحالة يختار قبل أن يكون قد استعاد توازنه العاطفى، ويمكن اعتبار مثل هذا الزواج رد فعل مباشر وتلقائى للتعثر أو الأزمة التى مربها.

ويلاحظ أن بعض الزيجات تحدث نتيجة لضغوط مختلفة تبعاً للظروف، إلا أن هذه الضغوط لم تعد بالصورة التى كانت عليها فى الماضى، فلم يعد مقبولاً الآن الضغط على الشباب لكى يتزوجوا. بالاضافة إلى أنه فى بعض الحالات يتزوج الناس لأن معظم أصدقائهم تزوجوا ولا يرغبون فى البقاء بمفردهم دون زواج.

وعموماً فإن الناس يتزوجون لأن الزواج هو النمط الاجتماعى الذى يجد قبولاً واسعاً ومشروعية لاقامة علاقة بين الجنسين، فاقتصار ممارسة الجنس مع شخص واحد كنوع من العفة والنقاء، والتعاون من أجل الإبقاء على الحياة، والوالدية، والحياة المنزلية والقيم المتشابهة، كل هذا يجذب الأفراد نحو الزواج. ولهذا يبحث كل فرد عن الزواج الذى يلائمه ويرضيه، كما يفشل الكثيرون فى الحصول على الزواج الذى يستطيعون الاستمرار فى احتماله، ولكن بين هذين الطرفين المتناقضين يوجد ملايين الأشخاص يحصلون على نمط من الزواج يعتبر بالنسبة لهم أفضل من أى بديل حتى وإن لم يصل إلى النموذج المثالى.

وقد تبين أن الشروط التى ينبغى أن تتحقق للزواج هى مبدأ الرضا والقبول المتبادل بين الأزواج والزوجات. ودلت الأبحاث على أن الزوج يحب فى زوجته الاعتبارات الآتية : توافق الأمزجة والطبائع والصحة والجمال، قادرة على توفير مناخ هادئ ومستقر يساعد على التركيز، والإبداع، والتفرغ للعمل، والقدرة على إدارة المنزل، والمحافظة على نظافته، ورعاية الأبناء، وأن توفر للزوج كل ما يحتاجه من ملبس ومأكل، وتوافر روح الأمومة، وقوة الشخصية.

أما الصفات التى ترى الزوجة وجوب توافرها فى زواجها فهى الصحة والخلق والمزاج المعتدل، وروح الأبوة، ثم العامل الاقتصادى، والروح الاجتماعية وعموما يتحكم فى الاختيار مجموعة من المعايير نوجزها فى الآتى :

التكافؤ :

بمعنى أن يكون هناك درجة من التجانس والتقارب فى المستويات الاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية والمادية والروحية، وكذلك جانب السلطة والنفوذ . وليس معنى ذلك ضرورة وجود تطابق بين الزوجين، ولكن المقصود ألا يكون هناك فجوات واسعة بينهما.

ونورد هذا التكافؤ فى الآتى :

التكافؤ فى العمر : أى تناسب سن الزوجين بصورة تتناسب مع قدرتها على الحياة الزوجية من الناحية الفسيولوجية، والنفسية ، والاجتماعية. ويحدد القانون سن الزواج للرجل والمرأة . فالحد الأدنى لسن الزواج فى مصر ثمانية عشر عاماً للرجل، وستة عشر عاماً للمرأة[١].

ولكن هذا السن رغم صغره، لا يأخذه الناس فى كثير من الأحوال مأخذ الجد، ويعتمد كثير من الآباء إلى انتهاك هذه القوانين، وخاصة فى المناطق الريفية، فيستخرجون شهادة تسنين، ويدّعون فقدان شهادة الميلاد الأصلية. ويقوم الطبيب بتقدير عمر الفتاة أكبر مما هو عليه إرضاء لأهلها ليتسنى لهم تزويجها بمن يريدون.

أما فى المناطق الحضرية، فقد ارتفع متوسط سن الزواج لكل من الفتى والفتاة نتيجة التغيرات الاجتماعية والثقافية التى اعترت المجتمعات، إذ التحقت أعداد كبيرة من الشباب بالتعليم، الذى يستغرق سنوات طويلة ويتلو ذلك فترة من الاستقرار المادى والاستعداد للزواج؛ مما أدى إلى إرتفاع سن الزواج ما بين ٢٣-٢٨ سنة للفتيات، و٢٧-٣٤ سنة للشباب.

كذلك فإن أزمة البطالة، وضآلة الدخول، وإرتفاع أسعار الوحدات السكنية ارتفاعاً كبيراً أدى إلى ارتفاع سن الزواج.

والمألوف أن يكون الشاب أكبر من الفتاة سناً. ويرجع ذلك إلى أن نضج الذكر البيولوجى يكون عادة أبطأ من نضج الأنثى. كذلك فإن الزوج باعتباره رئيس الأسرة

١- انظر السيد سابق، فقه السنة. الجزء الثانى. ص ٦٤.

والمسئول عنها تحتاج إلى وقت أطول ليصبح مؤهلاً لهذه الوظيفة. هذا وتكون اختلافات السن فى الزواج أقل من الأعمار الصغيرة، وتزيد كلما تقدم السن، لأن الرجال يفضلون دائما الزواج ممن تصغرهم سناً. واقترح أن يكون الفارق بين الزوج والزوجة فى العمر من حوالى ٥-١٠ سنوات.

وقد تأثرت قضية التكافؤ العمرى بالواقع الاقتصادى الذى فرض نفسه على حياة الشباب، فتزايد عدد الأسر التى تتغاضى عن فارق السن الكبير بين ابنتهم وبين الرجل الذى يتقدم للزواج منها، وأصبح ابن الأربعين عاماً يستطيع الزواج من ابنة العشرين دون أن يخشى لوماً أو استهجاناً من أحد طالما كان من استطاعته أن يوفر لها المتطلبات المادية للحياة الزوجية وأن يؤثث لها بيتاً ملائماً. ولا يخفى على أى متابع لأحداث المجتمع انتشار ظاهرة زواج أثرياء الدول العربية المسنين من الريفيات صغيرات السن مستغلين فى ذلك معاناة الأسرة المصرية الفقيرة وتطلع أفرادها إلى حيازة جزء من ثروة زوج ابنتهم الباحث عن المتعة.

وتتلاشى أهمية التكافؤ العمرى بين الزوجين فى حالة الزواج داخل العائلة الواحدة، وعندما يقترب كل منهما من مرحلة الشيخوخة، فالمرأة التى بلغت من العمر خمسون عاماً لا تجد غضاضة فى الإرتباط برجل يبلغ من العمر خمس وستون عاماً. بينما الفتاة التى بلغت تسعة عشر عاماً تتردد كثيراً فى الزواج من رجل يبلغ من العمر أربع وثلاثون عاماً. فرغم أن فارق السن فى الحالتين خمسة عشر عاماً إلا أن المرحلة العمرية للزوجة فى الحالة الثانية تختلف تماماً عن المرحلة العمرية للزوج. وهذا ما يثير الاعتراض أو التحفظ. والمرأة بوجه عام بعد أن تتخطى سن الأربعين لا تعبأ كثيراً بفارق السن بينها وبين الرجل الذى يمكن أن يكون نشيطاً فى العمل ومعافى فى صحته رغم تقدمه فى العمر.

تكافؤ المكانة الاجتماعية:

يميل الرجال والنساء إلى أن يتزوجوا ممن ينتمون إلى طبقتهم، ويقيمون فى الحى السكنى الذى يعيشون فيه، ويودون الارتباط بمن هم على نفس مستواهم التعليمى.

وقد تبين من دراسة حديثه أجريت فى جامعة ميتشجان الأمريكية أن معايير الإندوجامية (الزواج من داخل الطبقة) تظهر بوضوح بين طلبة الجامعة[١].

وعند إجراء مقابلات شخصية مع الطلبة والطالبات المتزوجين الذين يعيشون فى بيوت الطلبة تبين أن الرجال الذين ينتمون إلى عائلات عالية المكانة وآباؤهم من الأغنياء يفضلون الزواج من فتيات آباؤهن من نفس المستوى المهنى والطبقى والاقتصادى. ونفس الشئ يحدث بالنسبة للجماعات المتوسطة والموظفين والطبقات الفقيرة والمهن الزراعية. ولكن عندما يحاول الأفراد الزواج من طبقة اجتماعية أعلى فإن هذا يعتبر دليلاً على وجود نمط آخر يسمى intra Class (التداخل الطبقى) يحاول الأفراد من خلاله الحصول على أفضل صفقة ممكنة بالنسبة لأنفسهم ولأبنائهم سواء على المستوى المادى أو الاجتماعى.

وقد يتأثر عامل تكافؤ المكانة الاجتماعية - بعدد من المتغيرات الأخرى التى تقلل من أهميته لدى كثير من الأسر، من ذلك، عامل السن على سبيل المثال. فالرجل عندما يتقدم فى السن ويرغب فى الاقتران بزوجة شابة، عادة ما يتغاضى عن ضرورة أن تكون من أسرة تتكافأ إجتماعياً واقتصادياً مع أسرته. وكذلك الحال بالنسبة للمرأة المتقدمة فى السن إذا ما صادفت شاباً يوافق على الزواج منها. ويميل كثير من الرجال إلى الزواج بمن هم أقل منهم تعليماً ودخلاً وذكاء فهذا يحقق لهم تماما الهيمنة على زوجاتهم ويضمن لهم تبعية الزوجة وعدم تمردها. والرجل عادة، يخشى المرأة التى تكافئة تماماً أو التى تعلو عليه فى مكانتها الاجتماعية والاقتصادية لما يرتبط بهذا الوضع من ندية ومشاركة فى الحياة الزوجية. ولهذا السبب كلما ارتقت المرأة فى السلم الاجتماعى كلما قلت فرصة زواجها، فالمرأة التى تحصل على شهادة الدكتوراه، يتردد الرجل الذى يحصل على مؤهل دراسى أقل منها فى التقدم للزواج بها، وكذلك الحال بالنسبة للمرأة التى تنتسب إلى عائلة من الطبقة الراقية المتشددة فى قبول أشخاص أدنى منهم مرتبة كأعضاء جدد فى العائلة. بعبارة أخرى، إن الفتاة التى تنتمى للطبقة العليا تجد منافسة من بنات طبقتها ومن فتيات الطبقات الأدنى التى يطمحن إلى الحراك الاجتماعى لأعلى مما يضيق فرصتها فى الزواج.

1- Ross Eshleman and Chester L. Hunt, A social, class Factors in College Adjustment of Married Students, P. 32.

التكافؤ الاقتصادى :

إذا كان كل من الفتى والفتاة من مستوى اقتصادى متقارب، فغالباً ما يستمر وينتهى بهم إلى الخطوبة والزواج. وفى الغالبية فإن الفتاة التى تنحدر من أسرة ثرية ترتبط بأسرة أخرى ثرية. ومن خلال ثروتها تستطيع أن تحقق سعراً أعلى فى سوق الزواج بمعنى أن الأسر الأخرى الثرية فى المجتمع سوف تجد فى مثل هذه الفتاة مرادها كزوجة لأحد أبنائها.

أما إذا كان هناك تفاوت فى المستوى الاقتصادى بينهما، فإن هذا التفاوت يطرح شبهة استغلال الشاب الغنى للفتاة الفقيرة، ورغبتها فى أن يمارس عليها سطوة ثرائه ومكانته. وقد تستغل الفتاة متواضعة الحال جموح الشباب لتحصل على ما تريده من مال عن طريق العلاقة التى تعد بالنسبة لها فرصة للحراك الاجتماعى الرأسى.

وقد أجرى عالم الاجتماع الأمريكى فيكتور جوناث دراسة أجراها على أساس افتراض حول الأولويات التى يعتمد فيها كل من الزوج والزوجة، وكذلك ما يحبه كل منهما فى الآخر.. وما يتمناه . وأكدت هذه الدراسة أن ٦٣٪ من النساء يعتمدون فى الأساس الأول على قدرة العريس على الانفاق حتى إن كانت تعمل وتكتسب. فانفاق الزوج على امرأته وبيته دليل على تحمله لمسئولية الحياة الزوجية.

هذا وقد ذكرت نسبة ٢٤٪ من الزوجات أنهن يحببن فى أزواجهن ما يحققونه لهن من زهو أمام الأخريات . فهو الزوج اللامع والمتألق طوال الوقت ويعتبر نجاح الزوج أحد أهم متطلبات الحياة السعيدة، حيث يوفر لهن مادة خصبة للتباهى.

أما ١٣٪ الباقية من الزوجات فقلن أنهن حل المشكلات ورسم السياسة العامة للحياة الزوجية باعتبار الرجل من وجهة نظرهن هو الأقوى والأقدر على تذليل كافة الصعاب، وحل المشكلات التى تواجههن سواء التى تخص البيت، أو حتى تلك التى تخص علاقتهن بزملاء العمل أو جيران السكن. فالرجل هو حلال العقد.

التكافؤ فى النفوذ والسلطة :

وعلى نفس النحو من المستحسن أن يكون هناك تقارب بين الأسرتين المتصاهرين فى النفوذ والسلطة. فلو أن فتاة من أسرة على جانب كبير من النفوذ

والسلطة، فإن غيرها من الأسر سوف تخطب ودها خاصة وأن الأسرة ذات النفوذ لاتجد فى نفسها حاجة لأن تتحالف مع أسر ضعيفة النفوذ فقيرة من أجل المصاهرة.

وليس معنى ذلك وجود تطابق فى هذه المستويات. ولكن المقصود هو الالتقاء عند درجات وسط بينهما ليست مستحيلة.

نظرية التكامل الاجتماعى :

تقوم هذه النظرية على أساس التكامل بين الزوجين، بحيث أن كل طرف يكمل الطرف الآخر، فإذا كان أحدهما طموحاً، يكون الآخر متواضع الطموح. إذا كان الواحد متسرعاً يكون الثانى أكثر روية. وهكذا يفتش الرجل عن الزوجة التى تختلف شخصيتها عن شخصيته.

ولعل هذا المنظور المتكامل هو الذى جعل الناس يطلقون على المرأة النصف الآخر، أو النصف الحلو المكمل للرجل.

نظرية التقارب المكانى :

وللتقارب المكانى أهمية وظيفية فى لقاء وتعارف الشباب. وقد يبنى الاختيار للزواج على أساس التقارب المكانى، أى فى نطاق الجيرة فالمنطقة السكنية هى نطاق جغرافى محدد يتيح الفرصة للقاء وتعارف الشباب. ويستطيع الرجل أن يختار منه زوجته. وقد يتأتى ذلك عن طريق الزمالة فى العمل، أو المشاركة فى النشاط الاجتماعى أو الثقافى أو الرياضى.

وتدل الشواهد على أن الناس يتزوجون ممن يلتقون بهم وهؤلاء يعيشون عادة بجوارهم سواء فى المسكن أو العمل.

الأسلوب الوالدى فى الإختيار :

يسمح هذا الأسلوب بتدخل الوالدين أو الأقارب مثل الجد أو العم أو الخال فى عملية اختيار شريك حياة إبنهم أو ابنتهم. وهم فى وجهة نظرهم يعتبرونه الأفضل. ولا يعطى للعروسين فرصة للتدخل فى هذا الموضوع. وقد يرتب الآباء للزواج وفى نفس

الوقت يعطيا ابنهما أو بنتهما حق الإعتراض . كما أنه من الممكن أن يقوم الشاب أو الفتاة بالاختيار ويمنحان والديهما حق الإعتراض.

ويؤكد الأسلوب الوالدى فى الاختيار للزواج دائماً، الاعتبارات الاجتماعية والاقتصادية ولكنه نادراً ما يعطى أدنى اهتمام إلى عاطفة الحب، أو الصلات الشخصية الحميمة التى قد تربط بين الأبناء المقبلين على الزواج.

والسعادة الشخصية ليست بالشئ الهام بالنسبة لهذا الاسلوب فى الاختيار، وهى إن أخذت فى الاعتبار ، فعلى أنها شئ ثانوى ليس إلا ، حيث يسود الاعتقاد بين الآباء والأقارب أصحاب اليد الطولى فى الاختيار للزواج، إن الحب هو أحد الأسباب لتى يحققها الزواج، أى أن عاطفة الحب تنمو تدريجياً بين الزوجين بعد الزواج لاقبله.

وقد كان النسق الوالدى فى الاختيار للزواج، هو المألوف فى الماضى كما أنه لا يزال الأسلوب المنتشر للاختيار فى الزواج، فى المجتمعات الشرقية، وهو يزدهر بعامة فى تلك الثقافات التى تكون الأسرة هى عماد تنظيمها الاجتماعى.

هذا ويُشعر اختيار الأهل المتزوج بأنه لم يشارك فى هذا الاختيار، وبالتالى يتولد عنه إحساس باللامبالاه، ويلقى بمسئولية أية مشكلة على اختيار أهله.

الأسلوب الذاتى أو الشخصى فى الاختيار للزواج :

يقل تدخل الأهل أو الوالدين فى هذا النسق، وكثيراً ما يكون تدخلهم صورياً فقط، أولا يتدخلون، ويعتبر اختيار الشريك فى هذا النسق مسألة شخصية، ويكون رأى الآباء استشارياً فقط، كما أنه ليس من الضرورى استشارتهم فى أمر زواج الأبناء، وإن كان من المستحسن أن يكونوا على علم به.

فمن الشائع فى الولايات المتحدة أن يبلغ الأبناء والديهما بأنهم يرغبون فى زواج من شخص معين، ومن المحتمل أن يبلغوهما بأنهم قد تزوجوا فعلاً من شخص بعينه. وقد يحدث أن يستشير الأبناء والديهما قبل أن يقدما على الزواج. والأمر هنا لايعدو الإستشارة.

التواعد والتلاقى :

كانت العلاقة بين الفتى والفتاة فى الماضى مقيدة إلى حد بعيد، حيث كانت العلاقات الاجتماعية بين الجنسين بوجه عام محددة، وكان هذا التحديد يرجع إلى أسباب عديدة منها :

١- أن أدوار الجنس كانت متمايزة بوضوح عما هى عليه الآن فالرجل الشاب يعد لدوره المهنى المستقبلى عن طريق والده أو الذكور البالغين الآخرين فى الأسرة، كما كانت الفتاة الشابة تعد لدورها كزوجة وأم ومدبرة منزل عن طريق والدتها أو النساء البالغات الأخريات فى الأسرة.

٢- إن وقت الفراغ كان أقل بكثير مما هو عليه الآن، وإذا وجد فإنه يقضى مع جماعة من نفس النوع أو مع الأسرة.

٣- إن اختيار شريك الحياة كان لا يتم من خلال التفاعل العاطفى بين فردين، ولكنه غالباً ما يكون مدبراً عن طريق الوالدين أو أفراد متقدمين فى السن فى المجتمع.

هذا وقد كان ينظر إلى احتياجات ورغبات الفرد فى معظم مجتمعات العالم تقريباً كجزء من احتياجات الأسرة الكلية ورغباتها، ولما كان للآباء دور كبير وهام فى عملية الإختيار الزواجى، فإن «لقاءات» الشاب والفتاة قبل الزواج أو الخطبة «على الأقل» لاتوضع فى الإعتبار. أما اليوم فإن احتياجات الفرد وأعبائه تعتبر قائمة بذاته دائما وله أهميته القصوى عنده، مما يجعله يسعى إلى تحقيقها أولاً بغض النظر عن احتياجات الأسرة ككل.

ويظهر هذا الإتجاه بشكل واضح فى نمط الأسرة الحضرية، حيث يتجه الفرد إلى الاختيار الزواجى الذى يتفق مع احتياجاته النفسية الخاصة، وحيث يسود الآن اعتقاد شديد بأن هذا يؤدى إلى سعادة شخصية عظيمة. ولهذا أصبح هناك التأكيد على العوامل العاطفية أكثر من العوامل العملية التى ترجع إلى الاحتياجات الواسعة للأسرة.

إلا أنه من الجدير بالإشارة إليه هنا أن التحول من الضبط الأبوى أو الرقابة الأبوية Parental control إلى حرية الفرد فى الاختيار لم تقض تماماً على سلطة

الوالدين، حيث ما زال الوالدان وبدرجات متفاوته يمارسون التأثير على أبنائهم، وخاصة فى المجتمعات الشرقية والنامية. ولكن نظراً لتضاؤل الرقابة الأبوية فى العصر الحديث فى عملية الاختيار الزواجى بوجه عام، فإن مقدار الوقت الذى ينفق فى العلاقات الاجتماعية التى تسبق الزواج يتزايد باستمرار، وهكذا أصبح التواعد «أى اللقاء» بين الفتى والفتاة علاقة غير مباشرة للاختيار الزواجى المستقبلى، إلا أنه عادة يحاط بالسرية حيث يسود اعتقاد بأن الاختيار الزواجى هو قرار خاص Private decision. وقد تأثرت فكرة السرية فى مثل هذه العلاقة الثنائية إلى حد كبير بسبب تزايد الاعتماد على (خارج المنزل) لاشباع الاحتياجات الترفيهية، فالترفيه كان محصوراً فى الماضى داخل نطاق الوحدة الأسرية ولكنه الآن ونظراً لتطور وسائل الترفيه التجارية فقد أصبح الوقت الذى يقضيه الشباب فى المنزل قليلاً للغاية.

وهناك عامل آخر ارتبط بالتحرر النسبى من الوالدين، وهو الحرية التى حصلت عليها المرأة فى العصر الحديث، فالتواعد ما كان يتم بصورته الحالية إذا كانت الحرية من حق الذكر فقط. لكن حصول المرأة على حق العمل فى المهن المختلفة، وفى استكمال تعليمها، وفى مساواتها القانونية بالرجل، والسماح لها بحرية أكبر فى علاقتها الاجتماعية جعلها تطالب فى كثير من المجتمعات الآن بحرية أى فى إنشاء العلاقات التى تسبق الزواج. وجدير بالذكر أن المجتمعات الأوربية والأمريكية لاتنكر على المرأة نفس الحقوق التى للذكر فى الحب والعلاقات الجنسية التى تسبق الزواج بعكس الحال فى المجتمعات الشرقية التى تغض الطرف عن علاقات الرجل الجنسية قبل الزواج بينما ترفض بشكل قاطع أى نوع من العلاقات بالنسبة للمرأة.

وعموماً فالقواعد أو ضرب المواعيد للقاء يعتبر عادة غربية أساساً. ولكن بدأت تظهر حالياً فى المجتمعات الشرقية نتيجة للاتصال الثقافى بين المجتمعات المختلفة عن طريق وسائل الإعلام والسينما وسفر الشباب للخارج والتعليم وخروج المرأة للعمل إلخ.. ويعتبر الموعد أو التلاقى Date غاية فى حد ذاته، وينظر إليه كنوع من الترفيه وقد يتوقف تكراره بعد فترة قصيرة من الوقت، وقد ينتهى عند المقابلة الأولى، ولكن فى حالة تكراره فإنه يتحول إلى علاقة من نوع جديد.

وتميل الأسر المحافظة إلى الموافقة على التواعد بين الخطيبين مع التشديد على أن يكون ذلك فى الأماكن العامة المأهولة بالرواد كالحدائق وألا تتأخر الفتاة حتى ساعة متأخرة من الليل، وغالباً ما يصحبها فى ذهابها إلى مكان التواعد أخوها أو أختها التى تصغرها فى السن. وتراقب الأم بعناية مواعيد خروج ابنتها وعودتها من لقائها مع خطيبها الذى عادة ما يقوم بإحضارها بنفسه إلى منزلها فى الموعد المحدد لها من الأسرة. ويعد التزام الفتى بمثل هذه الأنماط السلوكية مؤشراً طيباً على جديته فى الارتباط بالفتاة ودليلاً على اهتمامه بالمحافظة على سمعتها وسمعة أسرتها.

ويبدأ التواعد بين الفتى والفتاة عادة بأن يعرض عليها الخروج معه لتمضية بعض الوقت فى رحلة أو لمشاهدة فيلم سينمائى أو للتنزه . ويقوم الفتى بعد موافقة الفتاة إذا كانت من أسرة تعتنق القيم الغربية أو بعد موافقة أمها أو أبيها إذا كانت من أسرة محافظة بالحضور إلى منزلها لاصطحابها إلى المكان الذى يقصدانه ثم عليه أن يعيدها بعد ذلك إلى أسرتها ويظل مسئولاً عنها طيلة الوقت الذى تمضيه معه.

وليس الغرض من التواعد هى أن يمضى الفتى والفتاة وقتاً سعيداً فحسب وإنما هناك وظيفة كامنة له وهى أنه يساعد الفتى خلال ذلك الوقت على إقناع فتاته بأنه الشخص المناسب لها. وأنها ستلقى فى حياتها معه كل رعاية، ومن ثم سيكون زواجهما المستقبل مشروعاً ناجحا بمعنى الكلمة. ويعتبر فشل الفتى فى نقل هذه الرسالة إلى فتاته عاملاً مهما فى فسخ الخطوبة وعدم إتمام الزواج ويكشف التواعد أيضاً عن كثير من طبائع كل طرف أمام الآخر، من ذلك على سبيل المثال، ميل الفتى إلى التقتير واتصافه بالانانية وحب الذات والجبن وغير ذلك من الصفات التى لا يمكن ملاحظتها إلا من خلال التفاعل الاجتماعى الذى يتم فى مواقف اجتماعية متعددة.

ويعد اللقاء الأول بين الفتى والفتاة، سواء كان تحت إشراف أسرتيهما أو خارج نطاق المعرفة الأسرية، حدث مهم قد يدعم العلاقة بينهما أو يقوّضها. ويعتمد نجاح هذا اللقاء على ما يصدر عن كل منهما من سلوك. وبوجه عام، من المفضل أن يبدأ الفتى اللقاء بالتعريف المختصر عن نفسه وعن أسرته ثم يطلب من الفتاة أن تعرفه بنفسها وبأسرتها، على أن يدور الحوار بينهما بعد ذلك على الخبرات والتجارب الخاصة بكل منهما مع مراعاة أن يهتم الفتى بالتأكيد على أدق أدوار الزواج.

الحب

غالباً ما يستند الزواج فى الحالة السابقة على توافر مشاعر الحب بين الفتى والفتاة قبل الزواج. فقد تنشأ علاقة الحب بين فتى وفتاة عندما يرى كل منهما فى الآخر المثال الذى يبحث عنه. ولاشك أن الحب مطلوب فهو يساعد الزوجين على التوافق ومواجهة صعوبة الحياة.

ويتجلى عنصر الحب بوضوح عندما تصرح فتاة بقولها : إننى لا أستطيع أن أتزوج إلا شخصاً يحبنى وأحبه. فالحب يؤكد توافر العاطفة بين فردين كل منهما تجاه الآخر.

ويؤكد بعض الباحثين أن الحب ضرورى للزواج، إذا تزوج الناس طبقا للمعايير التى ورثوها عن آبائهم ستكون النتيجة انتشار نوع من التمسك بالتقاليد العتيقة الأمر الذى يخنق أى نمو فى الشخصية ويقضى على أى تطوير فى العلاقات بين الأشخاص.

ولاشك أن الحب مطلوب ولكن بشرط أن يكون متبادلاً بين الطرفين. وهنا تبدو مقولة تقول : خذى اللي يحبك، ولا تأخذى اللى أنت بتحبيه. ومن العيب أن تستمر فتاة فى الاتصال بفتى أحلامها مرة وعشر مرات دون أن يتصل هو بها أو يسعى لرؤيتها.

والحب يمكن أن يحدث هزة واضحة فى البناء الاجتماعى، ذلك أنه إذا لم يتم التحكم فى مشاعر الحب وضبطها فإنها قد تؤدى إلى زيجات غير متكافئة ينجم عنها خلل فى الترتيب الطبقى للمجتمع واختلاط فى الأنساب والسلالات. وتتكفل المجتمعات بوضع الضوابط التى تحول دون حدوث ذلك الخلل. ففى الولايات المتحدة، على سبيل المثال، يقوم الوالدان وجماعة الأصدقاء بممارسة تأثير على الفرد لتضييق نطاق اختياره لشريكة حياته بحيث يتم هذا الاختيار فى إطار ما يوافقون عليه اجتماعياً. بعبارة أخرى، يقوم الوالدان بالتحكم فى علاقات الحب وما يمكن أن تسفر عنه من نتائج تؤثر على هيكل البناء الاجتماعية من خلال مراقبتهم لشبكة الاتصالات غير الرسمية لأبنائهم والعناية باختيار الحى السكنى الذى يعيشون فيه، وانتقاء المدارس التى ألحقوهم بها، والاشراف على الحفلات التى يقومون بتنظيمها لابعادهم عن

الاختلاط ببعض الأشخاص غير المرغوب فيهم – من وجهة نظر الآباء – من الذين ينتمون إلى جماعات دينية أو عرقية مختلفة أو ممن لهم اتجاهات ثقافية لا يوافقون عليها. ولما كان الأبناء لا تتهيأ لهم الفرصة للتعرف إلا على الاشخاص الذين يريدون الآباء لهم أن يتعرفوا عليهم، فإن مشاعر الحب غالباً ما تنحصر في دائرة الأشخاص التي رسمها الآباء.

ويعارض بعض الآباء هذا الاتجاه بقولهم أن الحب بين الزوجين يتولد عن المعاشرة الطيبة بعد الزواج ويبرهنون على قوة حجتهم بفشل زيجات كثيرة قامت على الحب وحده، فليس بالحب وحده يحيا الإنسان، فهناك الخبز الذى هو أكثر أهمية من الحب، وقد تفرض الاعتبارات العملية في المجتمعات التي تعاني من أزمات اقتصادية طاحنة أن تتخلى الفتاة عن معيار الحب في اختيار شريك الحياة وتبنى اختيارها على فكرة التوافق أو الانسجام بين شخصيتها وشخصية زوج المستقبل.

وقد تبين أن الزواج الذى يستند إلى معيار الحب فقط، ينتهى فى كثير من لأحيان بالفشل ويرجع هذا إلى أنه زواج يستند إلى عنصر واحد هو الحب. أما بقية العناصر الأخرى فلم توضع فى الاعتبار؛ مما يساعد على عدم الاستقرار الزواجي، وبالتالى ارتفاع معدلات الطلاق.

وعلى ذلك:فإن الأفضل هو فى التوسط والاعتدال. فرأى الشباب مهم ولابد من إشراكهم فى الاختيار والاجراءات حتى يشعروا أنهم طرفاً أساسياً فى تقرير مصيرهم. وفى المقابل يجب أن يعرض الشباب شريك حياتهم على الأسرة.

الاختيار الزواجى فى المجتمع المصرى

تختلف عمليات الاختيار الزواجى فى المجتمع المصرى تبعاً للطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها الشباب المقبل على الزواج. كما أن درجة الحرية تتفاوت من طبقة لأخرى. فالأفراد فى الفئات العليا يؤمنون بضرورة تبادل الحب بعد التعارف على الأقل قبل الزواج، وقد ظهر هذه الاتجاه نتيجة للتغيرات الاجتماعية التى تعرض لها المجتمع. ذلك لأن إتاحة الفرصة أمام الفتيات لتلقى العلم ووجودها إلى جانب الشباب فى

ميادين التعليم والعمل خلق ظروفاً متعددة للتفاهم والحب قبل الزواج، ومع ذلك يميل معظم أفراد الطبقة العليا إلى أخذ رأى والديهم عند الزواج واضعين فى أذهانهم إعتبارات كثيرة مثل إسم الأسرة والأصل العريق والمستوي الاقتصادى المرتفع الذى يسهم الآباء فى الوصول إليه. ويلاحظ أن أفراد هذه الطبقة يعتبرون أنفسهم من «طبقة الصفوة» . أما أفراد الطبقة المتوسطة فهم يميلون إلى المحافظة والتطلع فى نفس الوقت، إلا أنهم يتزوجون أكثر من غيرهم بفتيات ينشئن معهن علاقات زمالة أو عمل وهم فى العادة متواضعون فى مطالبهم، ولكن يلاحظ أن مفهوم الاختيار الزواجى الحرية عند الطبقات الدنيا عدم وجود عنصر القسر أو الإكراه على الزواج. وهناك اتجاه يؤيد إعطاء حرية أكبر نسبياً للقاء الخطيب وقد دلت أبحاث كثيرة أنه ما زالت نسبة كبيرة من الزيجات تتم عن طريق الوالدين والأقارب خاصة بين الفئات الفقيرة، كما أن الكثيرين يرفضن الاعتراف بأن زواجهم كان عن طريق الحب لأن تقاليد المجتمع المصرى والأسرة المصرية بوجه عام وحتى اليوم لا يشجع ارتباط الفتى والفتاة عن طريق الحب الرومانتيكى.

أما فى قرى الريف، وفى صعيد مصر، فما زالت ألوان التعبير العنصرى هى السائدة رغم انخفاض نسبته نتيجة انتشار وسائل الاعلام لاسيما التليفزيون خاصة فى قرى الريف، وفى صعيد مصر. ففى قبائل البدو فى شبه جزيرة سيناء ترفض بعض القبائل التزويج بقبائل أقل فى المستوى الاجتماعى. بل يوجد داخل القبيلة الواحدة عائلات ترفض أن تزوج بناتها لعائلات أقل مستوى رغم أنهم يشتركون جميعاً فى النسب نفسه. وهناك قبائل ترفض التزويج من خارجها حتى لو كانت القبائل الأخرى توازيها فى المستوى.

وتوجد هذه الظاهرة كذلك فى قرى الريف، وفى الصعيد . فهناك عائلات تتمسك بألا يتم الزواج من خارج العائلة خاصة بالنسبة للبنت، حتى لا يخرج ما ترثه من عائلتها إلى عائلة أخرى إذا ما تزوجت منها بينما يمثل الولد العصب الذى يأتى بالميراث ولا يخرج به.

والفتاة فى الريف وفى الصعيد ليس لها الحق فى أن تبدى رأيها فى العريس أو ترفضه؛ وهو زواج عائلى، وليس فردى، فهو يتم بين عائلتين متساويين فى المستوى، وليس بينهما أى نوع من الخصومات.

وتتحكم التقاليد العنصرية فى الزواج عند أهل النوبة. وهم مجتمع مغلق يتم فيه الزواج من داخل المنطقة . إلا أن نقلهم من مناطقهم الأصلية بسبب الآثار والنوبة قد خفف إلى حد كبير من هذه العنصرية. إذ وقعت حالات زواج بين نوبيات أو نوبيين وبين غيرهم من خارج المجتمع النوبى.

أما فى مناطق قنا وسوهاج فنجد قبائل عربية كالهوارة والأشراف ترفض تزويج بناتها من خارجها حتى لو تزوجن شباباً من نفس القبيلة، وأقل منهن فى المستوى التعليمى(١).

مرحلة الخطوبة :

الخطبة موجودة فى كل المجتمعات فى العالم، وإن اختلفت أشكالها، إذ نادراً ما يحدث الزواج فجأة أو بدون تمهيد. وتبدأ الخطبة بتقديم خاتم الخطبة أو الشبكة، وهى عادة من معدن نفيس كالذهب والماس، وتتفاوت قيمتها تبعاً للطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها العروسان.

ويرمز خاتم الخطبة والشبكة إلى جدية العلاقة والرغبة فى إتمام الزواج. ومع ذلك فهى ليس لها اعتبار شرعى وليست ضماناً نهائياً لإتمام الزواج. فكثيراً ما تنفك الخطوبة ويصبح الطرفان فى حرمة الارتباط المبدئ، بدون أن يترتب على ذلك أية إجراءات شرعية.

وتسبق الخطوبة مرحلة عقد الزواج. وتعد مرحلة تحضيرية تهدف إلى توثيق العلاقات بين أسرتى الزوج والزوجة، ووضع أسس الحياة الزوجية، والاتفاق على المبادئ والاتجاهات العامة التى تسود هذه الحياة، والخطبة هى الوسيلة الوحيدة

١- جريدة العروبة، العدد ٣٢٩ فى ١٩٩٩/١/٢٧ ص ١٢.

المقبولة من الأسرة والمجتمع للتعارف بين الفتى الفتاة. ومع ذلك فيتخللها الحذر المتبادل، والذى قد يصل إلى درجة التشكك.

والملاحظ أن هذه المرحلة الإنشائية تختلف فى المجتمع الريفى عنها فى المجتمع الحضرى. ففى الريف لا تطول عادة هذه المرحلة ولا تتاح الفرصة للخطيبين أن يلتقيا أو يدرسا طباعهما وعاداتهما وميولهما. لأن التقاليد الريفية لا تتيح مثل هذه الاتصالات إلا فى أضيق الحدود وفى المناسبات الرئيسية. ولذلك فإنه من الصعب تكوين رأى واضح عن مستقبل الحياة الزوجية إذ تصبح هذه الحياة رهينة المصادفات والمشيئات. فقد يسعد الخطيبان بحياة زوجية مستقرة هادئة؛ وقد تصبح حياتهما جحيما لا يطاق. أما فى المدن فحيث الاستنارة واتساع الافق الثقافى والتحرر من خشونة التقاليد وأحكام العرف؛ فإن معظم الأسر تتيح للخطيبين الفرص لتبادل وجهات النظر والاتفاق على المسائل المتصلة بمستقبل الحياة الأسرية حتى تقوم هذه الحياة على فهم واضح وتقدير سليم بعيد عن التغرير والمظنة.

مرحلة التعاقد :

تبدأ هذه المرحلة بعقد الزواج بصفة رسمية . وتعتبر بدء الحياة الزوجية وتنفيذ المرحلة الانشائية. وتكون بدايتها قضاء شهر العسل حيث يعيش الزوجان معاً، ويتعاشران معاشرة شرعية وقائمة فى فراش صحيح.

وتعتبر هذه المرحلة من الناحية الاجتماعية أدق أدوار الزواج، إذ تكشف المعاشرة عن درجات متفاوتة من الاختلاف بين النموذج المثالى الذى رسمه كل منهم فى رأسه، والواقع الاجتماعى الذى يعيشانه، حيث يبدأ كل من الزوجين فى الاصطدام بحقائق كان لا يرناها من قبل فى شريك حياته.

مرحلة الإنجاب :

وهى فى الحقيقة العهد الذهبى للأسرة؛ عهد الاستقرار والفهم الصحيح للحياة الأسرية والإدراك المباشر لمسئولياتها. لأن الروابط الأسرية قد تأكدت فى نفوس الزوجين بعد إنجاب الأطفال حيث تظهر مشاعر جديدة وإحساسات كانت كامنة فى

الطبيعة الإنسانية. وتتحدد الأوضاع والمصطلحات الاجتماعية المتعلقة بالأبوة والأمومة وقرابة المصاهرة والرضاع وطبقات المحارم وما إليها من الظواهر الاجتماعية المتعلقة بقيام الأسرة. وتظهر في هذه المرحلة الحاجة إلى تنشئة الأطفال اجتماعيا.

ومن أهم سمات هذه المرحلة :

١- تدريب الأطفال على تحمل المسئولية والشجاعة والاعتماد على النفس.

٢- تشجيع الأطفال على التحصيل الدراسي والنشاط العقلي بصفة عامة.

٣- ترسيخ قواعد الضبط الاجتماعي في الأسرة من عقاب وثواب.

٤- مساعدة الأطفال على اكتساب خبرات اجتماعية خلال اختلاطه برفاق اللعب وجماعات الأصدقاء حيث تتسم العلاقات بين الأطفال بالأخذ والعطاء والتعاون مما يؤثر على نموهم الاجتماعي تأثيراً كبيراً.

وفي هذه المرحلة تواجه الأسرة كثيراً من المشاكل الداخلية والخارجية. الأولى مثل مشاكل السكن والخدم والحموات وشئون الميزانية . والثانية مثل إلحاق الأولاد بالمدارس والمواصلات وشئون العلاج.

مرحلة السكون والاستقرار: وهي العصر الفضي من حياة الأسرة. وفيها يكبر الأولاد ويصبحون عناصر منتجة ويستطيعون الاعتماد على أنفسهم. كأن يصبح الولد موظفاً أو عاملاً أو تاجراً أو قائماً بأي عمل يغنيه، وكأن تصير البنت زوجة أو تشغل عملاً شأنها شأن الرجال، وفي هذه الحالة يتحرر الوالدان من الأعباء الثقيلة والهموم البالغة التي طالما أثقلت كاهلهما فيخلدان إلى الراحة والإطمئنان ويشعران بالسعادة نحو غرسيهما؛ وينتظران البر والتكريم في شيخوختهما. غير أن كثيراً من الأسر لاتخلو من مظاهر العقوق فيقاسي الأبوان من حالات القطيعة والعوز ؛ مما يثير الغضب والنقمة على ناكري الجميل. وقد حفظت الشرائع والقوانين الوضعية للوالدين حق الرعاية في كبرهما ونصت في دستورها الأسرى على ما ينبغي اتخاذه حيالهما إذا لجأ إلى القانون[1].

١- د. مصطفى الخشاب. دراسات في علم الاجتماع العائلي ص ص ٥٢ - ٥٥.

الأسرة بعد كبر الأبناء :

يكبر الأبناء ويتزوجون ويخرجون من بيت أسرة التوجيه إلى الأسرة النواه. وتفرض ظروف الحياة واقعاً جديداً يتمثل فى انشغال الزوج الذى يكون على قمة تدرجه الوظيفى أو مشغولاً بأعماله المزدهرة، وفى حين تظل الزوجة وحيدة معظم الوقت تعانى مشاعر الفراغ والإحباط. وتشهد ساحات العمل الاجتماعى مثل الجمعيات الخيرية والأندية أنشطة كثيرة تقوم بها سيدات متقدمات فى العمر لشغل أوقات فراغهن بسبب زواج الأولاد وانشغال الزوج.

ومع كبر الأولاد ومرور السنوات على الحياة الأسرية تطرأ تغيرات كثيرة على بناء الأسرة وعلاقات أفرادها نلقى الضوء على بعضها لتحديد أبعادها والآثار المترتبة عليها.

ومع قدوم أول حفيد يصبح التسليم بالشيخوخة أمراً لا مناص منه. وكثيراً ما نسمع من بعض النساء قولهن أن زواج أبنائهن جعلهن يكبرن قبل الأوان، وقد تصر المرأة منهن على الإنجاب وقد جاوزت الأربعين عاماً لتوهم نفسها ومن حولها أنها لا زالت فى سن الخصوبة ولم تعد عجوزاً عقيماً. وتبدو مثل هذه المشكلات أكثر وضوحاً عندما يتزوج الإبن ويأتى بزوجته الشابه للعيش مع أمه فى مسكن واحد. فتحاول الأم أن تتغلب على شعورها بفقدان أو تضاؤل دورها الاجتماعى ببسط مزيداً من السيطرة على الإبن وزوجته. وإذا كانت الزوجة الشابه لديها ميول للعيش معيشة مستقلة داخل المسكن الذى توجد فيه أم زوجها، يكون عليها أن تواجه مشكلة إصرار الحماة على بقاء بناء القوة فى صالحها.

إنهاء الحياة الزوجية بالترمل :

تنتهى الحياة بوفاة أحد الزوجين. وهذه النهاية المؤلمة تعنى أن تلك الحياة المشتركة قد انتهت إلى الأبد. وترمل المرأة يمثل مشكلة معقدة بالنسبة لها وخاصة إذا كانت قد تجاوزت العقد الرابع من عمرها. ففى هذه المرحلة العمرية تفقد المرأة قدراً كبيراً من نضارتها. ومن النادر أن تتزوج مرة أخرى لتبدأ حياة زوجية جديدة.

بالإضافة إلى ذلك، فى هذه السن المتقدمة يبدأ الأولاد فى الاستعداد لمغادرة المنزل للزواج أو للعمل واحداً تلو الآخر ليتركوا أمهم تعانى الوحدة والفراغ. وإذا كانت هذه الأرملة من غير العاملات، فليس من الممكن أنْ تجد فرصة عمل ملائمة لها مما يضاعف من مشاكلها الاجتماعية وخاصة إن لم يكن زوجها قد ترك لها ما يكفيها مئونة طلب المساعدة المالية من الآخرين.

أما حادث الترمل بالنسبة للزوج فهو أقل وطأة، إذ يستطيع الرجل فى سن الأربعين أو الخمسين أن يجد زوجة مناسبة ليستأنف معها حياة زوجية جديدة وخاصة إذا كان متمتعا بصحة جيدة ولديه من المال ما يساعدة على الحياة فى يسر. ولكن زواج الأرمل مرة ثانية لا يتم دون اعتراض شديد من أبنائه الكبار وخاصة إذا كان هذا الزواج يحتمل أن يثمر عن ميلاد أخ لهم يشاركهم فى ميراثهم المتوقع من أبيهم. وتحفل المحاكم بكثير من القضايا التى يحاول فيها الأبناء إثبات سفه آبائهم لزواجهم فى سن متقدمة وذلك لتأمين حقهم فى مال أبيهم. ولا يجد الناس بوجه عام غضاضة فى زواج الأرمل الذى ينبغى أن يجد من يرعى شئونه وشئون أبنائه.

وإذا كان رفض الأبناء زواج أبيهم الأرمل شديداً فهو يكون أشد بالنسبة لأمهم التى لا يقبلون، وهى فى سن متقدمة، أن تصبح زوجة رجل آخر. وتتصاعد حدة الرفض إذا كانت الأم ثرية وذلك خشية أن يستحوذ زوجها الجديد على مالها ويحرمهم مما يرون أنه حقهم البشرعي. وبوجه عام، يبنى الناس اعتراضهم على زواج الأرملة على أساس أن زواجها يتناقض مع قيم الوفاء لذكرى زوجها السابق.

والواقع أن استئناف الرجل أو المرأة لحياة زوجية جديدة بعد وفاة شريك الحياة الأول مسألة يجب أن تترك لتقدير أصحاب الشأن دون التدخل من أحد، فالمرأة أو الرجل أقدر من غيره على تحديد مقدار ما يستطيع أحدهما تحمله من آلام الوحدة والفراغ. ويمكن تسوية الحقوق المالية للأبناء، الذين يرون فى زواج أمهم أو أبيهم تهديداً لميراثهم، بطريقة تبعث فى نفوسهم الطمأنينة من هذا الزواج، فالهوى الجامح والطيش وسوء التقدير الذى قد يصيب المرأة أو الرجل فى أواخر العمر يبرر تدخل الأبناء بطلب الحجر على تصرفات آبائهم أو أمهاتهم. وهو عمل يترك آثاراً غائرة فى النفوس كفيلة بتدمير كل الروابط الأسرية[1].

١- انظر د. السيد عبد العاطى السيد وآخرين *الأسرة والمجتمع*. ص ص ٤٦ -٥٨.

الفصل الخامس
مشكلات الأسرة
المشكلة الاجتماعية

المشكلة هى خلل فى البناء أو انحراف داخل إطار المجتمع. وهى معوق وشئ ضار بنائيا ووظيفياً، وتعوق تحقيق إشباع الاحتياجات الإنسانية الأساسية.

والمشكلة الاجتماعية هى حدوث خلل أو إنحراف فى العلاقات الإنسانية، وهى كذلك سلوك انحراف وتفكك اجتماعى أو الاثنين معاً مما يؤثر على المصالح الرئيسية لكثير من أفراده.

مفهوم المشكلة الأسرية :

المشكلة الأسرية ظاهرة اجتماعية أبدية، وإن اختلفت درجة حدتها. ولا يوجد مجتمع يخلو من المشاكل الأسرية، كما لا يوجد فترة فى الحياة الزوجية تخلو من الأزمات والتفكك. ومن الممكن أن نطلق على فترة الاستعداد لاستقبال الطفل الأول للأسرة أزمة، وكذلك الأمر عندما تنخفض مستويات الإرضاء والاشباع الزواجي، أو عندما تحدث صراعات الأدوار.

هذه الصعوبات والأزمات إذا تركت دون مواجهتها فإنها تؤدى إلى تفكك وانهيار. فالعلاقات الأسرية السوية هى التى تعمل على مواجهة هذه الصعوبات وتذليلها والتغلب عليها.

وتعرف المشكلة الأسرية أنها شكل مرضى يصيب الأداء الاجتماعى، ينتج عنه أثر سئ فى الفرد كعضو فى الأسرة، أو فى الأسرة ككل. أو هى حالة الاختلال الداخلى والخارجي التى تترتب على حاجة غير مشبعة عند الفرد كعضو فى الأسرة أو مجموعة الأفراد. مما يترتب عليه نمط سلوكى يتنافى مع الأهداف المجتمعية ولا تسايره.

ولاشك أن التغيرات الاجتماعية تؤثر تأثيراً كبيراً على النسق الأسرى، سواء بالإيجاب أو بالسلب، فتتصدع الأسرة وتنهار كلية؛ مما يترك أكبر الضرر بالمجتمع، كذلك إذا تحسنت شئون الأسرة تحسنت أحوال المجتمع، فالبيوت التى يسودها روح الود والتفاهم القائمان على الثقة والاحترام والمحبة والتقدير، والتى توازى بين التقيد والتحرر هى بيوت يتخرج منها الأصحاء الأسوياء من الراشدين.

أما إذا ساءت أحوال الأسرة ساءت الحياة الاجتماعية، فالبيوت التى ترضع أبناءها مشاعر النقمة والحمق القائمة على الرعب والغيظ فهى تخرج للمجتمع المنحرفين والمشكلين.

وقد تعرضت الأسرة فى العصر الحديث لأزمات وتصدعات متعددة. ومن العلماء من قسم مشكلات الأسرة حسب التقديم المرحلى - أى بحسب المراحل التى منها تظهر فيها الدورة الأسرية : كمرحلة ما قبل الزواج، وأهم مشكلاتها سوء الاختيار الزوجى، وقصور الثقافة الأسرية، والاختلاط بين الجنسين، ومشكلة الاطفال اللقطاء، ومشكلة الإسكان، والتغالى فى المهور وغيرها .

ومن مشكلات مرحلة ما بعد الزواج : سواء التوافق العاطفى والجنسى، والغيرة والخيانة الزوجية، والصراع على السلطة فى البيت، ومشكلات المرأة العاملة وتنافر الثقافة، والقيم، والميول بين الزوجين، والأدمان على الخمر والمخدرات والمقامرة؛ والاسراف والبخل والفشل فى تكوين علاقات ناجحة مع الآخرين، ومشكلة الخدم، ودور الحضانة والمواصلات والمرض والعقم والهجر والسجن والطلاق وتعدد الزوجات والوفاة والبطالة والفقر وسوء تربية الأبناء وانحراف الأحداث.

ومرحلة ما بعد زواج الأبناء وتقاعد رب الأسرة ومن مشاكلها الشعور بالوحدة، وهجر الأولاد، وضعف الدخل، وأمراض مرحلة الكبير (الشيخوخة).

ومن العلماء من يقسم المشاكل الأسرية إلى مشاكل خاصة، ومشاكل عامة؛ فالمشاكل الخاصة تتعلق بالزوج أو الزوجة كالكراهية وسوء المعاملة والفرق بين الزوجين فى الثقافة أو فى السن والاصابة بالأمراض أو بالعقم وغير ذلك.

والمشكلات العامة ترجع إلى المجتمع الخارجي بما فيه من تقاليد وعادات ومواريث ثقافية سيئة كالأخذ بالثار ، ومشاكل اجتماعية واقتصادية سيئة، تؤثر فى الأسرة بشكل ما كالاصابة بالأمراض المختلفة كأمراض سوء التغذية أو انحراف الأحداث أو سوء حالة السكن ... وغير ذلك.

ومن العلماء من أرجع المشكلات الأسرية إلى عوامل داخلية تتمثل فى الآتى:

١- الوراثة، والنواحى العقلية والجسمية والنفسية.

٢- تعارض الأنماط السلوكية للزوجين حول أساليب التنشئة الاجتماعية تجاه تربية الأطفال وطرق اتخاذ القرارات ومعاملة الآخرين.

٣- عدم تماثل الصفات والقيم والعادات والتقاليد الاجتماعية عند الزوجين بما يؤدى إلى نشأة الصراع والتوتر وتفكك وانحلال الأسرة.

٤- انخفاض مشاعر الحب والسعادة والتعاون تدريجياً بعد الزواج يؤدى إلى التوتر والفشل فى تحقيق العوامل التى كانت متصورة قبل الزواج.

٥- قد يؤدى عدم إنجاب الأطفال إلى انفصال رابطة الزوجية . كما أن وجود الأطفال وكثرة عددهم لا يمنع من هذا الإنفصال وخاصة إذا ما إرتبكت الأحوال المادية للأسرة.

٦- إنعدام التفاهم وتوقف التفاعل بين الزوجين وخاصة فى المسائل المتعلقة بالسلطة وتحمل مسئولية الأسرة من الناحية الاقتصادية، والمبادئ العامة فى تربية الأطفال واعتراف الرجل بدور المرأة أساساً فى القيام بالأعمال المنزلية والمحافظة على الأبناء ورعايتهم وإذا انعدم هذا الإعتراف المتبادل لدور كل من الزوجين يؤدى إلى إحداث فجوة قد تتسع ويصبح من الصعوبة إيجاد قنوات اتصالية لمواجهة المشكلة.

٧- اندفاع المرأة المتسرع وتمكنها بشئ من التحدى بالحقوق القانونية السماوية لحقوق الرجل . ومما لاشك فيه أن التركيز على الأدوار المتساوية بين الزوجين يؤدى إلى تصدعات خطيرة فى وحدة الأسرة وتماسكها.

٨- التدخل فى حياة الأسرة من جانب الأقارب أو الأصدقاء أو الجيران وهذا له تأثيره الخطير فى طبيعة الأمور العائلية . ويؤدى هذا التدخل إلى نشأة التوتر وزيادة حدة الصراع الأسرى. والأبحاث العلمية خير دليل على تحديد مؤثرات التدخل الخارجي على زيادة التوتر والصراع الأسرى.

٩- عدم الوفاء والإخلاص والوضوح والصراحة والصدق فى المعاملات الزوجية.

١٠- قلة وسائل الترويح التى تحدد وتنشط حياة الأسرة وتنقلها من فترة وأخرى بعيداً عن طبيعة الحياة الرتيبة اليومية وبصورة خاصة انطلاق الأطفال بعيداً عن الحيز المكانى المغلق إلى تفاعل جديد مع الأماكن المفتوحة تجديداً لنشاطهم وإكساباً لمعارف جديدة وترويحاً عن النفس وتنفيساً عن الطاقات الحبيسة.

١١- تعدد الزوجات وما يتصل به من مشكلات تؤدى إلى التوتر فى محيط الأسرة مثل عدم العدالة فى معاملة الزوجات والعطف على ولد دون الآخر وعدم الوفاء بمطالب الأسرة(١).

أما العوامل الخارجية، فهى التى تأتى من خارج نطاق الأسرة مثل الحياة المدنية فى المجتمعات الحضرية، والأصدقاء، وأصدقاء العمل، والمدرسة، ومستوى الجيرة الذى تعيش فيه الأسرة، ووسائل الإعلام المختلفة مثل الصحف، والإذاعة، والتليفزيون، وكلها عوامل تؤثر بدرجة كبيرة على أفراد الأسرة، مما يؤدى إلى تفككها.

وللتفريق بين المشاكل الداخلية الذاتية والمشاكل الموضوعية، نذكر أن موت الزوج يعد مشكلة شخصية. أما الترمل فهو مشكلة اجتماعية عامة. وعلى الرغم من أن هذا قد يكون مجرد تفرقة عقلية، لأن المشكلة الشخصية من هذا النوع يكون لها عواقب جتماعية أيضاً، لأن الإرملة فى مثل هذه الحالة ستضطر إلى إحداث بعض التغيرات والمكيفات الشخصية والاجتماعية. وقد يتدخل المجتمع بصورة مباشرة فى المشكلة الشخصية لو كان موت الزوج مثلاً سيؤدى إلى انقطاع الدخل واضطرار الأرملة إلى

١- انظر د. خيرى خليل الجميلى وآخرين. المدخل الممارسة المهنية فى مجال الأسرة والطفولة. ص ص ٢٨-٢٩.

طلب العون من الأموال العامة[١].

أما عن العوامل الخارجية، فقد يكون هناك بعض الأقارب ذوى النفوذ القوى على بعض أفراد الأسرة فيخضعون لتأثيرهم، وينفذون توجيهاتهم ويكون فيها ضرراً كبيراً. ومثال ذلك تأثير أم الزوجة أو أحد أقاربها عليها أو تأثير أم الزوج أو أحد أقاربه عليه.

كما أن هناك بعض الأصدقاء المؤثرين على أفراد الأسرة تأثيراً سيئاً بما يعرضهم لكثير من المشكلات التى تنعكس على الأسرة، وخاصة أصدقاء السوء الذين يجذبون كل من يصادقهم إلى مختلف أنواع السلوك المنحرف.

أما الجيرة ومستوى الحى فقد تكون تأثيرها سيئاً على أفراد الأسرة فتنساق الزوجة لأحد الجارات وتعمل بتوجيهها دون تفكيراً أو تدبر فتعرضها لكثير من المشكلات والأزمات الزوجية. ونفس الشئ يمكن قوله بالنسبة للزوج عندما يؤثر عليه جار من جيرانه.

ولا يمكن أن نتغافل عن ذكر المؤثرات الحسنة لوسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وتليفزيون وسينما ومجلات وكتب وذلك لما تنشره من معلومات وحقائق وأخبار ووقائع وأفكار وآراء لتحيط الناس علماً بموضوعات معينة من السلوك.

ومع ذلك فهناك جوانب فى هذه الوسائل لعل أبرزها - وكما قالت دوروثى كوهيه استاذه التربية أن التليفزيون قد سرق من الأطفال فرحتهم الطبيعية فى الكلام واللعب، والعمل وأعاق نموهم السوى[٢].

وقد أثبتت الأبحاث التى تجرى على الأسر أن شأنها شأن أى نظام اجتماعى آخر واجهت الأزمات والتصدعات، وأصبحت مشكلاتها كثيرة ومتشابكة. وتختلف نوعية مشكلاتها باختلاف نظرة المجتمع لها، وباختلاف ظروف المجتمع وملامحه البنائية.

١- د. غريب سيد أحمد وآخرون. دراسات فى علم الاجتماع العائلى ص ٢٨٢.

٢- مجلة حريتى . العدد ٤٩٤ بتاريخ ١٩٩٩/٧/٢٥ ص ٧٥.

وبالتالى فإن ما كان يمثل مشكلة للأسرة فى الماضى ربما لا يصبح اليوم بمثابة مشكلة. ومن ثم فقد اختفى بعضها وظهر البعض الآخر الذى لم يكن موجوداً من قبل مثل : أطفال الأنابيب، والهندسة الوراثية ودورها فى تحديد سمات الجنس أو المولود. وفى وقتنا الحالى إز دادت نسبة الطلاق بصورة لم تكن مألوفة من قبل.

ونخلص من ذلك إلى أن لكل عصر ظروفه ومشكلاته، التى تنعكس بصورة أو بأخرى على حياة الأسرة وتؤثر على استقرارها ووظائفها والعلاقات بين أعضائها.

وقد صنف بعض العلماء وقسموها إلى عوامل نفسية وجسمية ذاتية، وجنسية، واجتماعية وثقافية واقتصادية وصحية بالإضافة إلى مشكلة السكن.

مشكلات نفسية :

وتتمثل فى سوء التوافق العاطفى والجنسى، والغيرة، والخيانة الزوجية، والنزاع على السلطة. وينم التماسك العاطفى عن الحب والاحترام والتفاهم، والتعاون المتبادل بين أفراد الأسرة الواحدة.

أما عدم التماسك العاطفى بين أعضاء الأسرة، فيؤدى إلى الاحتكاك بين الأفكار والمشاعر، أو تجاهل كل من الطرفين إزاء الآخر، مما يهدد بالانفصال ويضعف طمأنينة وأمن الأبناء، ويضعف الشعور بالإنتماء.

وقد تنتج المشكلة النفسية عن تباين مستوى الذكاء بين الزوجين، أو يصاب أحد أفراد الأسرة بالضعف العقلى.

وتنتج المشكلة النفسية كذلك عن التربية الخاطئة لأحد الزوجين أو كليهما أيام طفولتهما المبكرة. فمن شب على عداء لا شعورى لوالديه، قد يصب عداءه على شريكه فى الزواج، ومن شب منهم مدللاً مسرفاً فى الاتكال على والديه، يطلب هذا من شريكه، وجعل يستدر منه العطف، ويلتمس النصح والحماية، وإن لم يجد نكص على نفسه، فثار وغضب وتمرد، كما كان يفعل مع والديه فى طفولته. ومن نشأ على سيطرة معيبة، أخذه

الغيظ إن حالت حقوق شريكه أو رغباته دون تحقيق رغباته مباشرة، وتطلب منه أن يطيع أوامره فوراً دون أخذ أو رد، ومن هنا كان فجأ في غضبه، أثارته التوافه، بل أثار مشكلات لا يستطيع حلها في ترو وهدوء. ومن لم يذق طعم العطف في صغره عز عليه أن يشعر به فيما بعد، واستحال عليه أن يهبه لغيره. ومن شب شاعراً بالنقص - نقص حقيقي أو موهوم - ضعيف الثقة بالنفس، كان شديد الغيرة في زواجه، شديد الحساسية لأية ملاحظة أو نقد أو حال التعويض بالعدوان على زوجته، مداراة لما يكابده من نقص وتقصير في مهنته، أو نشاطه الاجتماعي، ومن شب أنانياً مسرفاً في حب نفسه، عاجزاً عن حب غيره، كان زواجه ناقصاً معيباً يعجز عن التضحية التي يطلبها كل زواج سعيد.

فإن رُزق الزوجان بأطفال فإنهما أو أحدهما يسرف إسرافاً زائداً في العطف والحماية والرعاية - لأولاده أو يقتصر على طفل واحد رغم الحاح زوجته عليه لانجاب آخر أو آخرين، إلا أنه يرفض خشية أن يحرم طفله كما حرم هو، ذلك أنه قد تقدمت به السن، ويخشى أن ييتم ابنه فيعذب كما عذب هو في طفولته أو يشقى كما شقى هو[١].

كما أن القسوة في الصغر تجعل من الحياة مصدراً للألم والعذاب. وترسب في نفسية الفرد مشاعر الغضب والكراهية التي يحولها فيما بعد للآخرين ويصبح الفرد عاجزاً عن التكيف مع الآخرين. ويخلق لنفسه الكثير من المشكلات. وقد يكون سبباً في تفكك أسرته أو انهيارها.

أما التدليل فإنه يفقد الفرد القدرة على مواجهة الحياة بطريقة سليمة ويصبح الإنسان اتكالياً يبحث عمن يتحمل عنه مسئوليات الحياة ويصبح عاجزاً عن الاستقلال في معيشة أسرية، وكل من التدليل والقسوة يعوقان تكيف الإنسان مع المجتمع ويهددان صحته النفسية. ويسببان الكثير من الاضطرابات الأسرية. والمشكلات الفردية

١- انظر د. عباس محمود عوض. الأبعاد الأساسية للمشكلات النفسية والاجتماعية للأسرة في المجتمع الحديث ص ص٣٦٩ - ٣٩٠.

التى تعوقه عن القيام بمهام الأسرة.

وقد يترتب على عمل الزوجة خارج المنزل حرمانها من أداء رسالتها الطبيعية ووظيفتها الأساسية وهى الأمومة، ومن المعروف أن المرأة لايكتمل نموها النفسى والجسمى إلا بالأمومة، وأن نفورها أو تعمدها عدم إنجاب أولاد على الاطلاق علامة على سوء توافقها وعدم نضجها الانفعالى، أو إن دب فى نفسها صراع عنيف بين مغريات الحياة العاملة خارج المنزل، وبين حنينها الأصيل إلى الاستقرار وبناء بيت تكون فيه الزوجة والأم.

وقد دلت دراسات حديثة أجريت فى الولايات المتحدة على النساء العاملات على أنهن أقل فى الاتزان الانفعالى من الرجال، كما دلت على وجود مؤثرات خاصة شديدة الوطأة على شخصياتهن، وهى مؤثرات لاوجود لها البتة عند الرجال. ذلك أن الاختيار بين البيت والمهنة مشكلة انفعالية حادة تشغل المركز من قلوب كثير من النساء، فتسبب لهن حيرة دائمة، وصراعاً نفسياً موصولاً، إنه اختيار بين بيت وأطفال أو الظفر بهذه الأشياء المرموقة. وقد لا تكون المرأة شاعرة طول الوقت شعوراً واضحاً بما يخلقه هذا الموقف فى نفسها من صراع، لكنه صراع له أثر عميق فى شخصيتها واتزانها الانفعالى.

ويحدد مركز الطفل فى أسرته مكانته، وتثبت الدراسات أن الطفل الأول أكثر تردداً على العيادات النفسية، ذلك أن نشأ ووالديه لم يكتسبا بعد الخبرة اللازمة لتربية الأطفال، ولم يتم بعد بينهما التوافق الذى يساعدهما على استقبال هذا الضيف الجديد، وإن ظل وحيداً فترة طويلة حرم من فوائد الزمالة والتنافس والأخذ والعطاء. كما أن الطفل الوحيد تتأثر شخصيته بالظروف والأسباب التى حدت بوالديه الاقتصار عليه، وذلك كأن يجد نفسه دائماً محاطاً بكبار يعجز عن التعامل والأخذ والعطاء معهم، ويلاحظ على هؤلاء الأطفال أنهم لا يكونون محبوبين من أقرانهم، ذلك أنهم لم يألفوا التعامل مع أفراد من نفس سنهم. والطفل الأخير أيضاً قد يتعرض للتدليل الزائد والتراخى أو الإهمال. وعموماً فإن الدراسات لم تسفر عن نتائج محددة تبين أن هناك علاقة بين مركز الطفل وسمات شخصيته وهو راشد.

وقد يصادف الأبناء سوء الحظ بأب أو أم عصابية Neurotic. فمضطرب الشخصية يتساهل حين يجب الحزم ويتهاون حين يجب التشدد، ويقسو ويتشدد لأتفه الأمور، ويكثر من الشكوى والهياج والتأنيب والسخرية، ويكون عقابه أقرب إلى الانتقام منه إلى الإصلاح والتأديب والتهذيب.

إن الأبناء يحتاجون لسعة الصدر والثبات فى المعاملة، والنصيحة ولكنهم لا يجدون ما يحتاجون، وكل ما يجدونه جو لا يساعد على الأمن والاستقرار.

وقد يؤدى الاحباط فى الأدوار والعلاقات خارج الأسرة إلى خلق مشاكل داخل الأسرة نفسها، وينطبق ذلك على الاحباط فى العمل أو الاوضاع البنائية التى تؤدى إلى الإعاقة عن الوصول إلى الأهداف وإلى الاحباط لعدم احراز المكانة المرجوة. وهناك العديد من الاحباطات داخل الأسرة أيضاً. مثل تلك التى تتعلق بأدوار المرأة التقليدية: فقد يشعر النساء فى الطبقات العاملة بالإحباط الذى يسببه الجيران الأكثر ثراءاً أو المسكن المزدحم، وكذلك قد تشعر الأمهات من الطبقات الوسطى بالاحباط بسبب عزلتهم نتيجة الدخل المنخفض الذى لا يساعدها على معايشة غيرها من الطبقات المتوسطة، ومن الالتزام بالموضة، أو الانضمام إلى المنظمات أو الانشطة الثقافية والخيرية. وقد تعمل حالات عدم الرضى بالمكانة أو غموض المكانة أو عدم التوازن فى المكانة إلى تدعيم الشقاق داخل الأسرة كما هو الحال عندما تكون الزوجة من طبقة أعلى من طبقة الزوج، أو عندما يكون نجاحها فى عملها يمثل تهديداً لرجولة الرجل أو تقليلاً لقدرته لأداء دوره كعائل مناسب للأسرة. ويقول علماء النفس أن عقدة أوديب قد تكون سبباً فى انهيار الأسرة.

«وعقدة أوديب» هذه أو «عقدة الأم» هى عقدة تتكون لدى الطفل حيال أمه، فيرغب فيها رغبة جنسية عارمة والاستئثار بها لنفسه دون أباه.. ويصاحب هذا كراهية شديدة لأبيه، منافسة الوحيد فيما يشتهيه ويرغبه، بل هو مصدر تهديد له ووعيد. والطفل لا يفرق فى بداية الأمر فى حبه لأى من والديه، إلا أنه بعد فترة يجد نفسه أكثر ميلاً لوالدته، وأقل نزوعاً إلى والده، حتى وإن لم تتغير درجة حبهما لهذا الطفل .

... أن جميع الأطفال الذكور يتعرضون لهذه العقدة أو لهذا الموقف الأوديبي Oedipus Complex Situation، إلا أن عملية الكبت اللاشعورية التى يمرون بها هى التى تجعلهم يتجاوزونها... ولهذه العقدة جانبها الجنسى، ذلك أنها تعد الطفل الذكر لأن يحب وأن يتجه إلى الجنس الآخر، فتتكون الجنسية الغيرية Hetero Sexuality وهناك عقدة «إلكترا» وهى تتكون لدى الإناث، فنتجه الإنثى بحبها ورغبتها الجنسية لأبيها وبكراهيتها لأمها، ومن هنا أيضاً الطريق إلى الجنسية الغيرية(١).

وقد يؤدى تجاهل الآباء للأبناء إلى الاختلافات الأسرية والتفكك الأسرى. وقد تبين ذلك نتيجة الدراسة الميدانية التى قام بها الباحث. وتبين منها أن ٧٣٪ من المبحوثين يؤيدون هذا الرأى، ورفض ٥٪ ذلك، ولم يجب على السؤال ٢٢٪ وتبين ذلك. من الإجابة على السؤال الثالث، ومؤداه - تجاهل الآباء للأبناء أذكرى واقعة؟ وتبدو الإجابة فى الآتى :

عدم وعى ثقافى أو فارق ثقافى بين الآباء والأبناء، انشغالهم فى العمل، تجاهل الأب لرأى ابنته فى عريس تقدم إليها ، الموافقه على عريس تقدم إليها دون موافقتها، عدم تلبية مطالب الأبناء، انشغال الأم بعملها فى البيت، شعور الأبناء بعدم قيمتهم، عدم سؤال الأب عن أبنائه، لا يستمع لحوار أبنائه، لاحديث بينهم، الآباء لا يوفرون الرعاية لأبنائهم، عدم اهتمام الآباء بمشاكل الأبناء باعتبار الأبناء أقل خبرة، لا يهتم الأب بما يقوله الأبناء من أحاديث يؤدى إلى ضعف الروابط، الانعزالية وتؤدى إلى قيام الإبن بأعمال عدوانية لجذب الأب نحوه، ويؤدى إلى الصمت والخوف، وإلى انحراف الأبناء، عقلية الأب متحجرة وإذا حاول الأبناء فتح باب المناقشة فى موضوع يجد الآباء يغلقونها، ويحدث هذا التجاهل بين الآباء والأبناء إذا ما تزوج الأب بزوجة ثانية، وكذلك إذا حدث الزواج العرفى بثانية أو حدث الطلاق. ومن مظاهر هذا التجاهل أنه لا ديمقراطية فى اتخاذ القرار، وهذه الأمور جميعاً تؤدى إلى انضمام الأبناء إلى رفاق السوء.

١- د. عباس محمود عوض. فى علم النفس الاجتماعى، ص ٢٢٢.

ويدور السؤال الخامس حول انشغال الأب بنشاطه المهنى، وكذلك الأم بالأعمال المنزلية، والأولاد بدروسهم، وليس هناك ما يتيح بتاتاً دون عمله وقد أجاب ٧١٪ بما يقر ذلك ، ٦٪ نفوا هذا الرأى، و ٢٣٪ لم يجيبوا

ويتجلى ذلك فى مظاهر هى . انشغال الأب بمشاكله الخاصة وبمصاريف الدراسة، وانشغال الأم بالأعمال المنزلية وإنشغال كل من الأبناء بدروسهم، مما يحول دون حدوث مناقشات فيما بينهم.

ومن مظاهر التوافق والتكامل الأسرى أن أفرادها يتناولون وجبات الطعام معاً، وفى ظروف العصر الحديث أن هذا قلما يحدث، فكل من أعضاء الأسرة يحضر إلى البيت فى مواعيد مختلفة عن حضور الآخر مما يحول دون جلوسهم حول مائدة واحدة. وقد أقر هذا الوضع ٧٧٪ من المبحوثين، ورفض هذا الرأى ٣٪، و٢٠٪ لم يجب.

ويرجع هذا إلى رجوع الأب من عمله فى وقت متأخر من الليل ، اختلاف مواعيد حضور كل عضو عن الآخر، فالأم تعود من عملها فى الثالثة، والأبناء يعودون فى السادسة، وقد يؤدى حضورهم فى التوقيتات المختلفة إلى أن الأب لايرى أبناءه، وكذلك الأم لاترى أبناءها.

إن عمل الأب لساعات طويلة طوال النهار وجزء من الليل يجعل الأب يعود إلى بيته مرهقاً ويظل صامتاً ، فلا يوجد وقت يسمح بالحديث. وقد تبين لنا ذلك من السؤال الوارد باستمارة البحث إذ أجاب ٦٦٪ بالإيجاب، ٤٪ بالنفى، ٣٠٪ غير مبين.

العوامل الجسمية :

وتتمثل فى العاهات الجسمية أو إصابة أى فرد أو أكثر بأمراض مزمنة أو عاهات أو الإصابة بالعقم لأى فرد من أفراد الأسرة مما يؤثر تأثيراً سيئاً على شبكة العلاقات الأسرية. ويؤدى إلى سوء العلاقات وتدهورها أو ضعف المكانة وما يترتب عليه من الفشل فى أداء الدور الاجتماعى للفرد، مما يؤدى بالفرد إلى الاحساس بالقلق والعار، وبالتالى تنكمش العلاقات داخل الأسرة أو ينطوى بعض أفرادها . وقد تؤدى العاهات الجسمية إلى اعتماد الفرد على الأسرة إعتماداً كبيراً فى قضاء شئونه، وما

يترتب على ذلك من الشعور بالضيق أو اليأس ويصبح الفرد سريع الاستثارة، سريع الغضب، وما يترتب على ذلك من مشكلات.

عدم التوافق الجنسي :

وليس من شك أن عدم انسجام الرغبات الجنسية أو درجة الاشباع عامل هام جداً في سوء التوافق الزواجي. ولسوء التوافق الجنسي درجات أشدها عنة الرجل Impotance وبرود المرأة. وهي تؤدي إلى إزدياد درجة الخلافات ووصولها إلى منطقة يصعب معها التوفيق ويصبح لا مناص من حل رابطة الزواج.

ولهذا الخور الجنسي عند الزوج أسباب عدة منها : تربية جنسية خاطئة في عهد الطفولة أحاطت الأمور الجنسية بالخوف والاثم والاشمئزاز، أو وقوف النمو العاطفي لفرد عند مرحلة الحب الأناني الطفلي، فإذا به يشب عاجزاً عن أن يحب شخصاً آخر غير نفسه. ومن هذه الأسباب تعلق الزوج تعليقاً جنسياً لا شعورياً بأمه، وهو تعلق يقترن عادة باحساس خفي بالذنب والإثم. ويكون هذا عادة عندما تكون الزوجة بديلة الأم ورمزاً لها. وفي هذا الحال يتخاذل الزوج إزاء زوجته وحدها دون غيرها من النساء وعكس هذا صحيح في حالة الزوجة أو يكون السبب كراهية يحملها الشريك لشريكه في الزواج مهما كان جذاباً من الناحية الجنسية، أو يكون عدواناً لاشعورياً على الشريك أو على أفراد جنسه جميعاً.

والخور الجنسي يبث في نفس الشريك العاجز – خاصة الزوج – شعوراً شديداً بالنقص، يجعله يقف من شريكه موقف الدفاع.

ويبدو السخط من سوء التوافق الجنسي في نواح أخرى غير النواحي الجنسية عادة، منها كثرة الشجار والنقار بين الزوجين، وتسقط الاخطاء ومد العين، وتبذير الزوجة يكون في العادة بمثابة تعويض في هذه الحالة.

ولعلنا لاحظنا مما تقدم أن شبح الطفولة لايبرح يطارد الشخص حتى بعد الطفولة بزمان طويل؛ أنه قدر فمن ذا الذي فر من قدره!؟، ومن هو الشخص الذي يستطيع أن يفر من طفولته مهما حاول؟![1].

١- د. عباس محمود عوض، في علم النفس الاجتماعي ص ص ٢٢٩-٢٣٠.

التفكك الأسرى :

يرجع التكامل الأسرى إلى نجاح العلاقات الأسرية، أما التفكك الأسرى فيعود إلى فشل هذه العلاقات وانحلالها. ويبدو ذلك واضحاً فى اضطراب العلاقة بين الزوجين واختلاف ثقافة وفكر وميول وقيم كل منهما عن الآخر، وتباين المستوى التعليمى بينهما؛ مما يحدث رغبات متصارعة ومتضاربة بين أطراف الأسرة.

ويظهر التفكك الأسرى فى اضطراب العلاقة بين الوالدين والأبناء لسبب أو لآخر، وازدياد عدد الأطفال مع قلة الامكانيات، وعدم فهم الأدوار وصراعها، وكذلك تعدد الزوجات، والهجر، والوفاة، والطلاق.

ففى الدراسة الميدانية التى قام بها المؤلف باستخدام استمارة الاستبيان لعدد ١٠٠ طالبة من طالبات أحد المعاهد، وكان السؤال الأول مؤداه :

لماذا لايجلسون معاً وإذا جلسوا لا يتكلمون؟

وأجاب ٦٥٪ بوجود تباعد فكرى وثقافى بين الزوجين (آبائهم) وبين الآباء وبينهم. و١١٪ بعدم وجود تباعد فكرى وثقافى بين أعضاء الأسرة، و٢٤٪ غير مبين. ويبدو هذا التباعد الفكرى والثقافى فى المظاهر الآتية :

١- تباعد فكرى وثقافى بين جيل الآباء والأبناء.

٢- تباعد فكرى وثقافى بين الأب والأم، وذلك كأن كون أحدهما حصل على تعليم عالى، والآخر حصل على تعليم متوسط أو أقل من المتوسط، أو أمى، مما يؤدى إلى مشاحنات، أو صمت، أو خوف، أو إحباط، أو يأس من المناقشة.

٣- جهل الآباء.

٤- زواج الحضرى من قروية.

٥- أم متعلمة والأب ريفى.

٦- فجوة كبيرة بين عمر الزوج وعمر الزوجة.

٧- اختلاف حول مسائل الملابس والمأكل وسماع الموسيقى.

٨- موافقة الأب على عريس لابنته، وهى أى الإبنة لا ترضى به.

٩- ينجم عن المناقشة فى غالبية الأحيان اعتراض الآباء على آراء وأفكار الأبناء، مما يجعلهم يحجمون عن المناقشة.

وقد وجه الباحث السؤال الثانى للمبحوثين ومؤداه :

الخلاف فى الرأى بين الآباء والأبناء - أذكرى واقعة وأجاب ٧٠٪ أن هناك خلافاً بينهما، و ١٢٪ أنه لا يوجد خلاف بينهما فى الرأى، و ١٨٪ لم يجبن.

وتبدت هذه الخلافات فى :

١- مشاحنات وشجار بين الأب والأم.

٢- قيام الأب بضرب الأم.

٣- عدم توافر الحب والمودة تناقضاً مع الآية الكريمة ﴿وجعلنا بينكم مودة ورحمة﴾.

٤- اختلاف فى الرأى بين الأب والأم فيما يتعلق بسلوك الأبناء فأحدهما يوافق على فعل الأبنة، والثانى لا يوافق، أحدهما يسمح بمشاهدة التليفزيون، والآخر لا يسمح، وتأخر الأب أو الأم فى الحضور إلى المنزل وكثرة المطالب الاقتصادية حول مصروف البيت وتغير الأثاث، ولا ديموقراطية فى اتخاذ القرار .

٥- الأم تود أن تعمل خارج المنزل والأب لا يوافق على ذلك.

٦- اهتزاز الشخصية.

٧- الانضمام إلى رفاق السوء.

٨- افتقاد القدوة.

٩- تعود الإبن الوحيد على السرقة، والخطف من عربات الخضار والفاكهة.

١- اختلاف حول تنظيم وقت الفراغ، والاستذكار.

١١- اختلاف وجهات النظر بين الأب والأم.

١٢- الأم تطلب زيارة إحدى قريباتها والأب يرفض.

ويدخل فى إطار التفكك الأسرى المشكلات الأخلاقية، والتى تتمثل فى ارتكاب الفحشاء ، والتنكر للقيم الاجتماعية والأخلاقية، وإدمان المسكرات والمخدرات، والتبرج، وعدم الصدق والإخلاص والصراحة.

ومن مظاهر المشكلات الأخلاقية كذلك خروج الزوجة عن اللياقة فى معاملة الزوج، والقسوة فى معاملة الأطفال، والاسراف فى المطالب الخاصة.

وتتمثل المشكلات الأخلاقية فى عدم اهتمام الأبناء بنصائح الوالدين، وعدم احترامهما، والتبذل فى معاملة بعضهما البعض، والاستماع إلى قرناء السوء، والإنحراف، والتشرد، والتسول، والمروق ، وارتكاب الجرائم.

كذلك فإن إنخفاض معايير الذوق العام، ومستويات الجمال، يؤثر تأثيراً بالغاً فى القيم الاخلاقية التى تدين بها الأسرة.

وقد أثبتت الدراسات أن العلاقات العائلية الناقصة أكثر انتشاراً بين عوائل الجانحين بالنسبة إلى عوائل غير الجانحين. وتبين أيضاً أن البيوت الفاسدة أكثر انتشاراً بين عوائل الجانحين بالنسبة إلى عوائل غير الجانحين(١).

كذلك فإن الوفاة أو الطلاق أو كليهما أو انفصال الزوجين أو تعدد الزوجات من أسباب تصدع الأسرة Boroken Home ، وانفصام وحدتها .

فوفاة أحد أعضاء الأسرة الأساسيين قد يؤدى إلى انهيار كامل للبناء الأسرى، أو قد تؤدى الكارثة إلى تقارب العلاقات بين بقية الأعضاء. ويشعر كل فرد فى مثل هذه الحالة بالقوة من خلال العلاقات المتبادلة.

الطلاق :

الطلاق هو الحدث الذى ينهى العلاقة الزوجية بين رجل وأمرأة . وهو يمثل صدمة عاطفية للأولاد، وحرمان من مشاعر الحب والحنان، فضلاً عن حرمانهم من المربى والعائل كما أنه صدمة للزوجين أيضاً، فقد تضعف الفرصة فى زواج جديد(٢).

وليس أدل على أن الطلاق يعد كارثة للأسرة، وحادثاً مشئوماً للأشخاص الذين يشملهم، ومؤشراً واضحاً لفشل نسق الأسرة، إلا ما تقوله امرأة عند إثارة موضوع

1- See Cyril Burt, The Young Deliquent PP. 64-102.

وانظر د. جعفر عبد الأمير الياسين، أثر التفكك العائلى فى جنوح الأحداث ص ص ٥٤- ٩٦.

٢- انظر د. أميرة يوسف منصور، المدخل الاجتماعى للسكان والأسرة، ص ١٢٣.

الطلاق أنا لا أرغب فى انهيار الأسرة. هذا القول لا يعبر عن قلقها فحسب، بل هو يفصح عن تقديرها اللاشعورى لقيمة الجو الأسرى، حتى ولو كان مليئا بالغازات الخانقة.

وقد تبين من بيانات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء أن ظاهرة الطلاق تقع فى جميع الفئات العمرية بدون استثناء سواء فى الشباب أو الشيوخ. إلا أن نسبته مرتفع عند الزوجات اللائى يقل عمرهن عن عشرين سنة ذلك أن صغر سنهن وقلة تجاربهن تدفعهن إلى إنهاء علاقاتهن الزواجية بسرعة. والملاحظة الهامة هنا هى أنه بعد تجاوز الزوجات العام الخامس والثلاثين فإن احتمالات حدوث الطلاق تقل بشكل ملحوظ . ذلك لأن المرأة بعد هذا السن تكون أكثر حرصاً على استمرار حياتها الزوجية، لقلة أو انعدام الفرص التى قد تتيح لها الزواج مرة أخرى إذا هى طلبت الطلاق.

وتشير البيانات المتاحة أيضاً إلى أن أكثر حالات الطلاق تتم بين زوجات أنجبن طفلاً واحداً، وتقع أعمار هؤلاء الفئة العمرية ٢٠-٢٥ عاماً وهذا يؤكد أن ازدياد عدد الأطفال فى الأسرة قد يقلل من احتمالات الطلاق. فالأبناء يزيدون من مسئولية الوالدين. وربما يعتبر ذلك السبب الذى من أجله تكون الأسر التى لم تنجب أكثر عرضاً للتفكك. وعموماً، فإنه يمكن القول أنه كلما ازداد عدد الأطفال وكبر عمر الزوجين تناقصت فرص الطلاق، وهذا يعنى أن الشعور بالمسئولية عند الزوجين يتزايد بمرور الوقت وخاصة عندما تزداد الوحدة الأسرية حجماً بانجاب الأطفال وانشغالها بواجب رعايتهم وتنشئتهم، كما أن الأطفال عندما يكبرون فإنهم كثيراً ما يحولون بين والديهم وبين أقدامهم على الطلاق.

وتزداد معدلات الطلاق بين المتزوجين الذين لم يسفر زواجهم عن إنجاب أطفال، مما يدفع الطرف غير العقيم إلى طلب الطلاق لكي يتسنى له إشباع غريزة الأبوة والأمومة. وقد يتفق الطرفان على استمرار حياتهما الزوجية رغم عدم إنجاب الأطفال، إلا ان تدخل طرف أو آخر من الأقارب، والحاجة إلى ضرورة وجود ابن للزوجين قد يعجل بطلاقهما

وترتبط المهنة ارتباطاً قوياً بارتفاع معدلات الطلاق أو انخفاضها والجدول الآتى يبين ذلك :

التوزيع النسبى لاشهارات الطلاق حسب مهنة المطلق ١٩٦٩ [١].

مهنة المطلق	التوزيع النسبى لاشهارات الطلاق
١- أصحاب المهن الفنية والعلمية	٧,٤
٢- المديرون والاداريون ومديرو الأعمال	٠,٩
٣- القائمون بالأعمال الكتابية	٦,٥
٤- القائمون بأعمال البيع	٧,٣
٥- العاملون بالزراعة وتربية الحيوان وصيد البحر والبر	٣٠,٣
٦- عمال الانتاج والفعلة والعتالون وعمال وسائل النقل	٢٣,٤
٧- الافراد الذين لايمكن تصنيفهم حسب المهن	١٨,٩
الجملة	١٠٠,٠

ومن هذه البيانات يتبين أن فئة المديرين وأصحاب المهن الإدارية هم أقل الفئات طلباً للطلاق من زوجاتهم، وأكثرهم التزاماً بالروابط الأسرية واحتراماً لها. بينما تبلغ نسبة الطلاق أعلى معدل لها عند العاملين فى الزراعة وتربية الحيوان والصيد.

وفى دراسة قام بها Nicky Hart تبين ارتفاع معدلات الطلاق بين نوعية محددة من المهن منها السائقين للعربات اللورى الذين يسافرون لمسافات طويلة، والقائمين بأعمال البيع، بعض المهندسين والفنيين وغيرها من المهن التى يتطلب أدائها إنفصال مؤقت بين الزوج والزوجة لفترة طويلة من الوقت، كما أنها أيضاً توفر فرص كثيرة للزوج فى الالتقاء بأشخاص آخرين من الجنس الآخر - كما يؤكد على هذا الاستنتاج السابق أيضاً تلك الدراسة التى اجريت بواسطة T.Noble حيث إتضح وجود علاقة مشابهة بين ارتفاع معدلات الطلاق وبين مهن معينة منها الممثلين، المؤلفين، الفنانين ، مديرو بعض الشركات والفنادق السياحية الكبرى.

١- الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء .

وانظر د. سناء الخولى . الزواج والعلاقات الأسرية ص ص ٢٦٨-٢٧٠.

أما إذا نظرنا إلى الطلاق فى ضوء علاقته بالتعليم. يتضح أنه على الرغم من إنخفاض المستوى التعليمى لتلك الجماعة الأسرية الريفية التى تقيم فى قرى بعيدة ومتناثرة نجد إنخفاض معدلات الطلاق بينهم . كما أنه عند حدوث الطلاق فإن الغالبية العظمى منهم لا ينتشر بينهم الذهاب إلى محاكم الطلاق فى الوقت الذى نجد فيه إرتفا ع معدلات الطلاق بين تلك الأسرة التى تعيش فى المناطق الحضرية ذات التعليم المتوسط، كما يشيع بينهم الذهاب إلى المحاكم من أجل الحصول على الطلاق. وربما يفسر ذلك فى ضوء سيطرة الأعراف والتقاليد الاجتماعية فى الريف والتى غالباً ما يحتكم إليها الريفيون فى حالات الطلاق، وذلك فضلا عن سيطرة القيم الجمعية على حياتهم بينما فى المدينة لا تسيطر القيم والاتجاهات والمشاعر غير الرسمية، وإنما حل محلها تلك الوسائل الرسمية كالشرطة والقانون والمحاكم وغيرها هذا إلى جانب إنتشار نمط الأسرة الزواجية فى المدينة.

وهكذا تنخفض معدلات الطلاق فى المجتمعات الريفية، كما تنخفض أيضاً بين تلك الأسر من الشرائح الطبقية العليا فى هذه المجتمعات الريفية عند مقارنتها بغيرها من الأسر الريفية فى الشرائح الطبقية الدنيا.

وقد أجمع الباحثون على أن أهم أسباب الطلاق ما يلى :

١ عدم التوافق الجنسى بين الزوجين يؤدى إلى أزدياد درجة الخلافات ووصولها إلى نقطة يصعب معها التوفيق، ويصبح لامناص من حل رابطة الزواج.

٢ الحب الرومانتيكى والاندفاع العاطفى غير المحكوم بالعقل والذى يسبق الزواج، والذى يشترط الوقوع فيه عدد كبير من الشباب كشرط جوهرى للزواج، وعندما يصطدم الزوجان بالحياة المعقدة يصعب عليهم التكيف معها، ويقول كل لصاحبه : لا أعد احتمل الحياة معك.

٣- وتبين أن النساء اللائى تزوجن مبكراً يكن أكثر تعرضاً للطلاق من غيرهن، وأن نسبة الطلاق بين النساء العاملات أعلى من نسبتها بين النساء غير العاملات: فعمل المرأة وخبرتها خارج المنزل والأسرة يجعلها أكثر استعداداً للجدل والمناقشة حول الحقوق الزوجية، وبالتالى فإن المنازعات تكون أكثر حدة.

٤ ومن الأسباب التى تؤدى إلى الطلاق الخيانة الزوجية، والكراهية والزواج بإمرأة أخرى، وإعجاز الزوج أو عقم الزوجة، ومرض أحد الزوجين، وسوء المعاملة من

أحد الطرفين، وإهمال الزوج أو الزوجة لواجبات كل منهما نحو الآخر، وإدمان الزوج للخمر، وتعاطى المخدرات.

٥- مجموعة عوامل اجتماعية تتمثل فى اختلاف المستوى الاقتصادى والاجتماعى والثقافى، وكذلك انخفاض المستوى الاقتصادى. فلا يجوز مثلاً أن تتزوج خريجة الجامعة من شاب دونها أو أقل منها فى الثقافة.

وإن كان الطلاق هو التصرف القانونى الذى يعبر عن انتهاء رابطة الزواج، فإن هناك أنواعاً متعددة من السلوك تشير إلى توقف الحياة الزوجية، مثل : الهجر، والإنفصال ، والذى يحتمل أن تعود رابطة الزواج مرة أخرى.

وفى ضوء استمارة البحث التى صممها الباحث، ووزعها على ١٠٠ طالبة بأحد المعاهد، جاء السؤال الرابع والذى يدور حول التفكك الأسرى وأسبابه، أجاب ٤٥٪ أنه يعود إلى الطلاق و ٢٤٪ يعود إلى الانفصال و٢٦٪ يعود إلى المشاحنات والخلافات و١٪ لم يبين.

المشاكل الاقتصادية :

وتتمثل فى الفقر، والذى ينظر إليه البعض على أنه عدم القدرة على إشباع الحاجات الأساسية والبيولوجية التى تشكل حاجات يجب إشباعها.

ويبدو الفقر فى حالة البطالة، أو قلة الدخل بما لا يكفى حاجات الإنسان، والفقر له تأثير حتمى على العلاقات الأسرية. فمن خلاله يسوء التصرف في الدخل، وينخفض المستوى الاقتصادى للأسرة، وتسود أمراض سوء التغذية، والضعف العام.

ويولد الفقر عجزاً اجتماعياً وسيكولوجياً، لأن الفقراء يعانون من نقص فى القوة، وفى المال، وفى التعليم، وفي المكانة، يؤدى إلى نقص فى الحراك، وتحديد البدائل المتاحة لهم. كل هذه الأمور تصيبهم بنوع من العجز الاجتماعى والسيكولوجي، فتنتشر بينهم الإنحرافات، وجرائم الأحداث، ويرتفع معدل الوفيات. ويعد سوء الأحوال الاقتصادية للأسرة عاملاً محورياً من عوامل انهيار الزواج. إذ أن ضيق ذات اليد يشعر الزوج بالعجز حيال الوفاء باحتياجات زوجته وأولاده، الأمر الذى يحفزه على الخروج من هذه العلاقة التى تذكره بضعفه.

أما عن عمالة المرأة فالحق أنها تساعد على رفع مستوى معيشة الأسرة بما تدره من دخل، ولكن خروج المرأة إلى العمل جعل رعاية الأطفال وتربيتهم والعناية بهم أقل نجاحا من قبل. وإذا ترك الأمهات أطفالهن لرعاية الخادمات والمربيات فإن ذلك يمثل مشكلة اجتماعية خطيرة، إذ ينتج عنها ظهور جيل مشوه نفسياً، وغير قادر على خدمة مجتمعه، ولا يشعر بأى انتماء حقيقى إليه، حيث تربى على أيدى الخادمات، وتشرب منهم قيماً وعادات مخالفة لعاداتنا وتقاليدنا. وإذا قيل أن الأمهات يلحقن أولادهن بالحضانات والمدارس فنحن نتساءل أين الحنو والعطف الأموى الذى يفتقده الأطفال؟

إننا نرى ونسمع فى وقتنا الحالى عن جرائم بشعة وسلوكيات متدنية ورديئة، وإنتشار للإدمان والمخدرات. ويعود هذا فى جزء كبير منه إلى خروج الكثير من السيدات للعمل، وترك الأطفال الصغار فريسة سهلة فى أيدى الخادمات، والتى لا يهمها من قريب أو بعيد تربية الطفل، بل بالعكس قد تزرع بعضهن مفاهيم فاسدة داخله، إما انتقاما من الأم التى قد تسئ معاملتها، وإما تمرد على وضعها الاجتماعى. ويكون الطفل فى النهاية هو الضحية. وعلى ذلك تردد قول مفاده أنه من مصلحتنا أن تتفرغ الأم لتربية أولادها، مقابل راتباً وعلاواتها الكاملة.

والحق أنه ينبغى أن يترك الأمر اختيارياً للأم، فهى التى تستطيع أن تقرر هل تقتصر نشاطها على البيت والعناية بزوجها وتربية أولادها، أو أن تعمل خارج البيت، وتوازن بين العمل خارج البيت وداخله، وبشرط ألا يضر ذلك بالأبناء.

مشكلة الإسكان :

مشكلة الإسكان من المشكلات التى تعتبر انعكاس لمشكلة تزايد السكان. وتعانى كثير من دول العالم والبلاد المتخلفة خاصة من مشكلة توفير المسكن الملائم للمواطنين، وكيف يكون فى متناول حدود إمكانياتهم المادية.

والمسكن الضيق يؤدى إلى نشأة التوتر الدائم بين أفراد الأسرة نتيجة ضيقهم من بعض بسبب عدم توفر المساحة اللازمة للحركة. وينعكس هذا التوتر على البالغين للأطفال مما يعرضهم للخطر. كما يؤدى إلى مشاكل النوم المختلفة. وخروج الأطفال إلى الشارع؛ مما يقودهم إلى الإنحراف لبعدهم عن رقابة الأسرة.

الباب الثانى

علم اجتماع الأسرة

الفصل السادس
علم اجتماع الأسرة

يتكون المجتمع من مركب جمعى هو لبنات أساسية هى الأسر [١]. فالأسرة أول خلية فى المجتمع. ومن مجموع الأسر يتكون المجتمع:

والأسرة هى جماعة اجتماعية مستقلة داخل المجتمع، وتقوم على عناصر بيولوجية ونفسية وثقافية. ويرتبط كل عضو من أعضائها بالأعضاء الآخرين. وهى لايمكن تجزئتها إلى جماعات أخرى.

والأسرة هى الوحدة الأساسية فى التنظيم الاجتماعى وهى مؤسسة من المؤسسات الاجتماعية، بل وأهمها. فهى تنبعث من ظروف الحياة التلقائية للأوضاع الاجتماعية. ففيها نبدأ حياتنا الأولى، ونتعود عليها وهى مصدر الأخلاق، والدعامة الأولى لضبط السلوك. وهى ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشرى[٢]

وتقوم الأسرة على أوضاع ومصطلحات يقرها المجتمع. وفى هذا الخصوص يقول كلودليفى ستروس Claude Levi-Stauss «تحدد كل علاقة أسرية مجموعة من الحقوق والواجبات وتصبح القواعد المتعددة التى تحرم وتبطل أنماط معينة من الاقتران محددة بشكل واضح ابتداء من اللحظة التى يقوم فيها كيان للمجتمع». ومن هنا يأتى تحريم الزنا بالمحارم بشكل عام نصادفه فى كل المجتمعات. فلما كانت الحياة الاجتماعية مجموعة من المبادلات، فإن الزواج يجب أن يتم وفقاً لقواعد التبادل فى المجتمع الذى يعيش فيه الزوجان، ومفهوم رابطة الدم لا يحدد فى الأصل تحريم الزنا بالمحارم، كما يتضح ذلك من حالة أبناء العموم أو الخؤولة المتوازيين وأبناء العمومة أو الخؤولة المتقاطعين، ففى الأسرة الواحدة يعتبر أبناء الخال وأبناء العمة أبناء عمومة وخؤولة متقاطعين، وأبناء الخالة وأبناء العم أبناء عمومة وخؤولة متوازيين. ومع أنه تربط بينهم نفس صلة الدم، إلا أن الزواج، كقاعدة عامة - محرم بين أبناء العمومة -

١- وانظر د عبد الهادى الجوهرى أصول علم الاجتماع ص ١٢٥

٢- د عماد حمدى داود ود. أحمد حسين. الأسرة والطفولة من منظور الخدمة الاجتماعية. ص ٥١

والخؤولة المتوازيين - باعتباره زنا المحارم، فى حين أن الزواج بين أبناء العمومة أو الخؤولة المتقاطعين مرغوب ، إن لم يكن إجبارياً.

وتضع كل المجتمعات قواعد للزواج، وتحرم بعض أنماط الزيجات. وتسمى هذه الأنماط المحرمة من الزواج «زواج المحارم» فالزنا بالمحارم فى الأساس هو ارتباط محرم، ليس لأنه قد يعرض لخطر بيولوجى ينتج عن «رابطة الدم» فى النسل، ولكن لأنه يلغى وسيلة جوهرية للتبادل بين الجماعات الاجتماعية الغريبة عن بعضها البعض .

ويعتبر مفهوم «رابطة الدم» كمعيار للمحارم جانباً محدداً : فالتزاوج بين أعضاء نفس الأسرة يمنع التبادل مع الأسر الأخرى. إن التحريم العالمى «للزنا بالمحارم» هو الطريقة السلبية لتأكيد القاعدة الوضعية للزواج الإغترابى «الاختيارى الإجبارى للمرأة بين الغريبات» . وهو كذلك عامل جوهرى فى المبادلات الاقتصادية بين الجماعات التى ينتمى إليها الأقران(١).

والأسرة كذلك نظام اجتماعى. وفى جميع المجتمعات يوجد مجموعة من النظم الإجتماعية هى النظام الأسرى، والنظام الاقتصادى، والنظام السياسى، والنظام الدينى، والنظام التربوى(٢).

والأسرة نظام اجتماعى. فهى مجموعة من الأفراد يعيشون ويعملون ويفكرون طبقاً لقواعد تنظيمية، وتستند إلى أوضاع ومصطلحات يقرها المجتمع. وهى تتضمن مجموعة من المعايير والقواعد والعادات والتقاليد والعرف وقواعد السلوك والآداب العامة التى تحدد حقوق أفرادها وواجباتهم. وهى دعامة الدين وتشير إلى مجموعة من المكانات Statuses والأدوار Roles المكتسبة عن طريق الزواج والولادة.

وتنقل الأسرة التراث الاجتماعى من جيل إلى جيل عن طريق التنشئة الاجتماعية. وهى تشبه النظم الاجتماعية الأخرى فى أنها تطورت بشكل تدريجى نتيجة عمليات الحياة الاجتماعية.

---

(١) د. محمد محمود الجوهرى وآخرون . دراسات فى علم الاجتماع.
(٢) د. اسماعيل على سعد . الاتجاهات الحديثة فى علم الاجتماع. ص ١٧٤.

وهى تشبه النظم الاجتماعية الأخرى كذلك من ناحية أنها تختلف من مجتمع إلى آخر. فنظم الزواج والطلاق والمواريث متباينة فى كثير من المجتمعات. بعض الأديان السماوية تبيح تعدد الزوجات، وبعضها يكتفى بواحدة. وبعضها يبيح الطلاق، وبعضها الآخر لا يبيحه. بل إنه داخل الدين الواحد تبيح بعض المذاهب الطلاق بشروط خاصة، وبعضها الآخر لاتبيحه بأية شروط.

والأسرة بوصفها نظاماً اجتماعياً فإنها تؤثر وتتأثر بالنظم الاجتماعية الأخرى. فهى تؤثر وتتأثر بالنظام الاقتصادى، فإذا كان النظام الأسرى فاسداً ومنحلاً، فإن هذا الفساد يتردد صداه فى الوضع الاقتصادى. وإذا كان النظام الاقتصادى فاسداً، فإن هذا الفساد يؤثر فى مستوى معيشة الأسرة.

كذلك فإن الأسرة وحدة اقتصادية، فهى تشارك فى العمل لتتمكن من توفير السلع والخدمات لأعضائها. ومن أجل رفع مستوى معيشة الأسرة الاقتصادى والاجتماعى خرجت المرأة إلى ميدان العمل[١].

ويرتبط نظام الأسرة بالنظام السياسى.. فالأسرة تقوم بعملية الضبط الاجتماعى. وهى وأثناء قيامها بعملية التنشئة الاجتماعية تغرس فى نفوس أطفالها الامتثال لقواعد الإنضباط المجتمعى وأوضاعه السياسية. وتظهر بدايات هذا الامتثال فى الأسرة من خلال طاعة أفرادها لقرارات الأسرة، والمشاركة فى اتخاذ القرار داخل الأسرة.

هذا وإذا كان النظام الأسرى فاسداً، تردد صدى ذلك فى الوضع السياسى للدولة. وإذا كان النظام السياسى فى الدولة فاسداً فإن هذا يؤثر فى مستوى معيشة الأسرة. ولذلك نجد فى المجتمعات المستقرة سياسياً أن الحياة الأسرية مدعمة وقوية ومحل رعاية الدولة، ونشاهد فيها مجموعة من التشريعات المحققة لمساعدة الأسرة مثل التكافل الاجتماعى والضمان، والتأمين، والرعاية الاجتماعية والطبية. أما المجتمعات غير المستقرة سياسياً فيجد فيها النظام الأسرى محلاً للإنحرافات كجرائم الأحداث، والتوتر العائلى، ولا تنال الأسرة من الدولة أية رعاية اجتماعية.

١- انظر د. عبد الهادى الجوهرى. أصول علم الاجتماع . ص ١٢٥.

وترتبط الأسرة بالنسق القيمى، فإذا كان النظام الأسرى فاسداً فإن هذا الفساد يتردد صداه فى نسق القيم والمعايير الأخلاقية، وتماسك المجتمع. وتهتم الأسرة بالإبقاء على علاقة ايجابية مع القيم السائدة فى المجتمع، خاصة أنه من أهم واجباتها تنشئة الأطفال الجدد الأمر الذى تعتبر فيه الأسرة تمثل وحدة محافظة يجب أن تساير اتجاه النسق القيمى السليم فى المجتمع.

وترتبط الأسرة بالنظام الدينى فقد اكتسبت الأسرة من خلاله استقرارها وقداستها وأخلاقياتها وأصبحت القيم الدينية أسمى القيم الأسرية. وكذلك أصبحت أخلاقية الأسرة تابعة لأخلاقية الدين. ونستطيع أن نخلص مما تقدم على أهمية الأسرة فى المجتمع المعاصر ومدى علاقتها بالنظم والأوضاع الاجتماعية القائمة فى المجتمع.

وللتفريق بين النظم والروابط الاجتماعية، نذكر أننا ننتمى إلى روابط لا إلى النظم. فإذا كنا نتحدث عن زمرة منتظمة، فإننا نتحدث عن رابطة. أما إذا كنا نتحدث عن أشكال القواعد والإجراءات فإننا نقصد بذلك النظام السائد. وإذا نظرنا إلى معهد أو كلية كهيئة من العميد أو الاساتذة والموظفين والطلبة، فإننا ننظر إلى رابطة وإذا نظرنا إليها كأداة للتعليم، فهى واحدة من النظم السائدة. ومع ذلك فإن الفارق ليس بكبير.

الأسرة ظاهرة اجتماعية :

ذكرنا أن الأسرة مؤسسة اجتماعية، ورابطة اجتماعية، ونظام اجتماعى. وعلى ذلك تعد الأسرة ظاهرة اجتماعية، خاصة إذا ما تبين لنا مدى انطباق خصائص الظاهرة الاجتماعية على الأسرة، وتستدعى ذلك التعريف بالظواهر الاجتماعية.

تترجم لنا الظواهر الاجتماعية الطريقة التى يفكر بها الكل الاجتماعى ومن ثم يتمايز الوعى الجمعى عن الوعى الفردى إزاء الموقف الوضعى من العالم. والظواهر الاجتماعية هى التى يشعر الفرد بموجبها أن كيانه متوقف على معيشته مع غيره فى مجتمع معين. فسلوكه وتصرفاته مبنية على القواعد والنظم التى اقتضاها المجتمع لنفسه. ففى كل مجتمع إنسانى مهما بلغت درجة رقيه وتحضره أو تخلفه يوجد طائفة من الظواهر تتميز جوهرياً عن الظواهر التى تدرسها علوم الطبيعة والبيولوجيا وعلم النفس.

إن الأفراد يسيرون فى مختلف شئون حياتهم على أساليب خاصة وقواعد وأوضاع رسمها لهم المجتمع وصناغها فلا يحيدون عنها، فمثلاً واجبات كل فرد، وحقوقه، كأخ، أو زوج، أو رب أسرة، أو مواطن، أو موظف فى الدولة محددة ومنظمة بقواعد وقوانين ولوائح وتسير وفق عرف وتقاليد معينة خارجة عن إرادة الفرد، لأنها قد تتعارض مع عواطفه ورغباته الشخصية. وهو مجبر على الأخذ بها. كذلك الأمر فيما يخص العقائد والممارسات الدينية، حيث نجد الناس يتفقون على أمور عامة فيما يتعلق بطقوسهم وشعائرهم والقوى القدسية والواجبات التى تربطهم بهذه القوى.

ويقال مثل ذلك فيما يتعلق بحياة الناس الاقتصادية وممارسات العرف والتقاليد فى المهنة، وأحوالهم الأخلاقية والعادات واللغة، حيث نراهم خاضعين لنظم مستقرة وأوضاع متعارف عليها، ويقال مثل هذا أيضاً فيما يتعلق بأحوال الناس الأخلاقية والعادات واللغة حيث نراهم خاضعين لنظم مستقرة وأوضاع متعارف عليها.

كذلك الحال بالنسبة لحياة الناس الأسرية، حيث نجدهم يسيرون فيما يتعلق بالزواج والطلاق ومحور القرابة والمصاهرة وطبقات المحارم وتقرير الحقوق والواجبات بين عناصر الأسرة يسيرون على أساليب وقواعد لايحيدون عنها.

وعلى الرغم من أن الفرد يشعر بحقيقة هذه الأساليب والقواعد داخلياً، إلا أنها تظل كذلك خارجه عنه، لأنه لم يصطنعها، ولكن تلقاها عن طريق التربية والتنشئة الاجتماعية. وكم من مرة حين نجهل تفاصيل واجباتنا التى يحب أن نلتزم بها، ومن أجل أن نقف على حقيقتها نلجأ إلى استشارة رجال القانون ومفسريه، ومن تحدثه نفسه الخروج عما رسمه المجتمع من حدود يقابل فى هذا الصدد بقوة وعنف. وإذا استعرضنا تلك الأمور وجدنا أنها تتكرر بواسطة كل فرد من أفراد المجتمع[١].

وتطغى هذه التيارات على العقول الفردية وتؤثر فيها. ولتفسير ذلك نذكر أن العلاقة بين العقل الفردى والعقل الجمعى هى كالعلاقة بين مركب كيميائى والعناصر الداخلة فى تركيبه. حقاً أنه لايوجد إلا الأفراد، ولكل منهم عقليته الخاصة، ولكن

1- See Emile Durkhem, Les Régles de la Methode Sociologique, P, 4.

اجتماع هؤلاء الأفراد في مجتمع واحد يجعلهم يتفاعلون الواحد مع الآخر، ويحدث بينهم تأثير متبادل، وهذا يؤدى إلى خلق عقلية جديدة نسميها العقل الجمعى الذى هو مصدر كل ما يوجد في المجتمع من ظواهر اجتماعية، والتى هى أساليب وقواعد وأوضاع ومثاليات وقيم للتفكير والعمل الإنسانى، يتمسك بها الأفراد، وهى المهيمنة على تصرفاتهم(١).

عرف أميل دور كايم (٢) الظواهر الاجتماعية بأنها نماذج من العمل والتفكير والإحساس يسود مجتمعاً من المجتمعات، ويجد الأفراد أنفسهم مجبرين على اتباعها فى أعمالهم وتفكيرهم، بل وتفرض على إحساسهم.

وفى مجال آخر عرفها بأنها هى كل ضرب من السلوك، ثابتاً كان أو غير ثابت يمكن أن يباشر نوعاً من القهر الخارجى على الأفراد، أو هى كل سلوك يعم فى المجتمع بأسره، وكان ذا وجود مستقل عن الصور التى يتشكل بها فى الحالات الفردية(٣).

أما رينيه مونييه (٤). فقد عرف الظواهر الاجتماعية بأنها المظهر المتحد فى الأفكار، وفى طريقة الحياة الذى ينشأ عن الناس مجتمعين. ويمكن أن نستعمل كلمة حرى أكثر دقة فنقول: أن الظواهر الاجتماعية هى التوافق La Conformité لدى يظهر فى السلوك والتصرفات بين طوائف الناس، أو هى الاصطلاحات المشتركة سى تتكرر وتتضاعف، والتى تعبر عن السلطة المفروضة أو المقبولة عن طيب خاطر. ـجتمع هو الوسط المختار الذى تنشأ فيه الظواهر الاجتماعية.

ظر د. محمد المهدى عصر . ود. ماجدة أحمد القاضى. محاضرات فى التنمية - الجزء لأول - مبادئ علم الاجتماع، ص ص ١٨-١٩ . وانظر د. حسن همام. أصول علم الاجتماع ص ٧٦.

حسن شحاته سعفان. أسس علم الاجتماع ص ٤٢.

ـيل دور كايم . قواعد المنهج فى علم الاجتماع ص ص ٤٦-٤٧.

ـنة مونييه. المدخل فى علم الاجتماع ص ص ٣٦-٣٧.

مدى انطباق خصائص الظاهرة الاجتماعية على الأسرة :

١- تتصف الظواهر الاجتماعية بأنها إنسانية - أى تختص بالناس -، وتختلف عن الظواهر التى تدرسها علوم الطبيعة، والكيمياء والرياضة والبيولوجية والجغرافيا. وهى إنسانية أى يتميز بها المجتمع الانسانى دون المجتمع الحيوانى ومجتمع الحشرات، ذلك أن سلوك الحيوانات والحشرات يستند إلى الغرائز والأفعال المنعكسة. أما السلوك الإنسانى فيعتمد على الاكتساب والتعلم والتدريب، وينتقل من جيل إلى جيل.

والظواهر الاجتماعية إنسانية - أى يختص بها الإنسان على أن يخرج من نطاق البحث ما يتعلق بالنواحى البيولوجية والنفسية.

وينطبق ذلك جميعه على الأسرة، فهى لا تنشأ إلا بوجود المجتمع الإنسانى وبذلك فهى تتميز عن الظواهر التى تدرسها العلوم الأخرى، ويقوم علم الاجتماع بدراسة ظاهرة الأسرة باعتبارها ظاهرة إنسانية اجتماعية، وابعادها المختلفة من حيث بنائها وتركيبها ومشكلاتها والقوانين التى تحكمها.

٢- الظواهر الاجتماعية تلقائية، فهى ليست من صنع فرد أو أفراد، وليست منبثقة عن مصادر فردية أو جزئية، ولا تستند إلى ما هو خاص أو محدود، وليست ظواهر عارضة أو طارئة، ولم تصدر بطريقة المصادفة أو بطريقة عشوائية، وإنما صدرت عن الكل الجمعى أو روح الكل Allegeist، فهى من صنع المجتمع ومن خلقه نتيجة للحياة الاجتماعية التى يحياها الناس - أى تتولد من تلقاء نفسها، وبطريقة تلقائية كلما اجتماع الناس مع بعضهم، وتشاركوا وتعاونوا وتبادلوا آرا ءهم، واتفقت وجهات نظرهم، وترابطت وتشابكت مصالحهم، وتفاعلت وجداناتهم، ومشاعرهم، واتحدت رغباتهم وأراؤهم الخاصة فيما يتعلق بشئون الحياة.

كذلك الحال بالنسبة للأسرة، فقد ظهرت بصورة تلقائية ومن حى العقل الجمعى الذى ينشأ من اجتماع الأفراد .

٣- تمتاز الظواهر الاجتماعية بخاصة القهر والإلزام - أى تمارس نوعاً من

القهر الخارجي External على ضمائر الأفراد. وتفرض الظاهرة الاجتماعية على الفرد باعتبارها صدرت عن الكتلة الجمعية. والفرد مجبر على الأخذ بها سواء أراد أم لم يرد. ومن يخرج عليها يلقى مقاومة عنيفة بالجزاء المادى أو التحقير الاجتماعي.

وتنطبق هذه الخاصية على الأسرة، فهي تتميز بظاهرة القهر والإلزام، وتفرض نفسها على شعور الفرد وسلوكه، وإن كان الفرد لايشعر بهذا القهر والإلزام. وذلك مرده إلى تردد صدى العاطفة الاجتماعية في ضمائر الأفراد، ولأنه تعود عليها وألفها، فأصبحت عادية بالنسبة له.

وما أشبه ذلك بالضغط الجوى الذى يحمله كل منا بدون أن يشعر أنه يحمل حملاً لإيلافه حمل هذا الثقل منذ ولادته. إلا أن عدم شعور الفرد بالضغط الجوى لا ينفى وجود هذا الضغط فى الواقع.

إن طاعة الزوجة لزوجها والأبناء للآباء، وما إلى ذلك من العواطف التى تنشأ عن الحياة الأسرية إنما تعبر عن خاصية القهر والإلزام، وإلى جانب ذلك فهى تعبر عن الحب والولاء.

٤- صفة العمومية : الظاهرة الاجتماعية عامة بالنسبة لمجتمع معين سواء أكان هذا المجتمع كبيراً أو صغيراً، ويقصد بالعمومية أن جميع أفراد المجتمع وسائر هيئاته وطبقاته تأخذ بنظام الظاهرة الاجتماعية.

وتنطبق نفس الخاصية على الأسرة، فهى عامة ومنتشرة فى سائر أنحاء المجتمع... وبهذا المعنى يمكن دراستها دراسة إحصائية والتعبير عنها بالصور الكمية والمعادلات الرياضية والرسوم البيانية.

٥- تمتاز الظاهرة الإجتماعية بأنها واقعية وموضوعية شيئية وليست مثالية. وليس معنى ذلك اعتبارها أشياء مادية، وإنما اعتبارها شيئا وليس فكرة، بمعنى أن معرفتنا بها تأتى من الخارج على حين أن معرفتنا بالفكرة تأتى من الداخل.

وتنطبق نفس الخاصية على الأسرة فيمكن دراساتها، وتقرير شيئيتها، فهى بمثابة أشياء خارجية بالنسبة لشعور الأفراد. وتقرير شيئية الأسرة كظاهرة اجتماعية

يعنى أن نعتبرها خارجة عن ذواتنا حتى لا يتأثر الباحث فى دراستها بميوله وآرائه واتجاهاته الخاصة.

٦- تمتاز الظاهرة الاجتماعية بأنها تاريخية Historical، فهى تمثل فترة تاريخية من حياة المجتمع، وهى مادة التراث التاريخى وما يحتويه من عرف وعادات وتقاليد، وتنتقل من جيل إلى جيل، ولا تتغير بتغير الأفراد.

ويحدث نفس الشئ لظاهرة الأسرة، فهى تخضع لعامل الزمن، وتنتقل من جيل إلى جيل، ويحدث ذلك فى شئ من التعديل.

٧- تمتاز الظاهرة الاجتماعية بأنها مترابطة ومتشابكة مع غيرها من الظواهر، ويؤثر بعضها فى بعض ويفسر بعضها. فالظاهرة الاجتماعية، لا تعمل منفردة أو منعزلة. كذلك الحال بالنسبة لظاهرة الأسرة فهى ليست منعزلة، وإنما مترابطة ولها تأثيراتها المتبادلة مع الظواهر الأخرى.

وهكذا فظاهرة الأسرة ظاهرة اجتماعية، وهى من اختصاص علم الاجتماع، بل إنها علم الاجتماع ذاته، وما قولنا بعلم اجتماع الأسرة أو علم الاجتماع العائلى إلا من أجل أن تميزها عن غيرها من فروع علم الاجتماع الأخرى كعلم الاجتماع الاقتصادى أو علم الاجتماع السياسى.

من هذا المنطلق صدر علم اجتماع الأسرة، أو علم الاجتماع العائلى. وهو علم حديث نسبياً يبحث فى مدى التأثير المتبادل بين عناصر أو أجزاء الأسرة. فهى كما أشرنا عبارة عن بناء، والبناء مكون من أجزاء يترابط الواحد منها بالآخر. ويبحث كذلك فى مدى ارتباط ظاهرة الأسرة بالظواهر الاجتماعية وكذلك المشاكل الأسرية، والعوامل الاجتماعية التى تؤدى إلى هذه المشاكل.

الفصل السابع
اتجاهات دراسة الأسرة

دراسة الأسرة من أهم الموضوعات التى يقوم علم الاجتماع بدراستها، حتى أن البعض عرف علم الاجتماع بأنه العلم الذى يجعل الأسرة الموضوع الرئيسى لهذا العلم. ومع ذلك تواجه دراسات الأسرة العديد من الصعوبات، نذكر منها أن كل فرد منا عضو فى أسرة، وتجعله هذه العضوية يعتقد أن دراسة الأسرة أمر سهل وبسيط. ومن المحتمل كذلك أن يتصور أن أى نسق أسرى آخر لا يتفق وأسرته لابد وأن يكون غريباً وشاذاً.

وقد اهتم المفكرون منذ أقدم العصور بدراسة شئون الأسرة للوقوف على طبيعتها وطبيعة مشاكلها. بيد أن دراساتهم لم تعتمد على الوصف والتحليل والرجوع إلى ميدان المجتمع، ولكنها كانت دراسات شخصية نظرية مستمدة من آرائهم الخاصة وأفكارهم الفلسفية، حيث كان الفلاسفة والكتاب الاجتماعيون يعبرون عن وجهات نظرهم وآرائهم خاصة فى المسائل المتعلقة بالحياة الأسرية. ولذلك جاءت هذه البحوث أقرب إلى الفلسفة منه إلى علم الاجتماعى الأسرى.

حكماء مصر القديمة :

كان النظام الأسرى فى مصر القديمة من أكثر النظم الاجتماعية استقراراً وتماسكاً واتصالاً بالأرض. ولا غرو؛ فمصر بلد زراعى، ومن شأن الزراعة أنها تؤدى إلى الوحدة والتمثل الذاتى بينها وبين من يفلحها: وانتظمت الأسر القديمة فى صورة معاشر وبطون وخضعت للسيادة الأبوية. وكان رب الأسرة هو دعامتها ومظهر القوة فيها. وكانت هذه السيادة الأبوية هى أول مظهر لسيادة القبلية ثم السيادة السياسية الممثلة فى فكرة الدولة.

وكانت الأسرة المصرية خاضعة لنظم ومراسم دقيقة فى شئون الزواج والطلاق والختان والشعائر الجنائزية والتى وصلت إلينا أخبارها من تراث حكماء قدامى المصريين. ويمتاز النظام الأسرى بميزات ثلاث: السيادة الأبوية، والتربية الأخلاقية والعملية، والحرص على أداء العبادات والطقوس.

وأشادت الكتب القديمة بنظام الأسرة ودعت إلى تقوية أركانه والحرص على مقوماته. وجاءت في صورة ارشادات ووصايا وتعاليم وجاء بعضها في صورة خطرات وتأملات وأسرار. ويعتبر المؤرخون هذه الأفكار من أرقى مظاهر حضارة مصر القديمة. وتتمثل هذه الكتابات في : كتاب الموتى؛ نصوص الأهرام؛ نصوص التوابيت؛ تعاليم الوزير بتاح حوتب؛ تعاليم الموظف الصغير آمنوؤبت؛ قصة الفلاح المصري.

وكانت الأسرة وحدة منتجة دائبة العمل : رب الأسرة لابد أن يستيقظ مبكراً ليعد نفسه للعمل؛ والإبن لابد أن يطيع ويستمع لما يأمره أبوه.. وبالرغم من سيادة الرجل فإن المرأة كانت تقاسمه العمل في الحقل والمنزل والصناعة اليدوية البدائية وتتمتع بقسط كبير من الحرية. وكانت تتحلى وتتزين وتتعطر لأن العطور في نظر قدامى المصريين دواء شاف ومنعش للجسم. وكانت الأسرة واسعة النطاق تنطوي على عدد كبير من الاتباع والموالي. وقد أوصت التعاليم أرباب الأسرة بحمايتهم والرفق في معاملتهم..

وكانت التربية في الأسرة ترتكز على مبادئ أخلاقية؛ والأخلاق الحميدة في نظر قدامى المصريين من شأنها أن تطيل العمر وتحقق الثراء «أن الشخص الجشع لن يجد قبراً» وكان على رب الأسرة أن يلقن زوجته وأولاده وأتباعه مبادئ «الماعت». وهي عبارة عن أصول أخلاقية قوامها : الصدق والعدل والاستقامة وحسن المعاملة والنظام.

ومن بين هذه التعاليم والوصايا القديمة يجب عليك أن تعد منزلك وتحب زوجك، أملأ بطون أفراد الأسرة بالأطعمة ، ووفر لهم الكساء والأغطية. ووفر لزوجتك العطور لأنه خير دواء لجسدها؛ واجعل قلبها منشرحاً طالما حييت لأنها حقل مثمر لك.

وأتيح في الأسرة المصرية القديمة تعدد الزوجات والطلاق. وأوصت التعاليم خيراً بالأطفال اليتامى والمترملات والمطلقات. وكثرت حالات تعدد الزوجات وحالات التزاوج بين طبقات المحارم ولاسيما بين الملوك والأمراء بصفة خاصة. فكان من حق الملوك أن يتزوجوا باكثر من واحدة. ولم تحدد التقاليد طبقات الزواج. فكان لهم أن يختاروا زوجاتهم من جميع الطبقات. ولكن الزوجة التي تمثل أنقى الفروع والتي تمتاز بالصفة القدسية هي التي تنحدر من أصلاب العائلات الملكية. وكان هذا هو السبب في

زواج الأخ بأخته الذى لجأ إليه بعض الفراعنة لتدعيم صفة الفرعون القدسية ولغرض آخر هو التقليل من عدد المتطلعين إلى العرش. وفى كثير من الحالات الزواجية كانت الزوجة الأولى تحتل المكانة القدسية وتمتاز باعتبارات محرمة على الزوجات الباقيات. وتشير الكتابات القديمة إلى التقدير غير العادى والنفوذ الكبير الذى كانت تتمتع به سيدات الأسرة المالكة. فلم تعد المرأة وظيفتها «الإنجاب».. بل أصبحت ابنة اله وزوجة إله وأم اله[١].

فى الهند القديمة

وفى الهند القديمة خصص الفلاسفة القدامى جانباً كبيراً من تفكيرهم لمعالجة مسائل الأسرة. جاء ذلك فى قوانين مانو التى كانت تشيد بفضل الجزاء فى حفظ الكيان الاجتماعى واستقرار النظام[٢].

وقد خفت حدة التشدد التى بدت فى قوانين مانو بظهور الديانة البوذية. وهى ديانة ثورية قامت بإعتبارها تحدياً لسيطرة الطائفة البرهمية.

الأسرة فى الفكر الصينى القديم

كونفشيوس

ألمح كونفشيوس الفيلسوف الصينى إلى أهمية الأسرة فى النظام الاجتماعى، وارتباط التطور الاجتماعى بتطورها. وكانت دراسته مشبعة بروح الأخلاق الفاضلة، لأن أخلاقية الشعب فى نظره هى المطلب الأسمى وغاية الغايات. يقول كونفشيوس[٣]: «إن السعادة تسود المجتمع إذا سلك كل فرد سلوكاً صحيحاً كعضو فى الأسرة».

وكانت هذه الدعوة الأخلاقية من جانب كونفشيوس رد فعل لضعف البواعث الأخلاقية فى زمانه وانتشار الفوضى والتيارات الشكية التى وهنت من النظم الاجتماعية وأنذرت المجتمع بالإنحلال.

١- مصطفى الخشاب . علم الاجتماع العائلى ص ص ٨-١٠.
٢- د. مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسة - تاريخ الفكر الاجتماعى وتطوره ص ١٨.
٣- د. سناء الخولى، الزواج والعلاقات الأسرية، ص ٩٩.

وكان كونفشيوس من أنصار النظرية التى تقول : «أن الرقى الذاتى هو أساس التقدم الاجتماعى. بمعنى أن المجتمع الفاضل يعتمد على الأسرة الفاضلة. والأسرة الفاضلة تعتمد على الفرد. وفضيلة الفرد تبدو فى ثقافته، وأخلاقيته ومبلغ إدراكه لحقائق الأمور. فإذا صلح الفرد فى ذاته وأحسن حكم نفسه، استقر النظام فى الأسرة، وسهل حكم الدولة وشقت طريقها للتقدم.

وفى رأيه أن الإزدهار والهناء يجب أن يتحققا فى حالة واحدة فقط هى أن يلتزم المجتمع بالسلوك القويم كأعضاء فى أسرة. وكان يقصد بذلك أنه لا يجب على أى فرد أن يخون إلتزاماته القرابية أو يتهرب منها.

ويضيف كونفشيوس : إن الإلزام الكلى الذى أودعته العناية الإلهية فى الكون ينطوى على تقدير خمسة واجبات هى : واجبات بين الملك ووزيره، وبين الوالد والإبن، والزوج والزوجة، والأخ الأكبر والأخ الأصغر، والعلاقات المتبادلة بين الأصدقاء. ولا تأتى هذه الواجبات عملياً، وبصورة فعلية إلا عن طريق ثلاث فضائل هى المعرفة، والشهامة «المروءة» وقوة العزيمة.

فى اليونان القديمة

وفى اليونان القديمة أخذ الفلاسفة الخياليون يرسمون خطاً يوتوبياً Utopia يضمونها طرقاً جديدة لأدوار الأسرة، ويتمثل ذلك فى فلسفات أفلاطون وأرسطو.

أفلاطون

تناول أفلاطون الأسرة فى مظهرين هما :

١- تقوم الأسرة فى طبقات الشعب، وتأخذ بنظام وحدانية الزوج والزوجة وترتكز على التعاقد المشروع. ويباح الطلاق فى هذا النظام. وحدد أفلاطون الإعتبارات التى تؤدى إلى الطلاق حتى لا يتهدم كيان الاجتماع الأسرى. وحدد أفلاطون النسل وفق حاجات الدولة، والقدر الذى تسمح به مواردها.

أما الأسرة فى طبقة الحراس فتقوم على المبادئ الآتية :

١- خضوع الأطفال بنين وبنات لتربية اجتماعية واحدة.

٢- تتولى الدولة أمر تربيتهم والإنفاق عليهم طالما كانوا موجودين فى أسرة الجندية.

٣- المساواة بين الجنسين فى الحقوق والواجبات وتولى الوظائف العامة.

٤- حرمان طبقة الحراس من «الملكية» ومن تكوين أسر بالمعنى المعروف.

٥- الشيوعية الجنسية فى أسرة الجندية، بمعنى أن يكون الحارسون حقاً مشاعاً للحارسات.

وذهب أفلاطون إلى أن المشرفين على نظام الحراسة يتولون فى الأعياد القومية والمناسبات السعيدة صياغة عقود زواجية مؤقته بين الحارسين والحارسات قائمة على شرط الكفاءة حتى تضمن نسلاً ممتازاً من أصلاب ممتازة وحتى يمكننا أن نتحكم فى عملية التناسل فلا نسرف فى تضخم عدد السكان، ولا نتزمت فيقل العدد عن الحد الأنسب، ولكن نراعى أن تكون حالات الاتصال الجنسى محققة لحاجة الدولة.

ويرى أفلاطون أن الأم يجب أن تبدأ فى الإنجاب منذ سن العشرين وتستمر كذلك حتى سن الأربعين. أما الرجل فيبدأ فى سن الخامسة والعشرين ويستمر إلى الخامسة والخمسين. ويمتنع بعد ذلك عن مزاولة نشاطه الجنسى لأن ثمرات الشيخوخة تكون فجة ضعيفة.

ويجب أن يلاحظ المشرفون على نظام الحراسة عدم إتصال الرجل جنسياً بأصوله (أمه وجدته) وفروعه المباشرة (ابنته وحفيدته) وكذلك يحرم على السيدة الاتصال جنسياً بأصولها وفروعها (الأب والجد؛ والابن والحفيد).

ويوضع الأطفال فى مكان واحد ويعهد بهم إلى مرضعات فضليات إذ لا يصح أن نثقل كاهل الحارسة المثالية بمسئوليات الطفولة والرضاعة والعناية بالنشئ وتحول بينها وبين تأدية وظيفتها القومية وهى الحراسة دون غير.

ويجب أن تفرض رقابة فعالية وتتخذ الاجراءات التى تحول دون معرفة الامهات لأطفالهن حتى لا تشغل المرأة بعواطف الأمومة وتحن إليها[1].

١- انظر د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان - الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع ص ص ٣٨-٤٤.

هذا ولم يستسغ اليونان هذه الآراء الغريبة، ولم تقع منهم موقع القبول. ولذلك لم تأخذ طريقها إلى التطبيق العملى، وأصبحت مجرد خطرات وتأملات خيالية تعبر عن رأى صاحبها، ولا سبيل إلى تحقيقها.

أرسطو

يرى أرسطو أن الأسرة هى أول اجتماع تدعو إليه الطبيعة «إذ من الضرورى أن يجتمع كائنان لاغنى لأحدهما عن الآخر. أى اجتماع الجنسين للتناسل. وليس فى هذا شئ من التحكم، ففى الإنسان كما فى الحيوانات الأخرى والنبات نزعة طبيعية وهى أن يخلف الكائن الحى بعده موجوداً على صورته» فالاجتماع الأول والطبيعى فى كل الأزمنة هو «العائلة» وحيث تجتمع عدة عائلات تنشأ القرية ثم المدينة فالدولة.

وتتألف الأسرة من الزوج والزوجة والبنين والعبيد (الأرقاء). وقد عينت الطبيعة المراكز الاجتماعية المختلفة لكل هؤلاء. فهى (الطبيعة) الحريصة على بقاء النوع، قد خلقت بعض الكائنات للسيطرة والسيادة ، وبعضها للخضوع والطاعة. فالكائن المزود بالعقل يحكم ويأمر بوصفه سيداً، والكائن المزود بالقوة العضلية والجسمانية ينفذ الأوامر ويخدم كما تخدم الدواب.

وفى ضوء هذه الاعتبارات يضع أرسطو الرجل على رأس الأسرة فهو سيدها. أما المرأة فأقل عقلاً وذكاء، وليس بصحيح ما يدعيه أفلاطون من أن الطبيعة هيأتها لمشاركة الرجل فى الجندية وشئون الحكم. وإنما وظيفتها بحكم الطبيعة هى تربية الأولاد والعناية بشئون المنزل. وأما العبيد فيقوم بالصعب من الأعمال ومنفعته تشبه من كل الوجوه منفعة الحيوانات المستأنسة. وعلى هذا النحو تمتزج مصالح عناصر الأسرة.

وللرجل ثلاث مظاهر للسلطة وهى :

١- سلطة السيد. وهى سلطته على أرقائه ويمثلها بالسلطة الدكتاتورية.

٢- سلطة الأب. وهى سلطته على أولاده ويمثلها بالسلطة الملكية.

٣- سلطة الزوج. وهى سلطته على زوجته ويمثلها بالسلطة الجمهورية.

ويتعين مركز الكائن الأخلاقى تبعاً لإرادته. فالكائن عديم الإرادة (الرقيق أو العبد) ليس فاضلاً فى ذاته؛ أما الكائن الذى يأمر فيجب أن يكون حاصلاً على الفضيلة الخلقية فى أكمل صورها. ووظيفته فى الأسرة كوظيفة المهندس الذى يأمر. أما الآخرون (العمال والشغالة) فليس لهم من الفضائل إلا بحسب الوظائف التى شغلونها.

وأهم فضيلة فى المرأة هى الطاعة . كما أن فضيلة الرجل هى السلطة. يستشهد بقول الشاعر «صمت متواضع.. هو شرف المرأة».

ويجب أن يكون السلوك فى الأسرة قويماً «لأن فضيلة الأجزاء تتعلق بفضيلة لمجموع» بمعنى أن نسبة الأفراد للعائلة كنسبة العائلة للدولة. وتقاس صلاحية الدولة بدرجة أخلاقية عناصر الأسرة. فالرجال عماد الحياة السياسية، والنساء يؤلفن نصف الأشخاص الأحرار؛ والأولاد سيصبحون فيما بعد أعضاء الدولة. ولذلك ينبغى أن تكون التربية متفقة مع أهداف النظام السياسى الأمثل.

ويناقش أرسطو تفصيلات كثيرة تتعلق بالتنظيم الأسرى. فيتكلم عن «سن الزواج» قائلاً : بما أن الطبيعة قد حددت قدرة النسل إلى السبعين على الأكثر فى الرجال؛ وإلى سن الخمسين فى النساء، فينبغى التنسيب إلى هذين الأجلين البعيدين فى تحديد الوقت الملائم لبدء الحياة الزوجية. بمعنى أنه لا يصح التبكير فى الزواج لأن ذلك يضر بالثمرات التى تجئ منه. ويمكن التثبت من صحة ذلك بما نشاهده فى جميع البلاد التى يتزوج شبابها فى سن مبكرة إذ أن ثمراتها ضعيفة وهزيلة. وتنطوى ظاهرة التبكير على خطر آخر وهو خطورة الوضع وآلامه بالنسبة للزوجات الصغيرات فكثيراً ما يهلكن فى الوضع أو يصبن بأمراض عصبية شديدة.

أما الزواج فى سن نامية فهو خير وأبقى وفيه ضمان لاعتدال الحواس وسلامتها. ويمكن تعيين أفضل سن للزواج بأن يكون الثامنة عشرة بالنسبة للنساء والسابعة والثلاثين بالنسبة للرجال. فى هذه الحدود يتعين وقت الزواج السليم بالضبط وهو وقت النضوج واكتمال القوى. وهو أنسب وقت للزوجين لمباشرة التناسل والوفاء بالتزاماته.

هذا وينبغي كذلك تعيين الوقت الذي يجب فيه أن ينقطع الزوجان عن الأنسال. فالرجال المتقدمون في السن شأنهم شأن الأحداث لا يأتون إلا ثمرات ضعيفة، وناقصة جسماً وعقلاً. وهم من الضعف بحيث لا ينفع فيهم العلاج. ويرى أرسطو أن الإنسان يجب أن ينقطع في الوقت الذي يصل فيه العقل إلى غاية قوته، ونموه. وهذا الوقت في نظره يقع حوالي الخمسين. حينئذ ينبغي أن يكف المرء عن إنسال الأولاد بعد هذا الميعاد بأربع أو خمس سنوات. وعليه أن يمتنع عن الاستمتاع بلذائذ الحب وعواطف الأسرة.

وينبغي أن تعنى الأمهات طوال مدة الحمل بالتزام نظام معين : يخففن من الغذاء ويتجنبن الكسل. وما على المشرع إلا أن يأمرهن بالذهاب إلى المعبد كل يوم لاسترحام الآلهة المشرفة على الوضع. فإن الأجنة في الأرحام تتأثر بما يتأثر به أمهاتها اللواتي تحملها كما تتأثر الثمرات بالتربة التي تغذيها.

وتكلم في انحلال الأسرة وعرض للخيانة الزوجية ورأى أنها محرمة على الزوجين. فمتى ثبتت تتعين العقوبة بقوة متعادلة. وتشتد هذه العقوبة إذا ثبتت في المدة المعينة للأنسال. وقرر إعدام الثمرات التي تجئ من هذه الاتصالات غير المشروعة. فهي تعبير عن الجريمة النكراء.

ويؤيد أرسطو سياسة تحديد النسل. ويرى ضماناً للإبقاء على الخطوط الرئيسية لهذه السياسة تبرير عملية «الاجهاض» فهي ضرورية لحفظ الحد الأنسب على قدر حاجة الدولة من السكان. ويبرر إعدام الأطفال «مشوهي الخلقة وفاسدي التربية والمنحدرين من سفاح المحارم».

ويتكلم عن تربية الأطفال ويوليها مزيد عنايته ويفرد لها فصولاً مطولة من دراساته. ويرى أن نشأة الطفل تسير في ثلاث مراحل متتالية وهي :

المرحلة الأولى : التكوين الجسماني والبيولوجي.

المرحلة الثانية : نشأة القوى النزوعية والغضبية .

المرحلة الثالثة : نشأة النفس الناطقة. وهي آخر القوى النفسية ظهوراً لأنها تتعلق بكمال الإنسان بما هو إنسان.

ولكل مرحلة من هذه المراحل نظاماً تربوياً يتفق معها فى طبيعتها وقدراتها. ولذلك يقسم «التربية» إلى ثلاثة أقسام وهى: التربية البدنية والأخلاقية ثم التربية العقلية. والغرض الأسمى من التربية الأولى تنمية الجسم صحياً وبدنياً؛ ومن الثانية تقويم الطفل وترويضه على الفضيلة والأخلاق الحميدة، ومن الثالثة تزويده بالعلوم والمعارف وتعزيز حريته الشخصية واستكمال مقوماته الذاتية حتى يصبح مواطناً حراً فاضلاً.

وتكلم أرسطو بصدد هذه المرحلة فى مسائل تربوية كثيرة تتعلق بتعليم الأطفال قواعد اللغة والآداب القومية وتدريب قواهم الطبيعية والسمو بمدركاتهم الحسية عن طريق تعليم الفنون والموسيقا والرسم والنحت وما إليها. وناقش موضوع التمرين العملى حتى يحتكوا بالمشكلات احتكاكاً فعلياً ويتدربوا على التطبيقات المفيدة فى الحياة الاجتماعية.

وعنى أرسطو بمشكلة تنظيم أوقات الفراغ والتربية الرياضية وتنمية الروح الاجتماعية والهوايات وما إليها.

ونادى أرسطو بتطبيق نظام «مفتشى الأطفال» الذين يشرفون على نظام التربية فى نطاق الأسرة. ووجه إلى هؤلاء المفتشين نصائح ووصايا تعتبر من أهم مقومات «البيداجوجيا» فقد لفت نظرهم إلى خطورة اختلاط الأطفال بالعبيد؛ فينبغى أن تبذل العناية لمنع هذا الاختلاط ولا يتاح إلا فى أضيق الحدود وأوصاهم بالابتعاد بهم عن قرناء السوء وفاحشى القول. وأوجب على المشرع أن يجيز نفى أمثال هؤلاء من المدينة لأنهم لا يقلون خطراً عن مرتكبى الرذائل والجرائم.

عند الرومان

إهتم بعض مفكرى الرومان ومشرعيهم بشئون الأسرة ودراسة مقوماتها. وجاء اهتمامهم هذا نتيجة لاهتمامهم بدراسة القانون الطبيعى وما ينطوى عليه من مبادئ الحرية والمساواة والعدالة. فكان بلازم الأمر أن يشنوا حرباً لا هوادة فيها على نظام

١- د. مصطفى الخشاب. علم الاجتماع العائلى، ص ص ١٧-٢٢.

الرق، ويطالبوا بإعادة صياغة القوانين والتشريعات وإرساء القانون الوضعى على أسس من القانون الطبيعى وإلغاء قوانين الألواح الاثنى عشر وما تنطوى عليه من مبادئ وإجراءات لا تتفق مع ما وصل إليه الرومان لاسيما فى العصر الإمبراطورى.

وكانت دراساتهم لشئون الأسرة مشبعة بالروح الأخلاقية والرغبة فى السمو بهذا النظام وتطويره وإرسائه على أرسى ما تكون القواعد المستمدة من الفلسفة الطبيعية والقانون الطبيعى.

جايوس

كان المشرع «جايوسGaius» من أبلغ المدافعين عن شئون الأسرة ومن الراغبين فى وضع تشريعات جديدة منظمة لمقوماتها وأوضاعها. فقد حمل على سلطة رب الأسرة Pater Familias» كما تصورها قوانين الألواح الإثنى عشر وفى القوانين الرومانية السائدة؛ لأن هذه السلطة كانت تجاوز المعقول فى كثير من التصرفات والاختصاصات. وقد غالى أرباب الأسر فى هذه التصرفات حتى انعدمت فى نطاق هذه الوحدات الاجتماعية كل مظاهر المشاركات الوجدانية والعواطف الإنسانية وأصيبت الحياة فى هذه الخلايا بالجفاف والعقم.

وتقطعت وشائج التودد والتواصل الاجتماعى مما انعكست آثاره فى حياة المجتمع بالإجمال. فنادى «جايوس» بأن السلطة لابد وأن تقوم على حب الخير، ولابد أن تكون فى نطاق الأسرة من طبيعة روحية أى سلطة أبوية بما ينطوى عليه معنى الأبوة من اعتبارات. ونادى بضرورة القضاء على النصوص التشريعية القديمة التى تهز دعائم الاجتماع الأسرى مثل حق الدائن فى الاستيلاء على أشخاص الأفراد حتى زوجة المدين وأولاده؛ ومثل حق الزوج فى قتل أولاده أو بيعهم أو وضعهم كرهائن. وكذلك ما يتعلق بالدية والجرائم الجمعية والمسئولية الجمعية أو المشتركة أو مسئولية الجوار. فلا ينبغى أن نغفل الروح السامية التى يهدف إليها القانون الطبيعى، ونلجأ إلى تطبيقات تعسفية تأباها الكرامة الإنسانية وتعافها النفوس الأبية. لأن المجتمع يجب أن يقوم على حق الأخاء بين أفراده، وعلى مبادئ مستمدة من حق الإنسان فى الحياة وفى الحرية وفي المساواة والعدالة. فلا يصح مثلاً أن ندفع بطفل برئ إلى موت

محقق لجريمة ارتكبها أبوه. وإذا كان الغرض من الجزاء هو إصلاح وتقويم أخلاقية الأفراد؛ فالأقرب إلى منطق الأمور أن ينصبُ الجزاء على مقترفي الجرائم وأصحاب الأيدي الأثيمة الذين ارتكبوها.

ونادي مشرعون كثيرون كذلك بالثورة على نظام الرق بصفة عامة ورق الأسرة بصفة خاصة وتحرير عناصر الأسرة من القيود والأسر الذى يغل تصرفاتهم ويردهم إلى مجرد آلات حية تخدم كما تخدم الدواب. لأن العبودية ظاهرة غير سوية، والاسترقاق ضد قوانين الطبيعة.

وحمل بعض المفكرين على ما جاء بالقوانين الرومانية متعلقاً بشئون الأسرة. من ذلك الحملة على التبكير فى الزواج. فقد نصت القوانين على جواز التزاوج من سن ١٤ سنة بالنسبة للذكور و١٢ سنة بالنسبة للإناث. وكانت بعض التشريعات تلزم بالزواج على أن تكون الزوجة من أصل رومانى وإلا اعتبرت الثمرات أولاد سفاح وحل دمهم. وتناول المفكرون بالدراسة والتطوير ظواهر لها أهميتها فى نطاق الاجتماع العائلى مثل زواج الزانى والزانية وطلاق العقيم والقيود الزوجية بين ذوى القرابة الفرعية «قرابة الحواشى». والقانون الرومانى يحرم زواج الشخص بأصوله وإن علو، وفروعه وإن نزلوا[1].

من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

ومنذ أول القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين، ظهر الاتجاه الموضعى على يد عالم الاجتماع الفرنسى أوجست كونت، والاتجاه التطورى على يد هربرت سبنسر من المدرسة الإنجليزية. ومن المدرسة الأمريكية ظهرت نزعة الحب على يد لستروارد.

الاتجاه الوضعى
أوجست كونت (١٧٩٨ - ١٨٥٧)

الأسرة فى نظر أوجست هى الخلية الأولى فى جسم المجتمع. وهى نقطة البداية فى التطور. ويمكن مقارنتها فى طبيعتها وجوهر وجودها بالخلية الحية فى التركيب البيولوجى للكائن الحى. وهى أول وسط طبيعي واجتماعى نشأ فيه الفرد وتلقى عنه المكونات الأولى لثقافته ولغته وتراثه الاجتماعى.

١- د. مصطفى الخشاب. علم الاجتماع العائلى، ص ص ٢٣-٢٦.

ولم يبحث كونت منشأ الأسرة ولم يتعمق فى تحليلها ودراسة مراحل تطورها واكتفى بأن قرر أن الحياة الأسرية نظام موجود بالفطرة وهى الحالة الطبيعية للإنسان.

وتكلم عن الزواج واعتبره استعداداً طبيعاً عاماً وهو الاتحاد التلقائى بين الجنسين نتيجة لتفاعل الغريزة مع الميل الطبيعى المزود به الكائن الاجتماعى. والزواج بصفة طبيعية يجب أن يكون فى شكله ثنائياً أى قائماً على وحدانية الزوج والزوجة Monogamy لأن هذا الشكل يتفق مع الدوافع المزودة بها الطبيعة البشرية. والزواج هو الأساس الأول فى البنيان الاجتماعى؛ وكل عامل من شأنه أن يضعف الزواج أو يقلل من شأنه يعتبر عامل هدم للنظام الاجتماعى بالإجمال. ولذلك فهو لايقبل ظاهرة الطلاق ويعتبرها من عوامل الاخلال بنظام المجتمع وفساد الحياة الأسرية. لأن الطلاق أو الزواج من جديد«تكرار الزواج» يشجع حب الذات فى داخل الأسرة فيجب ألايباحا.

ويجب أن يخضع الزواج فى أشكاله وبنيانه للتغيرات الاجتماعية ويوائم نفسه مع مظاهر التقدم التى تخطوها المجتمعات. ويجب على المجتمع أن يصون الأسرة ويقوى دعائمها ويضمن سلامة أوضاعها واتجاهاتها لأنها المعين الذى لا ينضب للعواطف الغيرية والتضحية بالذات.

وشرح كونت الأسس البيولوجية للزواج وحدد العلاقة بين الرجل والمرأة وهى علاقة يرى أنها تقوم على أسس بيولوجية وسيكولوجية. وانتهى من دراسته إلى تقرير الخضوع الطبيعى للمرأة. بيد أن هذا الخضوع لايشمل النواحى الأخلاقية والعاطفية. لأن النساء فى نظره أرقى من الرجال فى العواطف والمشاركات الوجدانية والشعور الضرورى بحياة الجماعة. ولكنهن أقل من الرجال ذكاء وقدرة على التفكير وذلك لاعتبارات بيولوجية دائمة.

وتناول كونت وظائف الأسرة، وعلى وجه الخصوص وظيفتها الأخلاقية؛ أما وظيفتها العقلية فتابعه ومترتبة على وظيفتها الأخلاقية.

ويرد كونت ذلك إلى الميل المتبادل بين الزوجين؛ والعطف والمشاركات الوجدانية المتبادلة بين الزوجين من ناحية والأولاد من ناحية أخرى، والألفة أو الوحدة الروحية التى تربط بين أفراد هذا المجتمع الصغير، ثم تربية الأولاد والنزعة الدينية التى

يغرسها الأبوان فى أولادهم، كل هذه الأمور ترجع فى طبيعتها إلى وظيفة الأسرة الأخلاقية.

ولكن تحقق الأسرة هذه الوظيفة لابد أن تتجه إلى المثال الأخلاقى أو الكمال الأخلاقى، وتدرب نفسها على مقتضياته حتى تقيم بين عناصرها انسجاما أو توازناً بين الميول الذاتية والغيرية. لأن الكمال المنشود يرتكز على مبدأ «عش لغيرك» ويطلب خضوع الأنانية للعواطف الغيرية.

وللأسرة وظيفة ثانية لاتقل شأناً عن الوظيفة الأولى ألا وهى الوظيفة التربوية. ويتكلم عنها فى أماكن متفرقة من بحوثه على أنها تابعة للوظيفة الأخلاقية ومندرجة تحتها. وتتلخص هذه الوظيفة فى أن الطفل يظل منذ ولادته حتى سن السابعة فى حضانة أمه وتحت رعايتها مباشرة. وفى هذه المرحلة تتولى تمرين قواه وملكاته بالتدريج؛ وتقوِّم من لسانه وتزوده بالمفردات والأساليب اللغوية، وتغرس فيه الفضائل الأخلاقية ومبادئ الدين الوضعى الجديد، وتهذِّب إلى حد كبير من غرائزه الفطرية ومن الاتجاهات الشاذة التى تظهر بوادرها فى أدوار الطفولة الأولى. ويجب أن تنبه فيه الروح الاجتماعية، وتروِّضه على أن يكون مواطناً فاضلاً، وتحقق فى ذاتيته التوازن بين مختلف الملكات الناشئة، والاعتدال بين الأنانية والغيرية. ومتى صلب عوده، تزوده بقدر كبير من المعرفة المتصلة بتاريخه القومى والآداب العامة والفنون والتراث الاجتماعى بصفة عامة.

وللأسرة وظيفة ثالثة هى الوظيفة الدينية. فهى التى توجه وتشرف على ما سماه «العبادة الأسرية» وذلك بفضل وظيفة الأم لأنها الرباط الحى الذى يربط الفرد بالمجتمع وهى مركز العواطف والوجدانات. ولذلك فهى الأمينة على تلقين الحدث مبادئ الدين الوضعى الجديد. وتتلخص العبادة الأسرية فى أن يقطع الفرد فى أسرته تسع مراحل مقدسة حتى يندمج فى الإنسانية ويتحد بالكائن الأكبر كما يتحد الصوفى بحضرة الألهة. وذلك مثل تطهير الطفل؛ والغطاس؛ والتعميد؛ ثم القبول فى الجمعية الدينية للأسرة. وعند وصوله إلى سن الثانية والاربعين يعطى له حق الزواج.

وقد تطورت فكرة الزواج فى فلسفته إلى درجة أنه اعتبره نظاماً مقدساً؛ وارتفع فى نظره عن مجرد الإرضاء الفريزى الحسى إلى مرتبة التقديس والطهارة. ومتى وصل الرجل إلى سن الثانية والستين فإنه يمتنع عن اتصالاته الجنسية وتصومع ويعكف فى خلوته على التأمل فى الذات الإنسانية السامية. ثم بعد ذلك ينتظر الموت.

وبالرغم من أن كونت قرر خضوع المرأة للرجل، غير أنه أشاد بفضلها فى تدعيم الحياة الأسرية وتقوية الروابط الاجتماعية، واعتبرها دعامة الدين، ووسيطاً بين الإنسانية والأسرة. ونظراً لقديره إياها فقد صور الإنسانية (وهى الفكرة التى يقوم عليها الدين الوضعى) فى صورة إمرأة جميلة فى سن الثلاثين وتحمل بين ذراعيها طفلاً. وأوصى بوضع هذا التمثال فى معبد الإنسانية الذى ينبغى أن يقام فى وسط غابة مقدسة يؤمها الناس للعبادة. ومبالغة منه فى تقديرها أوصى بأن يقام بجانب معبد الإنسانية، معبد أخر يخصص لذكرى النساء الشهيرات اللاتى أدين لمجتمعاتهم خدمات جليلة[1].

منهج المسح بالعينة
فردريك لوبلاى Fréderic.
(١٨٠٦-١٨٨٢)

يعتبر لبلاى من أبرز العلماء الاجتماعيين الذين اهتموا بموضوع الأسرة، وخصوصاً الجانب الاقتصادى. واستخدم فى ذلك منهج المسح بالعينة، واتخذ الأسرة كوحدة لقياس مستوى معيشة وحياة العمال.

الأسرة من منظور الصراع
كارل ماركس
(١٨١٨-١٨٨٣)

قديماً اختص نظام الوراثة الإبن الأكبر بالميراث دون غيره من الأبناء، وهذه الخاصية مازالت موجودة فى بعض البلدان العربية التى يهيمن عليها تفضيل الذكور، وخاصة إذا كان المال الموروث أرضاً زراعية أو عقارات مبنية.

1- SEE EDWARD WESTERMARCK, THE HISTORY -HUMAN MARRIAGE (LONDON, 1921).

وهكذا تكون الملكية الخاصة قد توافقت فى نموها مع نظام الوراثة وهيمنة قيمة تفضيل الذكور والتى تجلت بصورة واضحة فى نظام حق الإبن الأول فى الميراث Primogeniture والاحتفاظ بثروة الأب، أما بالنسبة لأفراد الطبقة الدنيا فلم يكن لديهم سوى النذر اليسير مما يمكن أن يورثوه لابنائهم.

ويشير ماركس وانجلز إلى أن تغير النظام الاجتماعى من الرأسمالية إلى الاشتراكية يترتب عليه إلغاء الملكية الفردية وتصبح تنشئة الأطفال من الموضوعات التى يرسم المجتمع ملامحها ويرسى دعائمها.

ويشير ماركس فى كتاباته المبكرة (Mclellan, 1982:86) إلى الزواج على أنه شكل من أشكال الملكية الخاصة الحصرية Exclusive حيث يستحوذ الرجل على إمرأة ينتزعها من مجتمع النساء وتصير ملك يمينه دون غيره من الرجال. والمرأة فى هذه الحالة شأنها شأن الثروة التى يمتلكها الفرد ملكية خاصة فيحرم منها المجتمع.

ويسلم كثير من الماركسيين (Mo'Donnell, 1983) بصحة هذه القضية التى أثارها ماركس ويذهبون إلى أن الزواج ما هو إلا علاقة استغلال المالك لما يملكه، فالانثى تمنح زوجها المتعة الجنسية فى مقابل الأمن الاقتصادى الذى يضمنه لها. والأنثى بذلك الوضع تكون الجانب الضعيف فى هذه العلاقة لأنها الأكثر اعتماداً على الرجل[1].

ونظر كل من إنجل F.Engels، وماركس K.Marx، إلى الأسرة باعتبارها مجتمع طبقى Class Society مصغر Miniature، فيه تقوم طبقة (الرجال) بقمع طبقة أخرى (النساء) وكان يوافق على أن الزواج كان أول أشكال الصدام الطبقى Class antagonism، فيه يؤسس سعادة أحد الجماعات على بؤس وقمع الجماعة الأخرى، وأن الدافعية للسيطرة الجنسية كانت بمثابة استغلالا اقتصادياً لعمل المرأة.

١- ١- د. غريب سيد أحمد وآخرون، علم اجتماع الأسرة، ص ٣٤.

الإتجاه التطورى

لاينطلق الاتجاه التطورى من التفاعل الاجتماعى فى حد ذاته، ولا من السلوك المتأثر بالموقف. ولكن ينطلق من دورة حياة الأسرة، أو من مراحل التطور التى تمر بها الأسرة وأفرادها.

وقد تأثرت الأفكار التطورية بالداروينية الاجتماعية، وسيطرت على كل ما يتعلق بالأسرة، وأوحت أفكار داروين إلى المفكرين الاجتماعيين أنه من الضرورى أن تتطور أشكال ونظم الحياة الاجتماعية بنفس الطريقة التى تتطور بها الكائنات البيولوجية.

وكان من أهم الموضوعات التى تثيرها هذه الأفكار هل المجتمعات الإنسانية من حيث الأصل تأخذ بنظام الوحدانية فى الزواج، أو بالنظام المختلط؟ وهل الأسرة من حيث النسب أبوية أم أموية ؟ وهل تتطلب الاجابة على مثل هذه الأسئلة استخدام الوثائق التاريخية والفلكلور والأساطير؟ وقد يتجه الباحث إلى دراسة الأسرة دراسة مباشرة، ويستمد الإجابات من الحقائق المعروفة عن أكثر المجتمعات بدائية.

ومن أنصار هذا الاتجاه التطورى هربرت سبنسر ومورجان وانجلز.

هربرت سبنسر (١٨٢٠-١٩٠٣)

نظر هربرت سبنسر إلى التطور الاجتماعى باعتباره تغيراً كيفياً. واعتبر الأسرة وحدة بيولوجية اجتماعية تسيطر عليها الغريزة الواعية. وهى لهذا الاعتبار امتداد للتجمعات البيولوجية الحيوانية التى تسيطر عليها الغرائز الدنيا.

وقد خضعت هذه الوحدة للمبدأ العام الذى ينادى به وهو الانتقال من المتجانس إلى اللامتجانس ولاسيما فى وظائفها . فبعد أن كان رب الأسرة هو حاكمها وقاضيها ومربيها وهو الذى يدير اقتصادياتها؛ انتقلت هذه الوظائف إلى هيئات اجتماعية متعددة وأصبح لكل عضو فى الأسرة وظيفة ومركز اجتماعى يشغله.

وتتشكل طبيعة الأسرة حسب طبيعة الحياة الاجتماعية السائدة. فالمجتمعات تطورت من مجتمعات حربية إلى تجمعات صناعية . فالأسرة فى كل منهما لها خصائص ووظائف.

ففى المجتمعات الحربية نجد أن الرجل هو عصب الأسرة وهو سيدها. أخلاقه جافة وأوامره غليظة واجبه الطاعة والنفاذ، يسيطر ويأمر كما يفعل الضابط بصدد عساكره. والحياة فى الأسرة شبيهة بالحياة فى القلعة أو الثكنة العسكرية. لا إرادة ولا حرية لأفرادها وتنعدم بينهم روح التآلف والانسجام وتصاب العلاقات والروابط بينهم بالتفكك، وتجف العواطف وتسودها النزعات العسكرية. وتنعكس كل هذه الاعتبارات فى التربية والتعليم والقيم الاخلاقية. والأسرة فى المجتمعات الحربية واسعة النطاق متعددة المراكز والوظائف الاجتماعية التى تتخذ عادة شكلاً هرمياً قاعدته الاتباع والموالى والأرقاء وعلى رأسه رب الأسرة؛ مما يوحى إلينا بخضوع التنظيم العائلى للتدرج الطبقى الملحوظ فى الحياة الاجتماعية بالإجمال.

أما فى المجتمعات الصناعية فقد تغيرت وظائف الأسرة، وأصبحت تحتل مركزاً معادلاً لمركز الرجل. ويتمتع أفرادها بالتحرر وحرية الرأى والمشاركة فى مطالب الحياة.

وتمتاز الأسرة فى هذه المجتمعات بروح التعاون والتضامن وقوة العواطف. وتتمتع بقسط كبير من التكافل الاجتماعى ومن رعاية الدولة. وتخضع نظم الأسرة للروح الديمقراطية وتتعدد فيها الاتجاهات التربوية والتعليمية ويقل إشراف الدولة عليها ويضيق نطاق تدخلها فى شئونها.

ويعتبر سبنسر الأسرة بصفة عامة هى خلاصة الجنس وهى المرآة التى تعكس قدرتها وخصائصها الموروثة وهى بوصفها خلية بيولوجية واجتماعية تتأثر بعوامل البيئة والوراثة ومقومات التنازع على البقاء. وهى فى المجتمعات المستقرة المتطورة تقوم بدور خطير بصدد التربية بمختلف مفاهيمها: بدنية وعملية ودينية وأخلاقية واجتماعية وتعليمية.

وأهم المظاهر التربوية التى يجب أن تعنى بها الدولة هى تربية الوجدان (بفضل تعليم الموسيقا والفنون الجميلة) وتربية الحماس القومى لأنه هذه التربية هى قاعدة البنيان الاجتماعى؛ إذ بفضلها يتأصل فى نفوس النشئ فضيلة الحياة «بالجماعة وللجماعة» ولذلك كان يشيد دائماً بالتربية الاسبرطية القديمة والألمانية فى العصور الحديثة لأنها تغرس فى نفوس المواطنين فضيلة الحماس القومى.

وكان سبنسر من أنصار سيادة الرجل على الأسرة ومن أنصار عدم نزول المرأة إلى ميدان الحياة العامة إذ يكتفى بتثقيفها لتكون زوجة وربة المنزل وأمًا تخدم أطفالها بنفسها. وكان يرى أن الخدمة فى مملكة المنزل أجدى عليها من الخدمة فى الوظائف العامة. وكان يسخر من دعوة النساء لنيل الحقوق السياسية. لأن هذه الحقوق فى نظره وهم باطل. وحجته فى موقفه هذا أن المرأة إذا وثبت إلى مقاعد النيابة قد تتأثر فى الحكم على الأشياء بغرائزها الخاصة وقد تدفعها غريزة الإيثار إلى تقوية الضعيف الذى يجب أن يترك للطبيعة وفقاً لمبادئ «الانتخاب الطبيعى والبقاء للأصلح وتنازع البقاء» هذا وقد أثبتت التجارب فساد هذا الرأى، فقد حصلت النساء على كافة الحقوق السياسية فى معظم بلدان العالم المتمدين، ومارسن هذه الحقوق.

لويس هنرى مورجان وانجلز

حاول كل من مورجان وانجلز أن يدللا على وجود أمثلة من الزواج المختلط والشيوعية الجنسية، والزواج الجماعى فى المجتمعات البدائية. أما وستر مارك فقد حاول أن يقدم الأدلة التى تثبت أن الأسر البدائية كانت أسراً وحدانية، ومخلصة فى نفس الوقت.

وجمع هنرى مين عددا من الأدلة تثبت أن النظام الأبوى كان موجوداً فى الصورة الأولية للأسرة، ولكن باخوفين قدم أدلة أخرى تثبت أن الأمومة كانت سابقة فى وجودها فى المجتمع الإنسانى على الأبوية.

نزعة الحب والمشاعر والأحاسيس

لستر وارد Lester Ward (١٨٤١ - ١٩١٣)

اهتم العالم الأمريكى «وارد» بدراسة المشاعر والأحاسيس الإنسانية واعتبرها قوى اجتماعى. ورتب على ذلك نظريته فى «الحب» . فقد رأى أن هناك استعداداً طبيعياً أساسياً مزوداً به الجنس الإنسانى وهو سر بقائه ودوامه. وهذا المبدأ الأساسى هو «الحب الطبيعى».

وقد تطور هذا الحب منذ فجر الإنسانية وتشعب إلى فروع كثيرة أهمها : الحب العاطفى بين الرجل والمرأة؛ والحب الزواجى بين الزوج والزوجة، والحب الأبوى بين الأب والأولاد، والحب الأمى بين الأم ورضيعها، والحب القائم على الصلات الانثولوجية والاجتماعية بين الأجناس.

وتناول وارد الحب العاطفى «الرومانتيك» باعتباره أول خطوة فى ظهور نظام الزواج. وقد نشأ هذا الحب فى نظره تحت تأثير عاملين:

١- عدم مساواة المرأة بالرجل ، واعتمادها عليه – وهذه أول خطوة تخطوها المرأة نحو الحصول على مركزها الأول الذى كانت تشغله قبل أن تخضع لقوة الرجل، وهذا الحب ضرورى قبل الزواج بالمعنى المعروف.

٢- يدل على مركب النقص فى المرأة أو الرجل على السواء بمعنى أنه عندما تقع امرأة فى حب رجل أو العكس فإن هذا يدل على أن كلا منهما تنقصه صفات يريد أن يكملها من الآخر. بيد أنهما لايحسان هذه الرغبة بل ينقادان إليها بصفة غير شعورية. ولذلك يجب أن تتاح الفرص لنمو هذا المظهر من الحب بالدرجة التى يسمح بها المجتمع، لأنه مفتاح الحياة الزوجية السعيدة. وعندما ينتهى هذا الحب بالزواج، فإنه ينتقل إلى عاطفة زواجية. وهذه تختلف كل الاختلاف عن عاطفة الحب لأنها أكثر استقراراً وبعيدة عن ثورة الانفعالات التى يبعثها الحب العاطفى.

ويرى «وارد» أن هناك فترة من الشيوعية الجنسية مرت بها الإنسانية قبل أن ينتشر بين الجنسين «الحب العاطفى» وقد ظهرت رواسب هذه الاباحية الجنسية فى العلاقات الزواجية وفى أفكار الرجال عن الزواج.

ولعل الصعوبات والإضطرابات التى يعانيها الزواج الثنائى أو نظام وحدانية الزوج والزوجة Monogamy ترجع فى معظمها إلى بقايا نظام الشيوعية الجنسية لأنها من الصعب حقاً أن ينتقل الأفراد من إباحية مطلقة إلى الاقتصار على زوجة واحدة. فإن ذلك ينطوى على تقييد حرية الرجل وعلى رغبته الأكيدة فى التغيير والتبديل. ولذلك فإن نظام وحدانية الزوجة ينطوى على قوة أخلاقية كبيرة ويحتاج إلى مران طويل وتهذيب لعواطف الإنسان.

ومتى تم الزواج وانتقل الحب العاطفى إلى حب زواجى تظهر فى جو العائلة مظاهر أخرى من الحب وهى الحب الأبوى والأمى وحب ذوى القربى. ويرى «وارد» أن الحب الأمى يرجع إلى أصول بيولوجية. وهو ثمرة اللذة الجنسية التى تمارسها الأم عن طريق الرضاعة. ولذلك يعتبره «تجربة الثدييات» وهو أهم مظاهر الحب لأنه يؤدى بيولوجيا إلى حفظ النوع. أما المظاهر الأخرى فتركز على عنصر الدم وترمى إلى تأكيد الشعور بالقرابة الدموية ولذلك يعتبرها «تجربة إنسانية».

ويرى «وارد» أن أقدم مظهر للحصول على زوجات هو الاستيلاء على المرأة بالقوة. وكان هذا النظام قائماً على أساس احتكار الأقوى للنساء. أما الرجل الضعيف فقد كتبت عليه العزوبة؛ لأنه لا يقوى على منازلة الأقوياء فى سبيل الحصول على امرأة. ويرى أن الزواج فى فجر الإنسانية كان مرتبطاً بالضرورة الاقتصادية، ولكن أشكاله تطورت فأصبحت «المرأة سكناً للرجل». ومهما كان من تطور طرق الزواج وأشكاله وانتقاله عبر التطور من شيوعية جنسية إلى تعدد الأزواج والزوجات ثم إلى الوحدانية؛ فإنها كلها تشترك فى مبدأ عام وهو ملكية الزوج للزوجة.

وعرض للكلام عن حقوق المرأة وقرر أن أنانية الفرد حالت وقتاً طويلاً دون تحقيقها. ووقفت العادات والتقاليد والقوانين والآداب العامة والرأى العام حجر عثرة فى الاعتراف بها. بيد أنها استطاعت أن تشق طريقها فى الحياة الاجتماعية وأصبحت الآن فى مركز متعال مع الرجل وتقاسمه مختلف مظاهر النشاط الاجتماعى.

جراهام سمنر W.G.Sumner

(١٨٤٠-١٩١٠)

يرى «سمنر» أن الطبيعة زودت الرجال والنساء بجاذبية كانت سبباً فى بقاء ودوام الجنس البشرى. وقد أدت هذه الجاذبية الطبيعية إلى الزواج. غير أن الزواج لم يكن نتيجة طبيعية لهذه العاطفة الجنسية فحسب، ولكنه كان زيادة على ذلك مظهر للتعاون والإبقاء على وجود الذات وحفظ الكيان الاجتماعى.

وفرق «سمنر» بين الأسرة وبين الزواج. فالأسرة فى نظره صورة مصغرة للمجتمع؛ إنها هيئة ترتبط أعضاؤها معاً فى العمل والمسكن والمأكل والخضوع لنظام ما. وتمتاز هذه الهيئة بالتنسيق بين أفراد يختلفون كفاءة وقدرة. أما الزواج فيفهم منه عادة ارتباط بين رجل وامرأة للتعاون على تحقيق الضرورات المعيشية ولغرض إنجاب الأطفال فى نطاق الإطار الاجتماعى طالما كان ارتباطهما قائماً ومستمراً. وقد رسمت له المجتمعات قيوداً قد تكون في بعضها شديدة ، وقد تكون فى البعض الأخر أقل شدة، وذلك وفقا للظروف الاجتماعية واستجابة لمصالح المشتركين.

ويذهب «سمنر» إلى أن النظام الأمى كان أسبق ظهوراً وهو النظام الذى بمقتضاه يلحق الولد بنسب أمه أى أن محور القرابة فى فجر الإنسانية كان يدور حول «الأم وعصبيتها» لأن علاقة الأم بولدها واضحة ومحددة؛ ولأن الرجال كانوا يعيشون فى معظم الأوقات بعيدين عن نسائهم فى رحلات الصيد ، وجرياً وراء تحصيل الأقوات. ولما استقرت الحياة الاجتماعية إلى حد ما؛ استطاع الرجل أن يصل إلى قمة العائلة بفضل ما حبته به الطبيعة من القوة. ومن ثم ظهر النظام الأبوى الذى بمقتضاه أصبح الأب محور القرابة وعصب الأسرة. فالأسرة الأبوية قائمة فى واقع الأمر على مقدرة الرجل فى الحكم والسيطرة أكثر من قيامها على رابطة الدم.

وعرض سمنر لمظاهر الانحلال فى الأسرة الحديثة. وناقش فكرة الطلاق ونعى علي التربية الاجتماعية التى يتلقنها مواطنوه لأنها لاتعدهم للزواج ولا ترغبهم فى الحياة الزوجية السعيدة. ونادى بأن سياسة الباب المفتوح فى الطلاق ستؤدى إلى إنحلال الروابط الاجتماعية وفساد الحياة الاجتماعية بالإجمال. وهذه السياسة أسوأ حالاً من سياسة الإباحية فى العلاقات الزواجية. ولذلك يشدد النكير على دعاة التحرر فى شئون الأسرة (سواء فى الزواج والطلاق) وينادى بتدعيم الزواج الثنائى (وحدانية الزوج والزوجة) ويصفه بأنه أشرف تجربة لإنكار الذات[١].

١- د. مصطفى الخشاب . علم الاجتماع العائلى، ص ص ٤١-٤٢.

الاتجاه البنائى الوظيفى

ينظر أصحاب الإتجاه البنائى الوظيفى إلى الأسرة باعتبارها جزء من كيان المجتمع. وهى نسق مكون من أجزاء يرتبط بعضها ببعض؛ مما ينجم عنه التفاعل والعلاقات المتبادلة، ويؤدى كل جزء وظيفته فى النسق الأسرى. ويركز هذا الاتجاه على العلاقة بين الأسرة والأنساق الاجتماعية الأخرى.

ومن أنصار هذا الإتجاه «جورج ميردوك» ففى رأيه أن الأسرة تقوم بأربعة وظائف أساسية وهى الإشباع الجنسى، والانجاب، والتنشئة الاجتماعية، والوظيفة الاقتصادية.

ويرى كل من بارسونز وبيلز ، إن وظائف الأسرة التقليدية تقلصت إلى اثنين:

١- التنشئة الاجتماعية فى المجتمع الذى ولدوا فيه.

٢- الاستقرار للاشخاص البالغين.

ويؤكد كثير من علماء الاجتماع وعلى رأسهم أو جبرن أن الأسرة أصابها التفكك نتيجة فقدها لكثير من وظائفها التقليدية التى انتقلت إلى أنساق أخرى فى المجتمع مثل المدرسة والمصنع ودور الترفيه إلخ.. إلا أن رأيه هذا تعرض لكثير من النقد حيث أنه لايقوم على دليل مادى. فمن الخطأ التأكيد على المحتوى التقليدى والشكل المعين للوظائف بدلاً من النظر إليها بإعتبارها وظائف نقص أداؤها بالنسبة للأسرة، وليس هناك شك فى أن الأسرة فقدت كثيراً من وظائفها، إلا أن هذا الفقدان فى واقع الأمر ينطوى على تغير فى الشكل وليس فى المضمون. ومثال ذلك أن الأسرة فى المجتمعات الصناعية المتقدمة لم تعد وحدة اقتصادية منتجة بالدرجة التى كانت عليها الأسرة الريفية فى الماضى ولكنها أصبحت وحدة اقتصادية مستهلكة. ووظيفة الاستهلاك لاتقل بأية صورة عن وظيفة الانتاج، من حيث حاجة المجتمع الملحة إلى من يستهلك البضائع التى ينتجها[١].

١- د. سناء الخولى. الأسرة فى عالم متغير ص ٦٩.

الاتجاه التجريبى

أبدى كل من فليتشر وأرون اهتماماً خاصاً بالاتجاه التجريبى فى دراسة الأسرة. وذلك على عكس أوجبرن Oguburn، فالأسرة ليست فى حالة تدهور، ولكنها تتكيف فقط مع مطالب المجتمع الحديث. ويرى «فليتشر» أن الأسرة الحديثة تتكيف بطريقة أفضل لمطالب الأفراد والمجتمع عما كانت عليه فى الماضى. ويؤكد أن الأسرة الحديثة هى واحدة من أعظم قصص النجاح فى القرن العشرين.

ولذلك يوجه «فليتشر» هجوماً عنيفاً من وجهة نظر إنسانية ضد القسيسين والهربيين الذى يرون أن الأسرة فى حالة تدهور، وأن هذا التدهور هو سبب للعديد من مشاكلنا.

يقول «فليتشر»: « أننى أؤمن بأن الأسرة لم تتدهور ، وأنها ليست أقل ثباتاً مما كانت عليه، وأن معايير الأبوة ومسئولياتها لم تتدهور أيضاً». وللبرهنة على ذلك لابد أن ندرس الأسرة فى الماضى الحديث كما كانت فعلاً، وليس من خلال بعض المثاليات أو الأساطير. ويوضح فليتشر أنه لم توجد أسرة واحدة فى عهد الملكة فيكتوريا، ولكن وجدت أنواع متعددة. وأنه باستخدام أى مقياس للأسرة سواء القيمة أو القوة أو الوظائف سنجد أن الأسرة الحديثة لا تقل عن سابقاتها. ويلفت انتباهنا للأحوال السيئة لحياة الأسرة فى الطبقة العاملة من الازدحام وعمل الأطفال والأوضاع غير الصحية إلى غير ذلك.

ويختتم «فليتشر» نظريته عن الأسرة بقوله: ليس هناك من شك فى أن الوظائف الأساسية التى كانت تقوم بها الأسرة، العلاقات الجنسية، الأبوة، إقامة لبيت لا تزال تؤدى بطريقة أفضل عما كانت عليه الحال فى الماضى القريب أو البعيد. بل والأكثر من ذلك أن الأسرة تؤدى بعض الوظائف غير الضرورية أيضاً فهى تقوم بوظائف اقتصادية عن طريق استهلاك السلع،وظائف تعليمية ووظائف صحية، وظائف دينية، ووظائف تجديدية، علاوة على الوظائف السياسية أو وظائف الحكومة. فلأعضاء الأسرة الحديثة الآن دورٌ فى أعمال لحكومة أكبر من أى وقت مضى. فهم يتمتعون بدرجات أعلى من المسئولية نحو الحكومة. وقد ازدادت هذه الوظيفة فعالية وأهمية فى الأسرة

الحديثة. وأخيراً يستنتج «فليتشر» أن المجتمع الحديث يضع مسئوليات أكثر على الأسرة وأنها قادرة على القيام بها. وبوجه عام فإن هذه الإتجاهات سوف تستمر.

وهذا قد تعرضت آراؤه لمجموعة من الانتقادات أهمها أنه كان مشحوناً عاطفياً، ومن ثم جاءت آراؤه أكثر تفاؤلاً فى دراسة الأسرة الحديثة مبالغاً فيها. فإذا كان فليتشر قد حارب الأساطير القديمة من الأسرة حيث هاجم الأخلاقيين الذين توقعوا الخراب والكآبة، فقد وقع فى نفس الخطأ حيث أدى إلى خلق بعض الأساطير الجديدة عن الأسرة.

الإتجاه التفاعلى

يعتبر هذا الإتجاه الأسرة وحده من الشخصيات المتفاعلة. ويسعى هذا الاتجاه إلى تفسير ظواهر الأسرة فى ضوء العمليات الداخلية وأداء الدور، وعلاقات المركز، ومشكلات الاتصال، واتخاذ القرارات ، والضغوط... الخ.

اتجاه دراسة الموقف

نظر أصحاب هذا الإتجاه إلى الأسرة كموقف اجتماعى يؤثر فى السلوك، بمعنى وجود مجموعة موحدة من المثيرات الخارجية بالنسبة لأفراد الأسرة، والتي تؤثر عليهم. وقد كان بوسارد Bossard، وبول Boll من أبرز من استخدم هذا الاتجاه فى الولايات المتحدة. ودرساهما وغيرهما ظواهر مثل : أحاديث الأسرة حول المائدة، والشعائر الأسرية، وأساليب استخدام المكان وما إلى ذلك.

الباب الثالث

الأسرة والمجتمع

الفصل الثامن

الأسرة والعمليات الاجتماعية

العمليات الاجتماعية Social Processes

ينشأ عن التفاعل الاجتماعي ما نطلق عليه العمليات الاجتماعية. وهى أنماط التفاعل المتكرر للسلوك، وأساليب معينة للتفاعل الاجتماعي توجد فى الحياة الاجتماعية – أنها سلسلة من الحوادث المترابطة التى تؤدى إلى نتائج محددة يمكن التنبؤ بها.

وهناك تصنيفات متعددة للعمليات الاجتماعية. وهى فى عمومها تنقسم إلى التعاون والتنافس والصراع والتوافق والتكيف والتنشئة الاجتماعية.

التعاون :

التعاون هو اشتراك فردين أو أكثر أو جماعتين أو أكثر لإنجاز عمل معين أو تحقيق غاية أو هدف مشترك أو السعى وراء المصالح المشتركة.

ولاشك أن الأسرة هى الملاذ الآمن للأفراد حيث توفر الأمن والحب وإن كان هناك العديد من الأسر لا تكون كذلك فى بعض الأحوال. فالأسرة لن تبقى وتستمر فى الوجوه دون وجود الحب، والطفل يتعلم من عائلته بذور الحب والكره والغيرة والتعاون والتنافس. وفى الأسرة تنمو غرائز حب الاجتماع والألفة والمشاركات الوجدانية والتسلط والخنوع. والحب ، وحب الاجتماع، والألفة هى التى تعمل على تعاون أعضاء بالأسرة فى كثير من الأعمال.

ففيما مضى – مثلاً – كان أعضاء الأسرة يعملون ويتعاونون ويشاركون فى عملية الإنتاج. وفى وقتنا الحالى يتعاون الزوج والزوجة ويتفقان على أن تقوم هى بإعداد الطعام، ويقوم هو مثلاً – بغسيل الأطباق، بل اقتضى الحال ضرورة تعاون الزوج والأبناء فى أداء بعض مهام المنزل. ويقسم العمل داخل الأسرة بين الرجل والمرأة فيما يتعلق براحة الطفل، وطمائنينة النفس، وتربيته، وتوجيهه . وتختلف المجتمعات فى

مدى مشاركة الرجل والمرأة فى النهوض بهذه المستويات. ويلاحظ أن الإشراف على المنزل ورعايته من الأعمال الهامة التى تتحمل المرأة مسئوليتها.

التنافس Competition

التنافس عملية اجتماعية تعبر عن التنازع والتعارض الاجتماعى. ويحدث التنافس بين شخصين أو أكثر، أو جماعتين أو أكثر تحاول كل منها تحقيق نفس الغرض ونفس الهدف، وذلك فى جميع مجالات النشاط والحياة الاجتماعية، بحيث تصل إليها قبلها أو تحصل على أكبر نصيب من هذا الهدف أو تلك الأهداف. وحيث أن المرأة التحقت بأعمال كانت حكراً على الرجل، وأصبح من الصعب الآن أن تجد مهنة تخص الرجال وحدهم. هذه المشاركة بين النساء والرجال فى نفس المهن أدى إلى زيادة حدة التنافس بينهما.

الصراع الاجتماعى Social Conflict:

إذا اشتدت وطأة التنافس، واتخذت موقفاً عدائيا سميت صراعاً. الصراع إذن هو أقوى درجات التنافس، وأشدها عنفاً. وهو رفض لعملية التعاون.. والصراع عملية اجتماعية تحدث عن قصد وتعمد بين فردين أو أكثر أو بين الجماعات، أو بين الطبقات فى المجتمع الواحد متمثلاً فى الصراع بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال، أو بين الفلاحين والاقطاعيين، أو بين الأحزاب السياسية، أو بين المجتمعات بعضها وبعض.

ويعود الصراع إلى الكراهية والعداء، وتعارض المصالح والأهداف، فحين تتجانس المصالح تقل حدة الصراع، وحين تتعارض المصالح تزداد حدة الصراع. ويسعى كل من هذه الجماعات، لتحقيق مصالحها وأهدافها، مع إبادة وتدمير الجماعات الأخرى، مستخدمة فى ذلك كافة الأساليب سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة، وباستخدام العنف فى القضاء على الطرف الآخر وإخراجه من الميدان، أو بدونه.

وحيث أن المرأة التحقت بأعمال كانت فيما مضى حكراً على الرجال، وأصبح من الأصعب الآن أن نجد مهنة تخص الرجال وحدهم. هذه المشاركة بين النساء والرجال فى نفس المهن أدى إلى زيادة حدة الصراع بينهما.

ومن أشكال الصراع المعروفة ذلك الذى يحدث بين دور الزوجة كأم ودورها المهنى كعاملة. فقد تعجز المرأة فى ظروف معينة عن التوفيق بين الدورين وتواجه بضرورة الاختيار بين عملها أو بيتها. والشئ ذاته قد يحدث بالنسبة للرجل عندما يواجه الصراع بين دوره كأب ودوره كأحد أفراد زمرة صداقة قديمة اعتادت السهر والانفاق ببذخ. ويكون عليه إما الإنقطاع عن هذه الزمرة والالتزام بواجبات الزوجية أو إهمال أسرته والانخراط مع أصدقائه.

ويذهب «كنجزلى ديفيز» K.Davis , 1964: 426 إلى أن الزواج «وسيلة لإشباع الرغبات الجنسية والحاجة للرفقة، وخارج هذا الإطار ليس له أهمية تضفى عليه صفة الاستقرار». ويمكن تفسير هذا الرأى المتشائم الذى طرحه «ديفيز» والذى يجرد الزواج من معانٍ كثيرة، بذلك الانحسار المتزايد للوظائف النظامية التى تقوم بها الأسرة فيما عدا وظيفتى الإنجاب والتنشئة الاجتماعية اللتين كانتا وستظلان محورين كبيرين للحياة الأسرية. وهذا التقلص المتزايد فى وظائف الأسرة يفقدها قدرتها على مقاومة تيارات الصراع التى تهدد استقرارها.

ومن الملاحظ أن معظم الأزواج والزوجات ليس من اليسير عليهم الاعتراف بوجود صراع داخل أسرهم، والإقرار بأن تلك الأسر مهددة بالانهيار. وقد يصف أحدهم حياته بأنها مستقرة ولكن مع ذلك يكون الصراع كامناً وتحت السيطرة وذلك لوجود أطفال يخشى الزوجان تشريدهم أو لتعلق زواجهما بمصالح مالية وتجارية يحرصان على عدم كسادها وبوارها. فالحياة الزوجية فى هذه الحالة وإن خلت من الدفء العاطفى إلا أنها تقوم على المصلحة وتستمر بحكم العادة وليس بالحماس والتعاون المشترك فى سبيل الأسرة.

وعندما يبلغ الصراع بين الزوجين ذروته ويصل الأمر إلى حد تعذر الحياة المشتركة بينهما يبرز الطلاق كحل لهذه الأزمة المتفاقمة وبه تنهار الحياة الزوجية تماماً.

وهناك العديد من الأسر تحولت فيها الحياة إلى ساحة من العنف الشديد الذى مارسه أعضاؤها تجاه بعضهم البعض وكان من المتصور حتى وقت قريب أن الأزواج المختلين عقلياً هم وحدهم الذين يسيئون معاملة زوجاتهم وأطفالهم، وأن هذه المعاملة السيئة بين أفراد الأسرة الواحدة تنتشر بين الأسر الفقيرة دون سواها . ولكن البحوث التى أجراها جيلز Gells وشتراوس Straus (1988) تبين زيف هذه التصورات حيث أكدت المقابلات التى أجريت مع ٦٠٠٢ أسرة أن العنف واسع الانتشار وهو متبادل بين أفراد الأسر ويأخذ أشكالاً مختلفة تتراوح بين السباب بالألفاظ البذيئة والقتل. فما هى صور العنف وما هى أسبابه وكيف نتعامل معه فى نطاق الأسرة والمجتمع؟.

مفهوم العنف الأسرى :

يقصد بالعنف الأسرى سوء معاملة شخص لشخص آخر تربطه به علاقة وثيقة مثل العلاقة بين الزوج والزوجة وبين الآباء والأبناء وبين الإخوة، وبين الفتاة وخطيبها أو صديقها فى مرحلة ما قبل الخطبة وبين الأقرباء بوجه عام. ويتداخل مفهوم العنف الأسرى مع مفاهيم كثيرة قريبة منه مثل العنف المنزلى Domestic Violence أو سوء معاملة أحد الزوجين للآخر Spouseabuse أو سوء معاملة الأطفال Child Abuse وغير ذلك من المفهومات تشترك فى المعنى الذى أشرنا إليه Gells & Straus, 1988.

وتقع أعمال العنف الأسرى غالباً من الأزواج ضد زوجاتهم وإن كان من غير المستبعد أن تمارس بعض الزوجات أعمال عنف ضد أزواجهن . أما الأطفال، فعادة ما تقع عليهم ممارسات العنف من الأب أو الأم أم ممن يقوم بدورهما فى حالة غيبة أحدهما أو كليهما.

ويمارس العنف داخل الأسرة أيضاً ضد كبار السن من الأجداد والجدات. وأخيراً فإن الأطفال قد يوجهون العنف إلى ذويهم فى شكل أعمال انتقامية ترمى إلى التخريب والإيذاء.

ويتخذ العنف الأسرى صوراً متعددة منها :.

١- الإيذاء البدنى :

وهو أكثر صور أعمال العنف خطورة وخاصة إذا صحبه جروح أو كسور تصيب المعتدى عليه. وقد يأخذ الأيذاء البدنى شكل الاعتداء بالضرب دون احداث اضرار جسيمة بجسم المعتدى عليه كالصفع على الوجه والركل بالقدم والحرمان من الطعام أو من الشراب لفترة قصيرة.

٢- الاعتداء الجنسى :

وهذه الصورة من أعمال العنف تتمثل فى إكراه المعتدى عليه سواء كان ذكراً أم أنثى على ممارسة الجنس أو القيام بأعمال جنسية فاضحة مع المعتدى. ويعد الاغتصاب أخطر صور الاعتداء الجنسى فى نطاق الأسرة وغالباً ما يمارس الاعتداء الجنسى تحت تهديد المعتدى عليه بإيذائه إذا لم يرضخ لرغبات المعتدى.

٣- الإيذاء المعنوى بالسب :

وفى هذه الحالة يوجه المعتدى إلى المعتدى عليه ألفاظاً بذيئة تحط من قدره أو تنال من شرفه أو شرف أهله كسب الزوج لزوجته وأهلها أو العكس. وقد يتخذ الإيذاء المعنوى صورة من صور الإكراه حيث يهدد الشخص شخصاً آخراً بكشف سره أو بإيذاء أحد يحبه أو بإتلاف ممتلكات يعتز بحيازتها.

٤- سوء المعاملة الاقتصادية :

وهنا يتخذ العنف الأسرى شكلاً مادياً فيحرم الزوج زوجته من مصروف المنزل. وقد يستولى على راتبها لينفقه على ملذاته أو يتحوذ على مدخراتها فيعطيها لأهله.

٥- سوء المعاملة الاجتماعية :

ويكون فى صورة فرض العزلة الاجتماعية على أحد أفراد الأسرة. ومن ذلك، على سبيل المثال، حظر خروج الزوجة من المنزل لزيارة أهلها أو صديقاتها أو تقييد حركة الأبناء فى حيز مكانى معين بمنعهم من الاختلاط بأبناء الجيران أو بأقرانهم من الأقارب.

ومن الطبيعى أن يلجأ أحد أطراف الأسرة، كالزوج أو الزوجة إلى استخدام القوة ووسائل الضغط ليحسم قضية ما من قضايا الأسرة لصالحه. وغالباً ما تميل كفة القوة لصالح الرجال، لأنهم أقوى بدنياً من النساء، كما أن المجتمع عبر تاريخه الطويل كان يشجع الرجال على المغامرة وممارسة القوة ويشجع النساء على أن يبدين نوعا من الخضوع والضعف.

وهناك فرق جوهرى بين العنف الأسرى كحادث عابر أو طارئ على الحياة الأسرية والعنف الأسرى كظاهرة جديرة بالدراسة والاهتمام حيث أنه فى الحالة الثانية يتحول إلى طريقة حياة وأداة من أدوات الضغط الاجتماعى التى يستعين بها أفراد الأسرة فى سلوكهم اليومى، وفى حياتهم الاجتماعية المشتركة[١].

التنشئة الاجتماعية:

التنشئة الاجتماعية هى العملية التى يتحول من خلالها وبواسطتها الفرد من كائن بيولوجى إلى فرد اجتماعى، فالفرد يولد غير قادر على ممارسة أى شئ ولا على معرفة أى شئ. فالرضيع مثلاً تحركه حاجة بيولوجية عضوية واحدة، وبعد عدد من السنين نجده لايتناول طعامه إلا وفق آداب وسلوك معين.

ويعرف سيد عثمان «١٩٧٠» التنشئة الاجتماعية، بأنها عملية تعلم قائم على تعديل أو تغيير فى السلوك نتيجة التعرض لخبرات وممارسات معينة خاصة ما يتعلق بالسلوك الاجتماعى لدى الإنسان، وبذلك تكون عملية تفاعل يتم عن طريقها تعديل سلوك الشخص بحيث يتطابق مع توقعات أعضاء الجماعة التى ينتمى إليها[٢].

وتختلف عملية التنشئة الاجتماعية من مجتمع لآخر، لكن هناك مبادئ عامة تنطبق على كل المجتمعات، فتبدأ عملية التنشئة الاجتماعية منذ الطفولة، وتستمر طوال حياة الإنسان، فيتعلم الطفل القدرة على تعديل التعبير عن الحاجات المرفوضة، والقدرة على نقل الارتباط الانفعالى من الهدف المرفوض إلى الهدف المقبول، إذ أن هناك

١- د. غريب سيد أحمد. علم اجتماع الأسرة ص ص ٣٥١-٣٥٣.

٢- د. محمود فتحى عكاشة، علم النفس الاجتماعى، ص ١٥١.

خصائص من النواحي البيولوجية لكل إنسان.كما أن لكل الناس نفس الحاجات الأساسية الواحدة، التي يحافظون بها على أنفسهم ككائنات إنسانية، كما أنهم يحمون أنفسهم من أخطار العدوان الخارجي، ويحيون ويقيمون علاقات اجتماعية مع الآخرين، لكن الطرق التى تشبع بها هذه الحاجات تكون محددة بالثقافة والطبقة والجماعة التى ينتمى إليها الفرد، وإشباع هذه الحاجات بالطرق المختلفة تجعلنا نشبه بعض الآخرين، كما أن لكل فرد منا خبراته الماضية الخاصة به، وله مشاعره، وحاجاته وتصرفاته الخاصة(١).

ويرى بول سبنسر Paul Spencer أن التنشئة الاجتماعية لها مفهومان هما:(٢)

أحدهما محدد يتصل بعملية التعلم الاجتماعى للأطفال، حيث تقوم بغرس قيم ومعايير الجماعة لدى الناشئين لدرجة تمثلهم لها ومشاركتهم فيها.

والثانى شامل حيث تمتد من محيط الأطفال ومجالهم إلى محيط الراشدين. حيث يتم غرسها للقيم والمهارات والمعايير من ناحية، وربطهم بالجماعة الاجتماعية الجديدة بالدرجة التى تمكنه من التوافق الاجتماعى من ناحية أخرى.

كما يمكن النظر إلى مصطلح التنشئة الاجتماعية باعتبارها العملية التى يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى آخر، والطريقة التى يتم بها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يمكنهم المعيشة فى مجتمع ذى ثقافة معينة، ويدخل فى ذلك ما يلقنه الآباء والمدرسة والمجتمع للأفراد من لغة ودين وتقاليد وقيم ومعلومات ومهارات وغير ذلك.

وتلعب الأسرة دوراً هاماً فى عملية التنشئة الاجتماعية وذلك بالإضافة إلى مؤسسات أخرى كالمدرسة والمؤسسات التعليمية فضلاً عن موقع الفرد فى الجماعة.

ومن خلال هذه العملية يضطلع الآباء بمهام تعليم اللغة للطفل وغرس عادات سلوكية فيتحول سلوك الطفل إلى سلوك اجتماعى، مما يعمل على المحافظة على بقاء المجتمع واستمراره وتماسكه.

١- د. محمود فتحى عكاشة . دراسات فى الأسرة والمجتمع والبيئة ص ٢٣.

٢- نفس المرجع. ص ص ٢٣-٢٤.

وتبدأ الذات الاجتماعية خلال هذه الفترة فى التشكل والتكوين إذ يبدأ الطفل فى التطلع إلى والديه محاولاً معرفة إتجاهاتهم نحوه على الأقل خلال غضبهم أو سرورهم. ثم يبدأ الفرد فى الإنضمام إلى جماعات اجتماعية معينة فى سن مبكرة كالطبقة الاجتماعية أو الجماعات الدينية والثقافية أو ما إلى ذلك من جماعات يكون لها فى العادة نشاط عام.

وعندما يذهب الطفل إلى المدرسة يبدأ فى الاهتمام بالنظم الرسمية للتنشئة فى المدرسة وقد يصبح اهتمام الطفل بالأنشطة الرسمية أكثر اتصالاً وتفاعلاً مع النظم الاجتماعية التى تتباين وتتمايز فيها الأدوار أكثر منها فى الأسرة. ويتعلم الطفل التعود على طاعة المدرس، فضلاً عن أن الموضوعات التى يتلقاها الطفل فى المدرسة يكون لها أثر هام فى تعديل سلوك الطفل رغبة فى أن يكون مواطناً له موقعاً متميزاً فى مجتمعه.

وعلى هذا تكون المدرسة على درجة كبيرة من الأهمية كمؤسسة من المؤسسات التى تشارك مشاركة فعالة فى عملية التنشئة الاجتماعية حيث ينمو ويتزايد الاهتمام بالعمل الجماعى والنشاط الجمعى فى هذه المرحلة من واقع تجربة الطفل وتفاعله مع النظم القائمة فى المجتمع والمدرسة. وبالرغم من ذلك تظل الأسرة هى المؤسسة الهامة فى مؤسسات التنشئة الاجتماعية نظراً لأنها تنهض بالعديد من الوظائف التربوية والبيولوجية والاجتماعية وكل هذه الوظائف تؤثر تأثيراً مباشراً فى بلورة شخصية الطفل(١).

١- د. اسماعيل سعد. الاتجاهات الحديثة فى علم الاجتماع . ص ص ٢١٧-٢١٨.

الفصل التاسع

الأسرة والمعايير الاجتماعية

المعايير الاجتماعية هى القواعد الاجتماعية والمقاييس التى يسير الفرد بمقتضاها فى حياته، ويقاس على أساسها سلوكه، وتحدد السلوك المقبول والسلوك غير المقبول فى الجماعة، وأسباب القبول أو الرفض وتتمثل فى العادات والعرف والقيم والتقاليد والقانون والرأى العام والرقابة الاجتماعية.

العادات Habits :

العادات هى قاعدة أو معيار للسلوك الجمعى، تشير إلى أفعال الناس التى تعودوا عليها، وسلوكهم على نحو شبه آلى بفضل التكرار المستمر، والتعلم والتدريب. وإلى هذا الطابع الشبه آلى يعزى الشعور بعدم الإرتياح الذى نحس به عندما نسلك سلوكاً خارج عن تلك العادات. والعادات جزء هام أو فعل هام من دستور الأمة غير المكتوب بيد أنها مدونة فى صدور الأفراد، وراسبة فى تكوينهم .

وتتمثل العادات فى اللغة، والأنماط الرمزية الأخرى التى تعبر عن أفكار الفرد ومعتقداته وأنواع السلوك كآداب المائدة، والأزياء، وأسلوب الحديث، وطرق التحية، والاستقبال، والتوديع، والتهنئة، ومثل هذا التدخين، وتناول القهوة والشاى، والتوسعة على الأطفال فى أيام الأعياد (العدية).

وبعض العادات شاذ وضار، ويمثل حالة مرضية تنتاب الجماعة. وهى عادات يأخذ بها بعض الأفراد أو الطبقات وتتمثل فى زيارة الأضرحة والمقابر، وأكل الفسيخ فى الحدائق العامة أيام شم النسيم، وتهريج العوام فى مناسبات الأعياد، وتعاطى المخدرات والخمور.

العرف Usage:

العرف عبارة عن طائفة من الأفكار والآراء والمعتقدات التى تنشأ فى جو الجماعة. وتمثل مقدسات الجماعة ومحرماتها وتنعكس فيما يقوم به الأفراد من أعمال، وما يلجأون إليه من مظاهر السلوك الجمعى. ويحدث ذلك داخل طبقات أو مجموعات معينة فى المجتمع وينحصر العرف فى الجانب السلبى لمحرمات ومقدسات الجماعة. وتحريم بعض الأعمال لارتباطها بقوة مؤثرة فى الحوادث مثل : لا تسرق أو تضرب امرأة و«لا تسر فى الطريق عرياناً» و«عدم كنس الشوارع ليلاً» و«عدم كنسها يوم سفر صاحبها» ومثل التشاؤم من سماع نقيق البوم، وتحريم ذبح بعض الحيوانات، وعدم أكل لحوم بعض الطيور لارتباطها بأصول قدسية. ويختلف العرف عن العادات فى إرتباطه بالناحية العقائدية والعقلية، أما العادات فهى فى معظمها أفعال وأعمال.

التقاليد :

التقاليد هى قواعد السلوك التى تنشأ عن الرضا والاتفاق الجمعى وهى تستمد قوتها من المجتمع، وتحتفظ بالحكم المتراكمة وذكريات الماضى التى مر بها المجتمع، ويتناقلها الخلف عن السلف جيل بعد جيل.

وتختلف العادات عن التقاليد فى أن الأخيرة تعنى انتقال العادات من جيل إلى جيل من خلال التيارات الاجتماعية. كما أن العادات تتعلق بالسلوك الخاص، أما التقاليد فتتعلق بسلوك المجتمع بكليته. فالاحتفال بأعياد الميلاد والزواج تعتبر عادة، أما الاحتفال بميلاد نبى أو زعيم فيعتبر تقليداً.

القيم :

وتشمل القيم كل الموضوعات والظروف والمبادئ والأفكار التى أصبحت ذات معنى خلال تجربة الإنسان الطويلة، وتحدد ما هو حسن مقبول، وما هو سئ مرفوض ، وذلك كالشجاعة، والقوة، والاحتمال والإيثار، والمهارة الفنية، وضبط النفس، والاناقة، والصمت أو الثرثرة، والاتزان، والانفعال، والحب، والحرية والعدالة.

ويتفق على القيم غالبية أفراد المجتمع، وتلقى قبولاً واحتراماً لديهم. وهم يحرصون على استمرارها وتوارثها، وإن كانت درجة تقبلهم لها متفاوته.

والقيم ليست هذه الصفات المجردة فحسب، وإنما هى أنماط السلوك التى تعبر عن هذه القيم. أو هى موجهات السلوك فى النسق الاجتماعى.

المركز والدور :

تخضع العلاقات التى تقوم بين الأشخاص لتنظيم معين، ومعنى هذا أن كل شخص يرتبط بالآخر بطرق لها مستويات محددة تعتمد فى تحديدها على أوضاعهم أو مراتبهم النسبية.

ويعرف المركز بأنه الأوضاع أو المراتب التى يتخذها الأشخاص فى المجتمع كل إزاء الآخر مثل مرتبة الرئيس أمام مرؤسيه، ومركز العمال إزاء الموظفين، وعلاقة الطبيب بالمريض، ووضع المدرس بالنسبة لتلميذه، ووضع الإبن إزاء الأب.

ويرتبط بالمركز ما نسميه بالدور - أى الحقوق والواجبات والالتزامات، والتى تعتبر فى نفس الوقت المكونات الأساسية لهذه المراكز التى تطبع الأشخاص الحاصلين عليها بطابع خاص. هذه الحقوق والواجبات تسمى أدوارا وذلك كأن نقول : الدور الذى يقوم به الطبيب ، والذى يختلف عن دور الساحر أو الدجال. والدور هنا ليس مجرد فعل، وإنما هو فى واقع الأمر توقعات الفعل والسلوك الذى يصدر عن الآخرين.

وينطبق نفس الحال حينما نقول دور الأب، حيث ينتظر منه أن ينصح إبنه ويعنفه، ويعطيه الحماية، ويهيئ له الراحة، وأن يرتب له مستقبلاً معيناً، كما أن هناك دور تقوم به الأم، ودور يقوم به الإبن، ويتوقع من الكبار أن يسلكوا سلوكاً يختلف عن سلوك الصغار، ومن الرجال أن يسلكوا سلوكاً يختلف عن سلوك النساء، ومن الشباب أن يأتوا أفعالاً تختلف عن أفعال كبار السن.

هذا ومظاهر الحياة الحضرية تزيد من تعدد الأدوار، وتخصصها والتكوين المستمر لأدوار عديدة، فالمرأة يمكن أن تلعب دور الأم، والخالة، والعمة، والمدرسة، وعضواً فى حزب من الأحزاب، أو فى هيئة من الهيئات التطوعية[١].

دور الأسرة :

تنتقل مكانة الأسرة إلى أعضائها، إذ يستمد هؤلاء الأعضاء مكانتهم الاجتماعية من مكانة أسرهم، فالطفل منذ لحظة ميلاده يكتسب مكانته الاجتماعية التى تتمتع بها أسرته فى المجتمع، وكذلك بشبكة القرابة للأسرة التى يولد فيها . وتحدد المكانة كذلك الطريقة التى يسلكها الفرد مع الآخرين حتى يغير أو يدعم مكانته الذاتية. والأسرة تساعد أفرادها على النجاح فى مراكزهم المختلفة.

وخلال مراحل نمو الطفل المختلفة داخل الأسرة يحصل على العديد من المكانات. فهو تارة ابن، ثم أب، وأخ وزوج. ولكل مكانة من هذه المكانات مجموعة من الأدوار المتوقع أن يقوم بها من وجهة نظر المجتمع، وتوجه هذه المكانة كذلك علاقته بالأعضاء الآخرين خارج نطاق الأسرة.

إن الأطفال الذين يولدون عن آباء فقراء يميلون إلى تكرار نموذج الفقر نظراً للفرص المحددة التى يمكن أن يمنحها الآباء ذوو المكانة المنخفضة لهم. ونظراً للتوقعات المحدودة التى يتوقعها الآخرون من أبناء الفقراء.

وتحدد الأسرة أدوار أعضائها، كدور الزوج، ودور الزوجة، ودور الجد والجدة، ودور الأبناء، والتى عن طريقها يهيأون للإنخراط فى سلك المجتمع والمساهمة فى نشاطاته.

دور الزوج :

من الالتزامات التى ينبغى على المتقدم للزواج أن يقدمها دفع مقابل للزوجة أو أسرتها، وهى ما تسمى عادة «بالمهر».

١- انظر د. محمد سعيد فرح، البناء الاجتماعى والشخصية . ص ٣٥٨.

ويشكل هذا المهر فى صور كثيرة واختلف باختلاف المجتمعات. فأحياناً يتمثل فى مال يدفعه الزوج أو هدايا يقدمها لزوجته وأهلها. وكان السائد فى بعض المجتمعات القديمة أن يؤدى خدمات عينية تمهيداً لقبوله كزوج. ومعظم الأمم التى تسير على نظام المهور لاتقيد المهر بحد أدنى ولا بحد أعلى، بل تترك تعيين قيمته لاتفاق الطرفين ومكانتهما. ويؤثر فى الحديث النبوى الشريف «تزوج ولو بخاتم من حديد».

هذا، وتأخذ مجتمعات كثيرة بوجوب المهر على الزوجة وليس على الزوج. فوالد الزوجة هو الذى يدفع لإبنته العروس مبلغاً يتناسب مع مركزه الاجتماعى ومركز الزوج ومبلغ ثراء كل منهما. ويطلق على هذا النظام اسم «الدوته Dote». والزوج هو العائل الأول لأسرته. غير أن خروج المرأة إلى الحياة العامة ونزولها إلى ميدان العمل قد خفف كثيراً من هذه الأعباء . غير أن القوانين المنظمة لشئون الأسرة لاتلزم المرأة بمشاركة الرجل فى هذا العبء. ولذلك نجد بعض الزوجات يطلبن الطلاق بإعتبار أن الأزواج عاجزون عن إعالتهن.

وعلى ذلك فإن الأب / الزوج يعتبر رئيس الأسرة، فهو الذى يشرف على شئونها، ويعتنى بأولادها، ويقوم من أمر عناصرها.

ولذلك أوجبت القوانين على أفراد الأسرة الطاعة والخضوع لرب الأسرة والاستماع إلى نصحه وهديه.

وتتطلب هذه القيادة أن يسعى الزوج إلى خير الأسرة، وإسعاد عناصرها وحمايتها من الإنزلاق إلى التفكك والإنهيار ، «فالرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته».

وعلى الزوج صيانة زوجته وحمايتها من الإغراء الخارجى . وهو ملزم بأن يعاشرها ويعمل على إسعادها وعليه أن يسوى بين زوجاته (إذا كان حائزاً لأكثر من واحدة) وأن يعدل بينهن فى المبيت. فلا يتخذ من الهجر وسيلة لإذلالهن والإيقاع بينهن. فواجب الزوج فى حالة تعدد الزوجات أن يكون حكما عدلاً فى المبيت والعطاء. قال

تعالى ﴿فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾. ونظراً لان الإنسان لايستطيع إلى العدل سبيلاً لاسيما فى مسائل الحب والعاطفة، فقد نصت الشريعة الإسلامية على وجوب الاقتصار على زوجة واحدة. قال تعالى : ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾. ويجب على الزوج أن يعلم زوجته آداب دينها ويطبعها على تعاليمه ووصاياه حتى يدربها على الطاعة والفضيلة لأنه مسئول عنها أمام الله. ويجب عليه فوق ما تقدم أن يحترم عقد الزوجية فلا يزنى ولا يرتكب الكبائر.. إنه كان ميثاقاً غليظاً..

تربية الأولاد : يجب على الأب أن يعنى بأمر أولاده. وليس هذا واجباً مقرراً على الأب وحده بل تشترك فيه الأم. فكلاهما مسئول عن هذه الودائع البريئة. فعليهما أمر العناية بهم ليس فقط منذ ولادتهم ولكن وهم أجنة فى الأرحام. وأوجبت النظم الاجتماعية على الوالدين أمر السهر على أولادهم منذ الولادة وفى أيام الطفولة والحضانة، ويجب على الوالدين العناية بهم من النواحى الجسمية والسيكولوجية والاجتماعية. والقيام على شئونهم العامة وتأديبهم وتعليمهم وتلقينهم اللغة والدين والآداب العامة والتراث الاجتماعي وترويضهم ليكونوا مواطنين أفاضل، وتقويم اتجاهاتهم، والحرص عليهم من مظاهر الشذوذ والانحراف.

ويترتب على الزواج قدراً من الحقوق يتعين على الزوجة الوفاء بها. فمن حق الزوج على زوجته الطاعة فهو قوام عليها، يدبر شئونها ويتصرف فى أمورها بأحكامه الصائبة وحسن التقدير والتدبير. ومن حقه عليها ألا تمنعه نفسها ولا تهجر فراشه، فهو الشخص الوحيد الذى يتمتع بها ويعاشرها فى الحدود المشروعة. ومن حقه عليها أن تكون أمينة على روحه وماله وولده وسره وبيته وحرمته، ومن حقه عليها الاحترام المتبادل، فطول العشرة وكثرة المخالطة ودوام التعامل والمد والجزر فى الحياة الأسرية هذه الأمور وما إليها لاتقلل من شأن الإحترام ولا تتيح الفرص للانزلاق إلى التبذل فى المعاملة وقذف كل منهما فى حق الآخر والتصغير أو التحقير من شأنه. ومن حقه عليها أن تحترم عقد الزوجية، فلا تتبذل ولا تمكن أحداً من فراش زوجها، ولا تأذن لأحد بدخول بيته إلا بإذنه، ولا ترتكب الفحشاء والخيانة، ويجب عليها الإخلاص والمحبة والحرص على شرف زوجها وكرامته. ومن حقه عليها التدبير وعدم الإسراف.

هذا وتختلف رئاسة الأسرة باختلاف الطبقة التى تنتمى إليها الزوج والزوجة . فغالبية الأزواج فى الفئات الحضرية المثقفة يؤكدون مشاركة زوجاتهم لهم فى رئاسة الأسرة (حتى وإن كانت الزوجة غير عاملة) وهذا يرجع إلى ارتفاع مستواهم الثقافى وتغير نظرتهم إلى الحياة. وبالإضافة إلى أن نسبة عالية من الزوجات فى هذه الفئة يعملن ويشاركن مشاركة إيجابية فى نفقات المنزل ويتحملن مسئولية أسرهن إلى جانب أزواجهن.

وفى هذا الإطار، لاحظ «بلود وزميله وولف» (Blood and Wolf. 1960) أن الزوجين في شعر العسل يتقاسمان الأعباء المنزلية عن تراض وطيب خاطر، وخاصة إذا كانت الزوجة إمرأة عاملة، ويبدأ الزوج فى التخلى عن مساعدة زوجته فى القيام ببعض الأعمال المنزلية كلما مضت الحياة الزوجية، وما أن تقترب السنة الأولى من نهايتها حتى تتحول اهتمامات الزوج تماماً إلى الأعمال خارج المنزل. وقد يعاود الزوج مشاركته فى الأعمال المنزلية عندما يرزق بطفل ولكنه يتراجع عن هذه المشاركة بعد مرور الشهور الأولى من ميلاد الطفل، ويستمر الأمر على هذا المنوال حتى يقترب الزوج من مرحلة التقاعد فيعود إلى سابق عهده من حيث المشاركة.

وبوجه عام، يتأثر دور الزوج فى الأسرة إلى حد كبير، بالمتغيرات الخارجية مثل حياته العملية، وتعدد الأدوار التى يقوم بها خارج محيط الأسرة. وعندما تتقلص تلك الأدوار بإحالة الزوج إلى التقاعد يعاود القيام بدور نشط فى نطاق الأسرة، فيقوم بمساعدة الزوجة فى أشياء كثيرة لم تعتد على مساعدته لها بشأنها إلى حد أن كثيراً من الزوجات يشكون من تدخل أزواجهن بعد التقاعد فى كل صغيرة وكبيرة.

وقد ترتب على ذلك أن رئاسة الزوج للأسرة لم تعد بنفس التسلط والعنف الذى كانت عليه الأسرة الممتدة التقليدية، لأسباب عدة بعضها اجتماعى مثل ارتفاع مستوى التعليم، وبعضها جاءت نتيجة التطبع والتكنولوجيا كعمالة المرأة وتطلعها إلى دور أكثر فعالية.

وأصبح هناك اتجاه واضح نحو مشاركة الزوجين فى اتخاذ القرارات المتعلقة بالأسرة. وأحياناً يشارك الأبناء آباءهم فى اتخاذ القرارات. كذلك فإن كثيراً من الآباء اليوم يشاركون أطفالهم حياتهم، ويحاولون فهم مشاعرهم والتعاطف معها. كما يلعبون دوراً هاماً فى تربيتهم ورعايتهم ، وفى بعض الأحيان يلتحق بعضهم بالدراسة ليعدوا أنفسهم لكى يكونوا آباء صالحين، أو يقرأون كتباً فى علم نفس الطفل تساعدهم على فهم تصرفات أطفالهم. وهؤلاء الآباء لا يخجلون إذا رآهم أحد يعتنون بأطفالهم أو ينشرون ملابسهم بأنفسهم. وإذا كبر الأبناء فإن الآباء يقدمون لهم المساعدات المالية والاجتماعية حتى بعد زواجهم إذا أمكنهم ذلك.

ومع ذلك فما زال للرجل الحق القانونى فى تحديد مكان إقامة أسرته إلى درجة يمكن معها أن يطلق زوجته فى حالة رفضها الإقامة فى المسكن الذى يختاره أو تقتضيه ظروف عمله بغض النظر عن ظروف عمل الزوجة.

أما الزوجات من الطبقات والفئات الفقيرة، فإنهن فى غالبية الأحيان يعتمدن على أزواجهن من الناحية المادية، بالإضافة إلى التقاليد المتوارثة والمتعارف عليها فى هذه الفئات تجعل من رئاسة الرجل المطلقة للأسرة شيئاً منطقياً ومقبولاً.

وخلاصة القول فإن الرجل يمكنه أن يصبح محل إعجاب زوجته وأبنائه وأصدقائه إذا اتيحت له مجموعة من الخصائص مثل أن تكون له مكانة رفيعة فى علم، وأن يمد أسرته بكل ما تحتاج إليه، وأن يتحلى بالأخلاق الرفيعة، وأن يكون أباً طيباً حنوناً. أما إذا لم تستطع الزوجة الاستمرار فى حب زوجها، ولم يستطيعا الحياة معاً فى سعادة، فإنه يمكن القول فى حالة كهذه أنه فشل كزوج.

دور الزوجة

وهو الدور التقليدى للمرأة، فهى مطالبة بالتزامات هى :

- عدم الاستئثار بالمهر أو الدوته؛ بل يجب استغلاله فى تأثيث عش الزوجية وفى تحقيق ما هو ضرورى لإسعاد الأسرة.

- احترام رابطة الزوجية : فلا تخون زوجها ولا تمنعه نفسها ولاتهجر فراشه ولاتتبذل فتؤخذ بفاحش القول.

- التعاون مع زوجها بروحها ومالها وعواطفها . والطاعة واجبة على الزوجة وذلك في الحدود الإنسانية حتى لا تنحدر إلى مجرد رقيقة وتفقد صفتها كشريكة في الحياة الزوجية.

العناية بتربية الأطفال :

يجب على الزوجة أن تقوم بدورها فيما يتعلق بالرضاعة والحضانة ومراحل النمو الأولى. وهى المسئولة بصفة مباشرة عن تقويم لسان الطفل، وتلقينه المبادئ الإنسانية الأولى والتراث الاجتماعى.

إدارة شئون المنزل فإذا كانت مملكة الرجل هى الحياة الاجتماعية بصفة عامة، فإن مملكة الزوجة هى المنزل. وفى الماضى كان للمرأة دور إنتاجى فهى تنتج العديد من السلع التى تستخدمها الأسرة. وقد أدى التصنيع إلي عماله المرأة خارج المنزل. فتحول دورها الانتاجى إلى دور استهلاكى، ويتوقع منها أن تجيد فن الشراء.

إلا أن هذا التحول فى هذا الدور ليس نهائياً ولا يشمل جميع النساء فمازالت الكثيرات منهن يصنعن الملابس والحلوى والمخبز ويزرعن الخضروات ويقمن بحفظ الأطعمة، ولكن لا يتم هذا إلا حين تتوفر الظروف لذلك. هذا إلى أن الإتجاه التقليدى نحو تفضيل الأطعمة المصنوعة فى المنزل مازال يسيطر على المناخ الثقافى إلى حد كبير.

هذا التحول نحو عمل الزوجة وحصولها على أجر أدى إلى اتساع آفاقها ونظرتها للحياة، وارتفاع مكانتها. وندلل على ذلك باختلاف الأدوار لزوجة الفلاح إذا قورنت بزوجة البحار، وزوجة رجل الدين، إذا قورنت بزوجة رجل الأعمال، وزوجة الكاتب إذا قورنت بزوجة الطبيب.

وأصبحت المرأة الآن مطالبة بأن تنظم عملها المنزلى بما يتفق مع طبيعة عملها خارج المنزل. فهى ترفض حالياً إنجاب مزيد من الأطفال، وتقبل الكثيرات منهن

استخدام وسائل تحديد النسل أو تنظيمه. وإذا ما كانت الزوجة العاملة أما، فإنها كثيراً ما تعهد بمسئولية تربية الأطفال إلى مدبرات المنزل والخدم.

وكشفت بعض الدراسات عن أن عمالة المرأة ساهمت بدور كبير في زيادة حجم مشكلة إنحراف الأحداث في الأسرة الحديثة، كما كشفت دراسات أخرى عن أن هذا الدور المتغير للزوجة الأم قد أدى إلى زيادة روح الاستقلال الذاتي للطفل ليصبح أكثر اعتماداً على نفسه. وفي الجانب المقابل لوحظ أن عدد الأطفال في الأسرة ومستواهم العمري بالإضافة إلى الحالة الاقتصادية للأسرة كانت كلها عوامل حددت من ظاهرة إقبال الزوجة والأم على العمل خارج محيط الأسرة[١].

هذا ومازالت المرأة تحظى بعناية ورعاية يساندها القانون والرأي العام فأحياناً ما يكون لها حقوق على زوجها كأن تطلب منه الطلاق، لأنه لا ينفق عليها، أو تجعله مسئولاً عن ديونها، أو يكون لها الحق في أن تحصل منه على نفقة.

ويجب على الزوجة الصراحة والصدق في معاملاتها الزوجية والإخلاص في تصرفاتها، وحسن التقدير والوفاء في مظاهر سلوكها، ويجب عليها الأمانة والحرص على أسرار الحياة الزوجية ولاسيما المسائل الدقيقة بينها وبين زوجها، وبذلك تكون قدوة في الفضائل التي ينبغي أن تطبع عليها الأطفال.

والنفقة واجبة على الزوجة متى كانت قادرة وثبت عجز الزوج أو عدم استطاعته تحمل أعباء الحياة الزوجية على الوجه المطلوب. وإذا كانت الشريعة الإسلامية لاتقيم لذلك وزناً كبيراً وتلقي بكافة المسئوليات على أكتاف الرجل وتبيح الفرقة للعجز وعدم المقدرة؛ غير أن القوانين الحديثة المنظمة لشئون الأسرة في معظم البلاد (غير الإسلامية) تقرر النفقة على الزوجة في حالات إعسار الرجل.

دور الأبناء:

قدمت بعض المجتمعات القديمة بواكير الأطفال قرابين للآلهة وفي بعضها الآخر كانت الأسرة ينذر أحد الأولاد أو بعضهم ضحايا للآلهة إذ تحقق لآبائهم ما يطلبونه.

١- انظر د. السيد عبد العاطي السيد وآخرين. علم اجتماع الأسرة ص ١١٣.

ودرجت بعض القبائل على قتل الأولاد لضيق ذات اليد وعدم القدرة على رعايتهم. وانتشرت عند عرب الجاهلية ظاهرة وأد البنات لأنهن يمثلن الرجس والدنس ويعتبرن من سلالة آلهة الشر، وانتشرت فى القبائل اليونانية القديمة وغيرها ظاهرة إعدام الضعاف ومشوهى الخلقة والمنحرفين من الأحداث.

وأخذت بعض المجتمعات على عاقتها أمر العناية بالنشئ؛ فحرمت على الأسرة أن تقوم بوظيفة التربية. فكان السائد فى اسبرطة مثلا أن السلطة المدنية تشرف على تربية الأطفال وهم فى حضانة أمهاتهم حتى سن السابعة وبعد ذلك تستولى عليهم وتتولى أمر الوصاية على تربيتهم. وفرضت بعض المجتمعات على الأسر نظماً معينة لتربية أولادهم وتعليمهم وألزمتهم بإتباعها .

ونتيجة لتحول العمل من الزراعة إلى التصنيع واستخدام الآلة فقد الطفل (أو رجل المستقبل القريب) ما كان له من قيمة اقتصادية ارتبطت تقليدياً بمكانته فى الأسرة وأصبح على العكس من ذلك عبئاً ثقيلاً على إمكانيات الأسرة اقتصادياً ونفسياً حتى مرحلة متأخرة من حياته.

وبالإضافة إلى ذلك أثرت المكانة المهنية للأب وما تضمنه من مؤثرات وضغوط وما اقترن بها من مكانة اجتماعية واقتصادية فى تشكيل وتحديد البيئة الاجتماعية التى تتشكل فى إطار من قيمها واتجاهاتها فى التنشئة الاجتماعية وفى تطلعاتها وامكانياتها شخصية الطفل، بالدرجة التى تعكس هذه الشخصية على حد تعبير شيندر- التمايزات الاقتصادية والاجتماعية الواسعة فى مجتمع المدينة.

ففى الطبقات العليا من المجتمع يشغل الطفل دورا ومكانة هامة فى الأسرة لأنه وريث إسمها وكثيراً ما يرث مكانة أبيه المهنية . ومن ثم كانت عملية التنشئة الاجتماعية له تتمثل فى نقل قيم وعادات وتقاليد وأخلاقيات الطبقة. والطفل هنا يتمتع بأمن شخصى واجتماعى واقتصادى واسع. أما فى الطبقة الوسطى فالطفل فيها على إتصال وثيق ومباشر بأبيه، خاصة وأنه من العوامل المؤثرة على قدرة الأسرة على الإحتفاظ بمكانتها الاجتماعية. وقد يكون عبئاً على الأسرة، وكثيراً ما تتحدد مكانة هذه الأسرة على العالم الخارجى. وتقع مسئولية تنشئته اجتماعيا على عاتق الأم وحدها.

وعلى العكس من ذلك كله لا ينال الطفل فى أسرة الطبقات الدنيا أدنى إهتمام، بل لا يهتم هو نفسه بعمل والده أو مكانة أسرته، ويعد مركزه المالى من أفقر مراكز أفراد الأسرة. وهو يفتقر دائماً إلى الأمن الشخصى والاقتصادى كما يتمتع بدرجة معينة من الحرية كنوع من أنواع التصدى الأسرى والإنحراف السلوكى، وهو لا يكرس أو يدرب على عمل معين، ولا يقارن بغيره من الأطفال، كما لا يطالب بالمحافظة على تقاليد الأسرة، الأمر الذى يجعله يعانى أشد المعاناة من تجارب وخبرات مختلفة تماماً عن تلك التى يخابرها أطفال الطبقات الأخرى فى المجتمع.

كبار السن فى الأسرة :

لقد كانت المؤثرات الحضرية التى جعلت من الأسرة الزواجية الصغيرة أو الأسرة النواة ضرورة من ضرورات التوافق مع ظروف المجتمع، عاملاً من العوامل التى أدت إلى تغير المكانة التقليدية لكبار السن فى الأسرة، لقد جاء على هذه الفئة حيناً من الدهر لم تكن تمثل مشكلة ذات أهمية، سواء للأسرة أو المجتمع، بل كان من السهل إشباع حاجياتهم فى الأسرة الممتدة، كما كانت لآرائهم ومقترحاتهم وخبراتهم تحتل مكانة عالية من التقدير والإحترام من جميع أعضائها، هذا بالإضافة إلى أنه كان بمقدورهم الاستمرار فى أداء دورهم الإنتاجى وبإيجابية فى الأسرة والجماعات القرابية التى ترتبط عضويتهم بها طوال حياتهم، كما كانت «الأبوة» نوعاً من التأمين ضد الشيخوخة بالنسبة لكثير منهم[1].

١- نفس المرجع السابق، ص ص ١١٥-١١٧.

الفصل العاشر
الأسرة والدين

تثبت الأسرة فى نفوس أفرادها دينها وطقوسها والمشاركة فى حفلاتها والوفاء بما تفرضه الأوضاع الأسرية من التزامات. لأن هذه الأمور تتصل بالناحية العاطفية والإنسانية فى الفرد، وتثير فى غمرتها مشاعر وأحاسيس تعلو فوق الأنا الفردية أو ذات الإنسان، وتشعره بنشأة كائن جديد لم يحسه من قبل وهذا الكائن إن هو إلا تعبير عن عقل الجماعة وفكرة الجماعة وشعور الجماعة. فتقوى الروابط بين الفرد والمجتمع وتتوثق الصلات بينه وبين بنى لحمته.

وكان الدين قديماً هو دين الأسرة. ثم تطور فأصبح دين القبيلة والمدينة . وكان يتعين على كل فرد فى نطاق المدينة أن يدين بدينها. فدين أثينا أو أسبرطة مثلا لابد أن يعتنقه كل فرد يساهم فى طقوسه ويقوم بالعبادات التى يفرضها الدين عليه. ومن يخرج عن الحدود المرسومة لايعتبر مواطناً فى المدينة ومن ثم يحل دمه أى يصح قتله بدون دية. والفرد الذى يرفض الإيمان بآلهة المدينة والخضوع لدينها مثله كمثل الفرد الذى يرفض جنسيته فى عصورنا الحديثة.

ونظراً لخطورة الحياة الدينية فى المجتمعات القديمة، فإن الطفل لايعتبر عضواً فى الأسرة إلا إذا قامت حياله بطقوس متكررة يمنح بعدها صفة التعميد والتعيين وبذلك يصح له الدخول فى الجمعية الدينية للأسرة ويصبح واحداً من أفرادها ويحق له مزاولة الطقوس والمساهمة فى الأشياء المقدسة.

غير أن تطور الحياة الدينية وتقرير الحرية الدينية للأسرة الإنسانية، جعلا الأفراد ينظرون إلى الدين نظرتهم إلى شئ شخصى يتعلق بضمير الإنسان؛ فالفرد من حقه أن يتجه بالعبادة والتقديس إلى ما يشاء من القوى والآلهة، وله أن يقوم بالطقوس التى يرتضيها ما دام ذلك فى حدود النظام العام الذى يجيزه المجتمع. وبالرغم من هذا

التطور فإن الأسرة مازالت حريصة على فضيلتها الدينية. فكل فرد يخرج على عقائدها وطقوسها وعباداتها ومراسيمها الدينية تتنكر له وتلفظه وقد تقتله خشية ما يلحقها من العار بسببه. وفى ذلك أبلغ رد على خروجه عن تعاليم الأسرة[١].

وفى مجتمعات ما قبل الصناعة ارتبطت القرابة برابطة روحية وليست فسيولوجية. وقد أوضح لوسيان برول Lucien Levy Bruhle أن القرابة فى هذه المجتمعات تنتج عن رابطة روحية وليست فسيولوجية، وهى مشاركة أسطورية فى جماعة معينة، وفى جميع القيم الدينية والأخلاقية.. إلخ التى تمثلها الجماعة.

وفى المجتمع الريفى فى الصين القديمة كانت كلمة «الأم» نفسها تنطبق على جماعة منسقة. وبالمفهوم الفردى كانت الكلمة لاتستخدم فى تسمية «المرأة» التى ولد الإنسان منها، ولكنها تستخدم فى تسمية المرأة التى كانت أكثر أجيال الأمهات احتراماً. كذلك فإن الأب لا يتميز عن الأعمام، حيث تنسحب الكلمة أيضاً على دائرة تتسع كثيراً عن دائرة أخوة الأب فقط، ويختلط الأبناء بأبناء الأخ أو الأخت، فعلاقات القرابة تتميز إذن بطابع شامل.

وفى الهند القديمة كرست الكتابات الدينية الهندية القديمة الكثير من الاهتمام بالأسرة[٢].

وكانت القرابة فى روما تنبعث عن الدين. وقد كتب فوستيل دى كولانج Fustel De Coulange فى تحليل عن المدينة القديمة يقول : «إن رابطة الدم لاتكفى لإقامة القرابة، ولابد من رابطة العبادة ، وعلى ذلك فإن الدين كانت ينتقل من ذكر إلى ذكر، ولم يكن تحديد القرابة العاصبين يتم على أساس الميلاد، وإنما على أساس العبادة.

وهكذا فإن صفة القرابة لاتعطى إلا للأقارب العاصبين والمنحدرين فقط من خط الذكور، أما الأقارب المنحدرون من خط الإناث فلا يعترف لهم بهذه الصفة مهما كانت

١- انظر د. مصطفى الخشاب. دراسات فى علم الاجتماع العائلى ص ص ٦٢-٦٣ ؛
وانظر د. عبد الهادى محمد والى، الاجتمع العائلى ص ص ١٦٥-١٦٦.
٢- د. عبد الله الغريجى. المرجع السابق، ص ٤٨.

قرابتهم الدموية[1].

الديانة اليهودية :

اهتمت التوراه بشئون الأسرة، ونظمت لبنى إسرائيل قواعدها، ورسمت لهم قوالب الفكر والعمل بصدد الزواج، والعلاقات الزواجية، والآثار المترتبة على قواعد الزواج. كما حددت لهم حالات الطلاق، ورتبت لهم طبقات المحارم، وما إلى ذلك من المقومات الأساسية فى نظام الأسرة.

ويعتبر الزواج فى شرائع بنى إسرائيل نظاماً قدسياً إلهياً أوحى به الله لتنظيم واستقرار الحياة الإنسانية وحفظاً للنوع. تأخذ هذه الشرائع بنظام وحدانية الزوج والزوجة Monogamie. فهو الزواج الأمثل والأكثر استقراراً.

ونفرت الشرائع الأفراد من تعدد الزوجات ومن الطلاق. ولم تبح ذلك إلا فى أضيق الحدود. وذلك حرصاً على مقومات الأسرة وصيانة لأفرادها من الإنزلاق ووقوعهم تحت ضغط عوامل الإغراء والإنحراف. وكانوا يشترطون موافقة الزوجة على الزواج الثانى فى الحالات الدقيقة التي يباح فيها التعدد مثل العقم. وإذا لم توافق لابد من تطليقها.

وأجازت بعض النصوص للرجل الموسر أن يتزوج بأكثر من واحدة لاسيما إذا استطاع أن يعدل بين زوجتيه (المادة ١٧٦ من كتاب ابن شمعون). وفى بعض النصوص ما يشير إلى حق الرجل فى أن يحوز أربع زوجات (كما عند المسلمين) استدلالا بأن سيدنا يعقوب كان يجمع بين أربع نساء. ولكن الشرائع لم تتهاون فى الثغرات التى ينفذ منها الأفراد إلى الزواج الثانى فقد نصت المادة ١٦٤ من كتاب ابن شمعون على أن عقم الزوجة يقدر بعشر سنين وبعدها يصير تطليقها أو يتزوج عليها إذا قبلت وكان الزوج ذا ميسرة ويستطيع أن يعدل بين زوجتيه.

وفى سفر التكوين نجد إشارات إلى قدسية نظام الزواج وكيف أن الله سبحانه

١- انظر د. محمد محمود الجوهرى وآخرين - دراسات فى علم الاجتماع ص ص ٣٠٥-٣٠٦.

خلق حواء بعد آدم لاستكمال التنظيم الاجتماعى لشئون الكون. وفى سفر الخروج أحكام كثيرة عن الزواج وصيانة الزوجة وحمايتها من الإغراء والوصاية على الأيتام.

ويعتبر سفر الأحبار (أو اللاويين) من أكثر الأسفار تفريعاً لمسائل الأسرة، فشئون الزواج يتناولها الأصحاح (١٥)؛ وموانعه يتناولها الاصحاح (١٨)؛ وشئون الخطبة وواجباتها ومضاجعه المخطوبة فى الاصحاح (١٩)؛ وتحريم الزنا فى الإصحاح (١٨-٢٠).

وفى سفر العدد نجد نصوصاً كثيرة تتناول الواجبات الزوجية (إصحاح ٥) ونظام الميراث (اصحاح ٢٧) وحقوق رب الأسرة وواجباته وخاصة سلطة الزوج على زوجته والأب على أولاده (إصحاح ٣٠). وبينت أهمية الإنصياع لأوامر الأسرة واتباع تعليماتها . وفى سفر التثنية نجد أحكام الطلاق.

وفى الكتاب المقدس الثانى بعد التوراة وهو «التلمود» أو كما يسميه اليهود «المشنا» نجد وصايا وأحكام تتناول كل مظاهر الحياة الإنسانية وشئون الفرد والأسرة والجماعة.

وفى ضوء ما جاء فى التلمود ترتكز الأسرة الفاضلة فى نظره على الدعائم الآتية :

١- التضامن الطبيعى بين عناصرها.

٢- الطاعة : طاعة الأبناء للآباء والزوجات للأزواج.

٣- التطهير والإخلاص والمعرفة.

٤- المشاركات الوجدانية بين عناصرها كالمحبة والشفقة والعطف.

وتكلن التلمود عن «الواجبات» حيث يقول : إن الإلزام الكلى الذى أودعته العناية الإلهية فى الكون ينطوى على تقرير خمسة واجبات وهى : واجبات بين الملك ووزيره، وبين الوالد والابن، والزوج والزوجة، والأخ الأكبر والأخ الأصغر والعلاقات المتبادلة بين الأصدقاء.

ولا تتأتى هذه الواجبات عملياً؛ وبصورة فعلية؛ إلا عن طريق ثلاث فضائل هى : المعرفة ، والشهامة (المروءة) ، وقوة العزيمة. والأسرة هى البيئة الحية التى تنمو فيها هذه الفضائل . ومن ثم اعتبرت الأسرة الدعامة الجوهرية لأخلاقية الشعب وخصائصه الموروثة[1].

الزواج فى المسيحية :

الزواج فى المسيحية مقدس، فهو علاقة مقدسة رفعه المسيح إلى مرتبة السر الإلهى، وعلى ذلك فهو لايتم إلا عن طريق الكنيسة، إنه ليس مجرد إتفاق طبيعى، ولكنه عمل دينى جاء فى الكتاب المقدس أن «ما جمعه الله لا يفرقه إنسان».

ولذلك يكاد العهد الجديد (الإنجيل) لايعنى بشئ من أمور الدنيا مبلغ عنايته بالزواج والطلاق، وذلك لإرساء مقومات الأسرة المسيحية على مبادئ الدين الجديد ووصاياه لاسيما أن التشريعات التى كانت سائدة فى فجر الدعوة المسيحية كانت إما تشريعات موسوية أو تشريعات رومانية.

ولقد أعطت الشرائع المسيحية للخطبة والزواج أهمية كبرى، وهى تستند إلى مبدأين أساسيين هما : مبدأ الوحدة، ومبدأ عام القابلية للانفصام.

وكان الدين المسيحى فى مقدمة الأديان دعاية للزهد. فشرعوا فى بث الكراهية للدنيا بقصد توجيه القلوب إلى الحياة الأخرى. ثم ازدادت الحملة على النساء فى عصر انتشار الرهبانية، فقالوا عنها أنها الشيطان، أو مشعل الشيطان أو باب جهنم. وقد تأصلت فى نفوس الناس أن الجنس اللطيف فاسد بالفطرة ومن الحكمة التبكير بتزويج البنات، وتعويدهن ممارسة التقوى والزهد. فضلاً عن اقتصارهن على خدمة المنزل.

وقديماً كان تعليم المرأة المسيحية يتم فى إطار إدارة المنزل والغزل والنسيج والحياكة. واقتصار وقتهن يتوزع ما بين الصلوات والأشغال اليدوية. وفى القرن السابع استثنيت من خدمة الكهنوت، وفتح لها مجال انشاء الأديرة النسائية، وفيها نالت

١- د. مصطفى الخشاب. علم الاجتماع العائلى. ص ص ١١-١٤.

استقلالها وبرزت فى مجال العلوم[١].

ويستهدف الزواج فى المسيحية انجاب الأولاد وتربيتهم تربية صالحة حسب تعاليم الكنيسة (توفيق فرج ١٩٩٦م) . وتعتبر قوانين القديس «باسليوس الكبير» (أسقف قيسارية) أوفى مجموعة منظمة لقواعد الحياة الأسرية المسيحية وهى تنتظم ١٠٦ قانوناً.

وهناك قوانين البطريرك اثناسيوس من بطاركة الإسكندرية وهى تنتظم ١٠٧ قانوناً يدور معظمها حول مسائل أسرية (الزواج والطلاق والعلاقات الزواجية وشئون المواريث).

ومن القوانين الكنسية الهامة التى عنيت بتشريعات ونظم الأسرة؛ المجموعات التى وضعها «مجمع نيسه Nicée» المنعقد فى ٢٠ مايو سنة ٣٢٥م؛ وجاءت فى أربعة كتب معروفة لفقهاء المسيحية وكهنتها. جاء فى الكتاب الأول مسائل تتعلق بالخطوبة وهدايا العرس والجهاز وأسباب فسخ الزواج، والوصية والميراث والولاية وما إليها. وتناول الكتاب الثانى الميراث ومراتبه. والوقف والايصاء؛ ودرجات القرابة ومحارم الزواج ، والزواج بالأرامل ، والزواج بعقد ومهر أو بدونهما. كما تناول حقوق المرأة إذا فارقت زوجها أو طلقت؛ وحقوق الزوج فى مال الزوجة واعتبارات متعلقة بالقذف والزنا. فى الكتاب الثالث مسائل تتصل بالتبنى والأبوة الطبيعية والقانونية وحرمان المتبنى من الميراث والرجوع فى الوصية. وعرض الكتاب الرابع لطبقات المحارم، وموانع الزواج وخاصة مانع القرابة الروحية، وموانع الوصية، وحدود الطلاق.

الأسرة عند عرب الجاهلية :

يعرف العصر الجاهلى بأنه الزمن الذى مر قبل ظهور الدعوة الإسلامية أو قبل الهجرة النبوية بنحو مائة وخمسين عاماً. وتجدر الإشارة إلى أن كلمة الجاهلية التى أطلقت فى هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذى هو ضد العلم ونقيضه. وإنما هى مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق فى مقابل كلمة الإسلام التى تدل على

١- د. غريب سيد أحمد وآخرون. دراسات فى علم الاجتماع العائلى ص ص ٦٥-٦٦.

الخضوع، والطاعة لله عز وجل وما تنطوى عليه من السلوك الطيب والخلق الكريم.

ورد فى سورة البقرة : {قالوا اتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين} وفى سورة الأعراف {خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين}، وفى سورة آل عمران : ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية﴾ وفى سورة المائدة: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ وفى سورة الأحزاب : ﴿وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ وفى سورة الفتح : ﴿إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية﴾.

وفى الحديث النبوى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال لأبى ذر وقد عير رجلاً بأمه «إنك أمرؤ فيك جاهلية»..

وفى معلقة عمرو بن كلثوم التعلبى :

ألا لا يجهلن أحد علينا　　　فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ويتضح مما جاء فى القرآن الكريم، والحديث النبوى والشعر الجاهلى أن كلمة الجاهلية قد استخدمت منذ القدم للدلالة على السفه والطيش، والحمق. ثم أطلقت على العصر القريب من الإسلام لما كان فيه وثنية وأخلاق قوامها الحمية، والأخذ بالثأر واقتراف ما حرمه الدين الحنيف من موبقات .

أما أهل الجاهلية فهم العرب الذين عاشوا قبل الإسلام بوادى الجزيرة العربية، وفى مدنها الباقية. وكانوا يعيشون على الرعى والزراعة ويزاولون التجارة، ويشتهرون بالشجاعة والكرم وحماية الضيف والوفاء بالوعد. وكانوا يمارسون بعض العادات السيئة التى حرمها الإسلام، مثل : وأد البنات، وشرب الخمر، ولعب الميسر، وأخذ الربا.

ولقد وصلت المرأة فى المجتمع الجاهلى إلى مكانة من المهانة لم تصل إليها امرأة فى أى مجتمع آخر . فكان العرب يعتبرونها متاعاً فحسب . وكان للرجل مطلق

الحرية في الجمع بين أكثر من زوجة. كما كان له مطلق الحرية فى تطليق زوجته وقتما شاء . كما كان الزواج المؤقت أو زواج المتعة منتشراً بين عرب الجاهلية وكانت المرأة تحرم من الميراث شأنها شأن الولد الصغير إذ أن قانون الورث لديهم لايورث ولايعطى حق الميراث إلا لمن قاتل على ظهور الخيل. وكانت المرأة هى نفسها تورث مع المال والماشية وتباع وترهن.

وبرغم ذلك فقد احتلت المرأة فى الجاهلية مكانة لايمكن إنكارها حيث كانت تعتنى بشئون بيتها وترعى أطفالها ومساعدة الزوج فى مهنته لبعض الصناعات كالغزل والتجارة واللهو أحياناً. أما فى الحرب فكان يوكل إليهن التمريض وتحميس المحاربين. ولقد زاولت المرأة العربية منذ الجاهلية كثيراً من الحرف المناسبة لها ولاسيما الحرف البيئية وما يقاربها لجمع القوت والحطب وإعداد الطعام والملبس . ومن أهم صناعتها الغزل من الصوف والوبر حتى بنات الأشراف كن يشاركن فى رعاية الماشية واشتغلن بالتجارة واشتركن فى قوافلها .

ومن الحرف النسائية المنتشرة فى ذلك الوقت السحر والكهانة والعرافة والغناء والطرب والرقص كما كان من صناعات المرأة التطبيب كعلاج الجروح وجبر الكسور. وقد شاركن أيضاً فى دفن الموتى، وكان أجدادنا العرب يضيقون ببطالة المرأة أو عدم اتقانها إحدى الحرف المناسبة ولاشئ يتجنبه العرب قدر تجنبهم للبطالة أو التقصير فى أداء العمل النافع المختص به ويبلغ فيه غاية الاتقان(١).

وكانت القرابة عند العرب فى الجاهلية قائمة على الادعاء لا على صلات الدم. فكان الولد لا يلحق بأبيه إلا إذا رضى الأب أن يلتحق به، وكانت القبائل العربية تتركز السلطة فيها فى يد شيخ القبيلة الذى يتسم بالروحية والمعنوية.

ويبدى هذا النفوذ فى حالات الأخذ بالثأر وإجراء الأمور المتعلقة بالزواج والطلاق وحل النزاعات وفض المشاكل، التى تحدث فى هذه العشيرة بالإضافة إلى أن من حقه إبعاد أى فرد منها فى الحالات التى يتمرد فيها الفرد على نظامها وقواعدها

١- د. غريب سيد أحمد وآخرون .دراسات فى علم الاجتماع العائلى ص ٦٤.

وضوابطها وسلطاتها الاجتماعية، وهو الذى يعقد لواء الحرب والسلم معاً، فقوله مسموع وطاعته واجبة، والمفاوضات تتم بين الأسر الصغيرة داخل هذه القبيلة أو العشيرة بواسطته من ناحية، ومن ناحية أخرى ينظم العلاقات بين عشيرته والعشائر الأخرى أو ما يعرف «بالحلف» ويكون ما للعشيرة المتحالفة من حقوق وما عليها من واجبات منطبقاً على العشيرة المتحالفة معها.

وكان الزواج فى الجاهلية على عدة أنواع :

١- زواج المهر أو زواج البعولة :

وهو الزواج الذى كان الرجل يتفق عليه مع أهل الفتاة على مهر معين يأخذه ولى أمر الفتاة ولا تأخذ الفتاة منه شيئاً وربما أكره الأهل الفتاة على الزواج بمن تكره إذا هم أرادوه، وربما عضلوها «منعوها من الزواج».

ويدلنا هذا السلوك من جانب أهل العروس أن المرأة فى ذلك العهد كانت مسلوبة الشخصية ولا تنعم بالحرية التى أعطاها لها الإسلام حيث أوجب استئذان المرأة قبل تزويجها سواء كانت بكراً أو ثيباً، وأعطاها حق الاشتراط فى العقد وجعل المهر حقاً خاصاً بها ولها حرية التصرف فيه .

٢- زواج المتعة :

وهو عقد شخصى بين رجل وامرأة لمدة معينة على مبلغ معين. وينتهى هذا الزواج بانتهاء المدة المشروطة وهو يشبه زواج المهر من كل الوجوه إلا اشتراط المدة وفى هذا الزواج مهر مقدم وحقوق للأولاد على أبيهم فى الانتساب إليه والإرث منه، والمعروف أن زواج المتعة قد أجيز فى بداية عهد الإسلام فى السفر والغزوات ثم حرمه الإسلام فيما بعد تحريماً مطلقاً حيث نهى عنه الرسول فى يوم خيبر، وفى حجة الوداع، ولا زال المجتمع السعودى متمسكاً بحكم الإسلام فيما ورد بشأنه.

٣- زواج السبى :

وهو حق المحاربين المنتصرين فى نساء المحاربين المغلوبين ولا يشترط فى هذا الزواج رضا الفتاة ولا رضا أهلها وليس فيه مهر .

٤- زواج الأماء :

وذلك أن يشترى الرجل أمة فيكون لها أولاد إن شاء اعتقها، واعتقهم وإن شاء لم يفعل فتظل هى عنده أمة ويظل أولادها منه عبيداً له واماء.

٥- زواج المقت :

ويسمى زواج الارث فكان الجاهليون يرثون زوجات آبائهم وزوجات غير آبائهم ممن يرثونهم كما يرثون أموالهم وأنعامهم، على ألا يرث الابن أمه التى ولدته.

٦- جواز الجمع بين الأختين :

ولقد كان عند العرب فى الجاهلية جواز الجمع بين الأختين، إلا أنه كان مستقبحاً هو الآخر ، والإسلام يحرم ذلك إلا إذا طلقت الزوجة أو توفيت يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ولا تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف﴾.

٧- تعدد الأزواج :

وكان يباح فى الجاهلية تعدد الأزواج دون التقيد برابطة القرابة فيما بينهم حيث أشارت السيدة عائشة رضى الله عنها إلى ذلك فقالت : (كان يجتمع الرهط وهم دون العشرة فيدخلون على المرأة ويصيبونها فإذا حملت ووضعت ترسل إليهم فلا يستطع واحد منهم أن يمتنع عن الحضور ، فإذا اجتمعوا عندها تقول لهم : قد عرفتم ما كان من أمركم وقد ولدت فهو أبنك يا فلان وتسمى من أحبت بإسمه فيلحق به ولدها ولا يستطيع أن يمتنع عنه الرجل).

٨- زواج الاستبضاع :

ولقد كان أيضاً عندهم زواج الاستبضاع، ويعنى أن يكون للمرأة زوج واحد. وكان يباح لغير زوجها أن يتصل بها فى فترات محددة قبل زفافها أو بعده فى مدة معينة وبقيود خاصة، دون أن يكون لهذا الرجل حق الزواج عليها. فالرجل يترك زوجته الاتصال بأحد العظماء لأجل أن ينجب له من يحمل صفات العظمة التى يرثها من ذلك العظيم. وفى تلك الفترة لايمسها زوجها حتى يتأكد من حملها. ومن عاداتهم فى

الجاهلية عند بعض القبائل أن شيخ القبيلة يقوم بالدخول على كل عروس قبل زفافها إلا أن هذه العادات وسابقتها قد قضى عليها الإسلام.

٩- زواج الشغار:

وكانت بعض قبائل العرب فى الجاهلية تبيح الاختلاط بدون قيد بين الخطيبين قبل الزواج. فيحق للرجل مباضعة خطيبته ، فإذا قبل كل منهما الأخر تم العقد ويسمى عندهم نكاح السفاح، وقد حرم الإسلام ذلك . وكان فى بعض القبائل يحرم اتصال الخطيبين جنسياً ويبيح غير ذلك من الاختلاط فيجوز للرجل عندهم أن يعاشر من يسبى من النساء ويصبحن من ممتلكاته، وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم هذا النوع من الزواج وقال : (لا شغار فى الإسلام).

أما تعدد الزوجات فقد كان شائعاً . فقد روى عن عبد الله بن عمر قال : «نسوة فى الجاهلية. ولن معه . فأمره النبى عليه الصلاة والسلام أن يختار أربعاً» وعن نوفل بن معاوية قال : «أسلمت وتحتى خمس نسوة : فسألت النبى صلى الله عليه وسلم فقال : «فارق واحدة، وأمسك أربع».

والواقع أن تعدد الزوجات لم يكن شائعاً عند العرب فى تلك الحقبة من الزمن دون سواهم، فقد عرفه الفرس، والرومان، وقدماء المصريين وغيرهم، وقد سبقت اليهودية والمسيحية الإسلام فى إجازة التعدد، ولذلك فإن إباحة الإسلام لتعدد الزوجات ليست تشريعاً جديداً سنه الإسلام للناس، وإنما جاء الإسلام فوجد التعدد قائماً، ولكن بصورة غير إنسانية منظمة فحدده بأربع زوجات، ووضع له آداباً وأحكاماً فى القرآن الكريم والسنة النبوية تحفظ للمرأة كرامتها..

وقد كان ولازال تعدد الزوجات موجوداً فى المجتمع السعودى حيث تقره الشريعة الإسلامية للضرورة. ولكن من الملاحظ فى الوقت الحاضر أن نسبة الزواج بأكثر من واحدة فى المجتمع السعودى أخذت تقل بالتدريج وخاصة عند الجيل الجديد نتيجة للتغير الثقافى الذى طرأ على المجتمع السعودى، فضلاً عن تعدد مطالب الحياة العصرية والالتزامات الأسرية وظهور بعض المشكلات الاجتماعية فى المجتمع مثل غلاء المهور، وارتفاع أجور المساكن والتمسك ببعض العادات والتقاليد.

وكان لعرب الجاهلية عاداتهم وتقاليدهم المرتبطة بالزواج ومنها عدم تزويج بناتهم إلى الأعاجم مهما كان الأعجمى عظيماً . وكانت بعض القبائل العربية تفضل الزواج ببنات العم لاعتقادهم أنهن أصبر على ريب الزمان وولدهن يجئ كريماً على طبع قومه ومن هؤلاء بنو عبس، وقد سئلوا : أى النساء وجدتم أصبر؟ فقالوا : بنات العم. وكانت بعض القبائل لاتحبذ الزواج من بنات العم وذوى القربى لاعتقادهم أن زواج الرجل بقريبته ينتج نسلاً ضاوياً ضعيف الجسم والعقل.

وكان من عاداتهم التى أقرها الإسلام فيما بعد عدم الزواج من الأم والبنت وبنت البنت، والأخت وبنت الأخت.

وكانوا يبالغون فى الغيرة على نسائهم حتى اشتط بعضهم. ووأد البنات مبالغة فى الحرص على العرض وقال قائلهم فى ذلك : «دفن البنات من المكرمات» وأنكر ذلك كثير من عقلائهم ومن أشهرهم زيد بن عمر ابن نفيل القرشى الذى قيل أنه أحيا ستاً وتسعين مؤوده، وكانوا يختنون أولادهم ويكفنون موتاهم، ويغتسلون من الجنابة ويتزوجون بالصداق والشهود ويطلقون ثلاثاً.

وكان الطلاق نظاماً عند العرب، واليهود، واليونان، والرومان وكان الجاهلون يطلقون نساءهم لاتفه الأسباب.

وكانت المرأة الحضرية تتزوج وقد تشترط أن يكون الأمر بيدها، وتكون علامة ارتضائها للزواج أن تعالج له طعاماً إذا أصبح . ومن هؤلاء : عمرة بنت سعد وعاتكة بنت مرة السلمية، وفاطمة بنت الخرشب، وسلمى أم عبد المطلب بن هشام[1].

الأسرة فى الإسلام :

تفيد نصوص القرآن أن الزوجية «الإزدواج» ، لا الفردية هى أساس طبيعة المخلوقات فى الكون. وكان مبدأ الكون أن خلق الله آدم ثم خلق منه حواء ليبدأ الازدواج مع بدء الكون، قال تعالى : ﴿خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾.

١- د. عبد الله الخريجى. علم الاجتماع العائلى ص ص ٢٧١-٢٧٧.

واهتمت الشريعة الإسلامية بنظام الأسرة، ووضعت نظاماً عائلياً متماسكاً من حيث مكوناته، والوظائف التى تقوم بها الأسرة من الناحية التربوية والاجتماعية والاقتصادية والتشريعية، وهى أسس متكاملة متبادلة الاعتماد ، وذلك حتى تكون بمنأى عن أى انحراف، فإذا أخذ بها المجتمع جعلت منه مجتمعاً مترابط الأجزاء منسجم الكيان.

ولم يعترف الإسلام برابطة إنسانية بين الرجل والمرأة غير الزواج، وألغى وراثة الرجل للنساء. قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن تأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾.

واعتبر الإسلام إتخاذ الأخذان مقتاً وزناً تقتضى عقاباً شديداً. وألغى زواج المتعة. وقد أكد النبى عليه الصلاة والسلام إلغاءه ست مرات فى ست غزوات.

وحث الإسلام على الزواج حرصاً على سلامة الأوضاع الاجتماعية، وبقاء النوع، وتدعيم قوى التضامن والتكافل والتواصل الاجتماعى، والسمو بالعلاقات بين الرجال والنساء، وبما يتفق مع القيم الإنسانية يقول سبحانه وتعالى ﴿ وخلقناكم أزواجاً ﴾ (النباء:٨)

ويشترط الإسلام للزواج أن يتوفر للفرد الإستعداد النفسى والمادى، حتى يتحمل الرجل شئون الإنفاق على الزوجة والأولاد.

والدين الإسلامى يبنى الزواج على التواد والرحمة. ويقول سبحانه عز وجل : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ «الروم : ٢١».

واعتبر بعض الفقهاء الزواج فرضاً، وذلك فى الحالات التى يخشى فيها على الرجل الوقوع فى الزنا، واعتبره الأكثرون سنة، فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». (رواه البخارى). والمقصود

بالباءة نفقات الزواج المالية وتكاليفه. ومعنى الصوم وجاء أى أنه عاصم للنفس من الوقوع فى الشهوات المحرمة.

وتتمشى أهداف الزواج مع ما جاء فى الآية الكريمة التى يقول فيها سبحانه وتعالى ﴿خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها﴾. فهى تكمل فى الرجل حاجته إلى المرأة، وفى المرأة حاجتها إلى الرجل، لتتم الزوجية، التى يتخللها المودة والرحمة. يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾.

وحب البقاء هدف أسمى يحققه الزواج فالإنسان مع رغبته فى الحياة أطول يدرك أنه بالضرورة فان، ولذلك يسعى إلى تحقيق بقائه عن طريق الأولاد والحفدة الذين يعتبرون فى الحقيقة امتداد له، وبتحقيق هذه الغاية يظل الكون فى عمرانه. قال تعالى ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾.

ومن أهداف الزواج إنجاب الأولاد ، والأولاد متعة صورها القرآن الكريم أدق تصوير حين قال {المال والبنون زينة الحياة الدنيا}.. وحين قال : ﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾. وعد الرسول صلى الله عليه وسلم الأولاد الصالحين من خير ما يخلفه الأب عندما قال : إذا مات ابن آدم إنقطع عمله إلا من ثلاث : علم ينتفع به وصدقة جارية، وولد صالح يدعو له[1].

وقد حارب الإسلام قتل الأولاد ووأد البنات خشية الإملاق. كما حرم التبنى والادعاء. وقضى على السلطة القديمة التى كان يمارسها الأب، تلك السلطة التى كانت تجعل من المرأة والأولاد متاعاً له يتصرف فيهم كما يشاء وتشاء له أهواؤه بيعاً وهبة وقتلاً وأضحية. وحارب الزنى والفسق والقذف وبالغ فى الحرص على أعراض المحصنات. وشدد النكير على زنى الزوج أو الزوجة لأنه اعتداء مباشر على النسل ومباءة للتخلط الجنسى ومثير لفوضى القرابة.

١- د. عبد الله الخريجى . علم الاجتماع العائلى ، ص ٣٧٩.

ورفع الإسلام مكانة المرأة وجعلها شخصاً يملك حريته والتصرف فيما يملك؛ جعلها شخصية كاملة فى الأسرة تدير مالها بنفسها أو بوكيلها وذمتها منفصلة عن ذمة أوليائها تمام الإنفصال. وفى الزواج ذمتها منفصلة أيضاً عن ذمة زوجها لها أن تتولى شئون أموالها بنفسها وليس للزوج عليها سلطان فى ذلك إلا بتوكيل منها. وهى كاملة الحرية فى أن تمنحه مثل هذا التوكيل ولها أن تعزله وتقاضيه.

حقاً إن الإسلام احتفظ للرجل بالقوامة على المرأة فى الأحوال التى يفضلها فيها من الناحية الطبيعية والاجتماعية. فإذا فقد الرجل هذا الفضل، فقد ذلك الحق ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾.

ونظم الإسلام شئون الميراث وجعل للزوجة والوالدين نصيباً منه ولم يكن لهم فى الجاهلية نصيب فيه. ونظم الهبة والايصاء (وخاصة الوصية لغير الوارث فى حدود ثلث التركة).

واهتم الإسلام بتقرير الحقوق والواجبات الزواجية. وبالغ فى الاهتمام بشئون الطفولة. وجعل حضانتهم حقاً للنساء (ما دامت المرأة لم تتزوج إذا طلقت) وقدم قرابة الأم على غيرها بصدد هذه الحضانة. وأوصى برعاية اليتامى والرفق بهم والمحافظة على أموالهم إن كان لهم أموال، والإنفاق عليهم إن لم يكن لهم عائل ودعا إلى التكافل الاجتماعى والتودد والتواصل ولاسيما بين ذوى القربى ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذوى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب﴾.

وأقر الإسلام نظام تعدد الزوجات وحدده ورسم أحكامه ووضح مقاصده وما يرتكز عليه من مفاهيم شرعية. كما شرع الطلاق وقيد عدد الطلقات والرجعات وجعله حقاً للرجل. ومع ذلك لم يهمل الإسلام جانب المرأة فى هذا الصدد فشرع نظام «الخلع» وأجاز للمرأة حق تطليق نفسها لاسيما إذا كانت العصمة فى يدها[1].

١- انظر د. مصطفى الخشاب . علم الاجتماع العائلى . ص ص ٢٩-٣١.

مراحل تكوين الأسرة فى الإسلام :

أباح المشرع لطالب الزواج أن يتعرف على ما اختارها شريكة لحياته الزوجية؛ وأن يتقدم لخطبتها أولاً. وأباح له أن يجلس معها وأن يتحدث إليها فى حضور محرم لها وذلك للوقوف على صفاتها العامة ومدى ثقافتها ومبلغ التفاهم والإنسجام معها. وحرم الشرع أن تتاح لهما خلوة على أى مظهر .. لما يترتب على الخلوة من آثار سيئة بالنسبة للمخطوبة والخاطب على السواء. وموقف الإسلام من الخطبة يعبر عن الوسط العادل الفاضل. فلا يذهب إلى درجة الجمود فيحرم رؤية الرجل لشريكة حياته، ولا يغالى فيجعل من الخطبة مرحلة مهاترات. فقد يعدل الرجل عن الخطبة (ومن حقه هذا) فتلحق المخطوبة أضراراً أدبية فى سمعتها بسبب خروجها المستمر مع خطيبها أو بسبب وقوع الخلوة الصحيحة بينهما. ويشترط فى الخطبة من الناحية الشرعية:

١- أن تكون المرأة ممن يحل زواجها للرجل.
٢- لا تصح خطبة سيدة متزوجة وفى عصمة زوجها.
٣- لا تصح خطبة امرأة مطلقة لم تنته عدتها.
٤- كذلك لا يصح خطبة المعتدة من وفاة خطبة صريحة، وإنما يجوز ذلك تلميحاً استناداً إلى قوله تعالى ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم، علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سراً إلا أن تقولوا قولاً معروفا﴾ (سورة البقرة آية ٢٣٥).
٥- لا يجوز للرجل أن يخطب امرأة سبقه الغير إلى خطبتها وتمت خطبتها له. إلا إذا عدل ذلك الغير عن الخطبة أو أذن له فى خطبتها. وفى هذا الصدد يقول النبى صلى الله عليه وسلم «لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن» والغرض من ذلك واضح وهو تلافى ما يقع من فتن بين الناس.

وليست الخطبة ملزمة للطرفين. فللرجل أن يعدل عن خطبته وللمرأة أن تعدل عن قبوله. ولا تعدوا الخطبة أن تكون وعداً بالزواج. والشريعة الإسلامية لاتعتبر الوعد بالزواج ملزماً باتمامه.

وفيما يتعلق بالهدايا أو المهر الذى يقدم فى مرحلة الخطوبة ولم يتم الزواج؛ فقد اختلف الفقهاء بصدد ذلك. فأبو حنيفة يرى أن الهدايا تسترد إذا كانت قائمة فى ملك المهدى إليه. وأما إذا خرجت من ملكه أو حصل فيها تغيير لاتسترد قيمتها. والمهر لابد أن يسترد كله؛ وإذا حصل تصرف فيه يسرد مثله. ويرى الإمام مالك أن الخاطب الذى يعدل عن الخطبة لا يسترد شيئا من الهدايا التى قدمها. وإذا كان هو الذى لم يعدل؛ فإنه يستردها إذا كانت موجودة أو يسترد قيمتها إذا لم تكن قائمة بعينها فى ملك المهدى إليه. وله أن يسترد مهره؛ أو ما يساويه من الجهاز إذا كانت المخطوبة قد أدخلته فى شراء أثاث لها تنفيذاً للوعد بالزواج.

ومن الطبيعى أن تترتب على فسخ الخطبة أضرار أدبية وأخرى مادية. وتتمثل الأضرار الأدبية فيما يثار من شائعات وأقوال تلوكها الألسنة لاسيما فى حالة الإسراف فى العلاقات ما بين الخطيبين. ولكن الشرع لايقيم وزناً لهذه الأضرار لأنه حدد القواعد والمتواضعات التى تستير فى ضوئها هذه المرحلة. وما يصيبها من انحراف فإنما يقع وزره على الخطيبين. أما الأضرار المادية ، إذا كان لها ما يبررها، فإنها تستحق التعويض.

عقد الزواج :

الزواج عقد يبرم بين الرجل والمرأة أومن يمثلهما يباح بمقتضاه لكل منهما الاستمتاع بالآخر على الوجه المشروع؛ وتترتب عليه مجموعة من الحقوق والواجبات لكل من طرفيه وقد أحاط الدين العقد بسياج متين وقدسية {وجعلناه ميثاقاً غليظا}.

وينطوى هذا العقد على ركنين أساسيين هما : الايجاب والقبول. والإيجاب هو ما يصدر أولاً من أحد المتعاقدين دالاً على إرادته واختياره فى إنشاء العقد ورغبته فى إتمام نفاذه؛ والقبول هو ما يصدر ثانياً من المتعاقد الآخر دالاً على موافقته موافقة صريحة ورضاه بما أوجبه الطرف الأول ورغبته فى ذلك.

وتكون صيغة العقد كتابة ولفظاً. ويصح انعقاده إشارة إذا تعذر على أحد العاقدين الإتيان باللفظ أو الابانة بعبارة صحيحة أو كان أخرس ولايحسن الكتابة.

وإذا كان يحسن الكتابة فلا ينعقد الزواج بالإشارة، وإنما يجب أن يكون كتابة لأن الكتابة أبلغ في الدلالة.

ويشترط في العاقدين أن يكون كل منهما أهلاً لمباشرة العقد؛ وتتحقق هذه الأهلية بالتمييز. فلو كان أحد العاقدين غير مميز بأن كان مجنوناً أو صبياً لا ينعقد الزواج. لأن العقد يعتمد على الإرادة والقصد من العاقد. وهذا لا يتحقق إلا في كامل الأهلية وسليم التصرف.

ولكن هل معنى ذلك أن الزواج لا ينعقد بالنسبة للشواذ كالمعتوه والمحجوز عليه؟ في هذا الصدد يقرر الشرع : إذا احتاج فاقد الأهلية أو ناقصها كالصغير والمجنون والمعتوه إلى الزواج؛ فالذي يتولى تزويجه هو الولي. فإن لم يكن له ولي خاص فالذي يتولى تزويجه القاضي. ورتب الشرع درجات العصبة والقرابة التي تتولى ولايه التزويج.

ويشترط في العاقدين أن يكون الزوج مسلماً بالنسبة للمسلمة. فلا ينعقد زواج المسلمة بغير المسلم. فهو عقد باطل لايترتب عليه أي أثر من الآثار التي تترتب على عقد الزواج الصحيح. فقد حدث في زمن عمر أن رجلاً نصرانياً من بني ثعلب أسلمت زوجته وأبى هو أن يسلم ففرق عمر بينهما.

ويشترط في عقد الزواج الشهادة عليه، ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : «لانكاح إلا بولي وشاهدي عدل، وما كان من نكاح على غير ذلك فهو باطل»، و يشترط في شهود العقد ما يأتي :

١- العقل : فلا تصح شهادة غير العاقل وغير المميز.

٢- البلوغ : لابد من توفر هذا الشرط في الشهود ولو كانوا مميزين ودون سن البلوغ.

٣- الحرية : لا يصح أن يكون الشاهد رقيقاً أو ابن أمة.

٤- الإسلام : إذا كان كل من الزوجين مسلماً، فلا يصح زواج المسلم بالمسلمة بشهادة غير المسلم. لأن الشهادة من باب الولاية، ولا ولاية لغير المسلم على المسلم. أما إذا كان الزوج مسلماً والزوجة كتابية فلا يشترط إسلام الشهود. فيصح زواج

المسلم بالمسيحية مثلاً بشهادة الكتابيين سواء كانوا من أهل دينها أم كانوا من أهل دين آخر.

٥- التعدد : ويتحقق ذلك بحضور رجلين أو رجل وامرأتين. فلا يصح الزواج بحضور رجل واحد سوى الزوجين أو من يمثلهما، ولا بحضور رجل وامرأة واحدة، ولا بحضور النساء وحدهن مهما كثر عددهن.

٦- فهم كلام العاقدين : فلا يصح الزواج الذى يعقد باللغة العربية مثلاً، بحضور شهود لا يعرفون العربية. لأن الحكمة من الشهادة فهم ما يدور فى العقد. كما لا يصح شهادة الأصم الأبكم إذ يتعذر عليه منطقياً ادراك كلام العاقدين.

ويشترط فى العقد أن تكون صيغته مؤبدة وغير مؤقتة بمدة. فإذا كان الزواج مؤقتاً بمدة طالت أم قصرت، معلومة أم مجهولة، كان العقد فاسداً . ويشترط فى صيغة العقد ألا تكون معلقة على شرط ولا مضافة إلى زمن مستقبل. فمثلاً إذا قالت المرأة للرجل تزوجتك على أن تسكننى بعيداً عن أهلك أو على أن تدفع لى مبلغا معيناً شهرياً، وكذلك إذا قال الرجل للمرأة تزوجتك بشرط كذا أو كذا وما أشبه ذلك؛ كان العقد فاسداً.

ويشترط لصحة الزواج ألا تكون المرأة محرمة على الرجل تحريماً فيه شبهة أو خلاف بين الفقهاء، فإن الزواج بها يكون باطلاً.

ومتى استوفى عقد الزواج الأركان والشروط الأساسية وتحققت فيه الأسس الأساسية التى أشرنا إليها كان تاماً ولازماً وترتبت عليه الآثار الآتية :

١- حق استمتاع كل من الزوجين بالآخر على الوجه المشروع والمأذون فيه شرعاً ما لم يمنع منه مانع شرعى كالحيض أو النفاس.
٢- وجوب المهر للزوجة على زوجها.
٣- وجوب النفقة بأنواعها المختلفة ما لم تمتنع الزوجة عن طاعة زوجها بدون حق. ففى مثل هذه الحالة لا تجب لها النفقة على الزوج.
٤- ثبوت نسب الأولاد من الزوج وثبوت حرمات المصاهرة.

٥- ثبوت التوارث بين الزوجين إذا مات أحداهما فى حال قيام الزوجية أو ما فى حكمها ما لم يوجد مانع من موانع الميراث المقررة فى الشريعة الإسلامية.

٦- تحديد نطاقات التحريم فى الزواج أو ما يسمى نكاح المحارم. ويصدد المحرمات فى الإسلام فهن قسمان :

أ- قسم يحرم الزواج بهن حرمة مؤبدة لا تزول فى حال من الأحوال لأن السبب المقتضى للتحريم غير قابل للزوال كالأمومة والبنوة والأخوة. والمحرمات حرمة مؤبدة هن المحرمات بسبب القرابة والمصاهرة والرضاعة .

ب- قسم يحرم الزواج بهن حرمة مؤقته لأن السبب المقتضى للتحريم غير دائم: فيبقى التحريم ما دام سببه قائماً؛ فإذا زال انتهى التحريم. والمحرمات بصفة مؤقته كثيرات أشهرهن :

(١) المرأة التى تكون فى عصمة رجل آخر.

(٢) المرأة التى تكون فى العدة من طلاق أو وفاة.

(ج) المطلقة ثلاثاً بالنسبة لمن طلقها. فلا تحل له إلا إذا تزوجت شخصاً آخر ثم طلقها هذا الأخير.

(د) أخت الزوجة وكل من كانت محرماً لها (عدم الجمع بين الأختين).

(هـ) المرأة الخامسة بالنسبة لمن له أربع زوجات. فلا يحل لمثل هذا الرجل أن يعقد زواجاً خامساً إلا إذا طلق إحدى زوجاته وتمت عدتها.

(و) المرأة المشركه التى لا تدين بدين سماوى. فالإسلام يحرم الزواج بالمشركات.

تعدد الزوجات :

يبيح الإسلام التعدد، وقد أشرنا إلى هذا النظام ونحن بصدد الحديث عن مشكلات الأسرة. والحق أن الإسلام لم يبح التعدد؛ ولكنه قيد هذا التعدد، بحيث لا يتعدى أربعة، وبشرط أن يتحقق أمران.

أولهما – العدل بين الزوجات يقول الله سبحانة وتعالى ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت إيمانكم ذلك أدنى ألا تعدلوا﴾ وثانيها – القدرة على الإنفاق: فإذا لم يكن عند الإنسان من أسباب الرزق ما يستطيع معه الإنفاق على أكثر من زوجة واحدة فلا يحل له شرعاً الزواج بأخرى.

الطلاق :

الطلاق تصرف شرعي يصدر من الزوج أو من يقوم مقامه تنتهى به رابطة الزوجية فى الحال أو المال. وبالرغم من مشروعيته فإنه أبغض الحلال إلى الله. ولذلك كان هذا التصرف هو آخر اجراء يلجأ إليه إذا تعذرت الحياة الأسرية وأصبحت لاتطاق. ونظراً لخطورة هذا التصرف رسم الشرع مراحل لاصلاح ذات البين قبل الإقدام عليه «تزوجوا ولا تطلقو فإن الطلاق يهتز له عرش الرحمن (الحديث)» وهذه المراتب تبدو فى الآية الكريمة : ﴿واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع، واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾. ﴿وإن إمرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً، والصلح خير، وأحضرت الأنفس الشح، وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ (النساء ١٢٨). ﴿وإن خفتم شقاق بينهما ، فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيرا﴾ (النساء ٣٥).

ويملك الرجل بمقتضى عقد الزواج ثلاث طلقات لا يطلقها دفعة واحدة بل يطلقها مرة بعد أخرى، وإذا أتم الطلقات الثلاث لاتحل له زوجته إلا بعد أن تتزوج زوجاً آخراً ويدخل بها ويعاشرها معاشرة الأزواج ثم يطلقها أو يموت عنها وينقضى عدتها منه.

ولذلك ينقسم الطلاق إلى قسمين :

طلاق رجعى وطلاق بائن :

والطلاق الرجعي هو الذى يملك الزوج بعده إعادة المطلقة إلى الزوجية من غير حاجة إلى عقد جديد ما دامت فى العدة رضيت أم لم ترض.

وأما البائن فهو نوعان : بائن بينونة صغرى، وبائن بينونة كبرى، فالبائن بينونة صغرى هو الذى لا يستطيع الزوج بعده إعادة المطلقة إلى حياته الزوجية إلا بعد عقد جديد.

والبائن بينونة كبرى هو الذى لا يستطيع بعده إعادة المطلقة إلى الزوجية إلا بعد أن تتزوج برجل آخر زواجاً صحيحاً ويدخل بها دخولاً حقيقياً ثم يطلقها أو يموت عنها وتنقضى عدتها منه. فالطلاق بالبائن بينونة كبرى هو الطلاق الثالث.

والطلقة الثالثة تحرم الزوجة على زوجها السابق حرمة مؤقته تنتهى بزواجها من غيره زواجاً صحيحاً ثم تنتهى هذه الزوجية بطلاق أو وفاة وتنقضى فترة العدة. فلهما أن يتزاوجا من جديد إن أراد أن يقيما حدود الله ويعيشا عيشة مرضية.

ويكون الطلاق بائناً بينونة صغرى إذا لم يكن ثلاثاً ولا مكملاً للثلاث. وبمقتضاه يستطيع الزوج إعادة مطلقته إلى حياته الزوجية بعقد ومهر جديدين ويقع فى الحالات الآتية :

١- أن يكون قبل الدخول الحقيقى حيث لا تجب العدة، وإذا لم تجب العدة فلا سبيل للمراجعة. لأن مراجعة الزوج لزوجته لاتكون إلا فى العدة. ولذلك اعتبر الطلاق قبل الدخول بائناً بينونة صغرى وكذلك الطلاق بعد الخلوة الصحيحة إذا لم يحصل دخول حقيقى بالزوجة. فإنه طلاق بائن. والعدة واجبة على المرأة المطلقة فى هذه الحالة. وقد فرضت العدة فى مثل هذه الحالة للإحتياط فقط وليست حقاً لمراجعة الزوجة.

٢- أن يكون الطلاق على مال. فإذا طلق الرجل زوجته فى نظير مال أخذه عوضاً عن الطلاق؛ كان طلاقاً بائناً، لأن المقصود من دفع المال أن تملك المرأة أمرها وتمنع زوجها من مراجعتها بدون رضاها. ولا يتحقق لها ذلك إلا بالطلاق البائن.

٣- الطلاق الذى يوقعه القاضى بناء على طلب الزوجة إذا كانت بسبب عيب فى الزوج أو الشقاق الفاضح وسوء المعاشرة أو التضرر لطول غياب الزوج أو حبسه، لأن

الالتجاء الزوجة إلى القضاء لايكون إلا لدفع الضرر عنها وحسم النزاع بينها وبين زوجها.

ولا يتحقق هذا إلا بالطلاق البائن الذى لا يملك الزوج أن يعيد زوجته إلى حياة الزوجية إلا برضاها.

وحكم الطلاق فى الحالات المشار إليها أنه يزيل حق الاستمتاع بالزوجة فى الحال بمجرد صدوره. ولا يبقى للزوجية أى أثر سوى العدة وما يتعلق بها من أحكام. فلا يحل للزوج أن يستمتع بزوجته أو يختلى بها، ولا يكون له الحق فى مراجعتها بدون عقد جديد. وللزوج أن يعقد على مطلقته مرة أخرى فى أثناء العدة. أو بعد انقضائها بدون حاجة إلى أن تتزوج برجل آخر. وبهذا الطلاق يحل مؤخر الصداق المؤجل إلى أحد الأجلين وهما الطلاق أو الوفاة. ويمنع التوارث بين الزوجين فإذا مات أحدهما خلال العدة لايرثه الآخر وينبغى أن نشير إلى أن الطلاق لعدم الإنفاق والإعسار أو لغيبة الزوج دون أن يترك لها مالاً تنفق منه، فإنه يكون رجعياً . ومع ذلك لا تجوز الرجعة إلا إذا أثبت الزوج زوال السبب الذى أفضى إلى التفريق بأن يثبت أنه أصبح قادراً على الانفاق أو يقدم كفيلاً بالنفقة.

الخلع :

الخلع هو الطلاق على مال . وشرع لتفتدى المرأة نفسها من زوج لاتريد البقاء معه. فللرجل أن يعتاض (يعوض) عما أنفقه من أموال فى زواجه. وينبغى ألا يزيد العوض المالى الذى تدفعه الزوجة فى سبيل تطليقها عما قدمه الرجل من مهر. فلا يحل له أن يأخذ الزيادة. ويقول بعض الفقهاء بأنه لا يحل للرجل أن يأخذ شيئاً إذا كان النفور من جانبه، أما إذا كان النفور من جانبها فلا يحل له أن يأخذ أكثر مما أعطى.

ويجوز للرجل أن يجعل للمرأة حق تطليق نفسها من غير أن يتنازل عن حقه فى ذلك بمعنى أن يفوض لها أمر طلاق نفسها. ويكون ذلك عند إنشاء عقد الزواج فيجعل عصمتها بيدها ولها أن تطلق نفسها فى أى وقت تشاء طلقة واحدة رجعية. ويصح للرجل أن يمنح زوجته التفويض فى تطليق نفسها أثناء حياته الزوجية[1].

١- د. مصطفى الخشاب. علم الاجتماع العائلى ص ص ٢٤٩-٢٧٧.

الفصل الحادى عشر
الأسرة والتربية

لايتميز مصطلح التربية Education كثيراً من مصطلح التنشئة الاجتماعية Socialization. فمن الناحية التاريخية تعنى التربية تدريب الصغار تدريباً واعياً حتى يتكيفوا مع المجتمع، وذلك بتحويل المخلوق إلى إنسان اجتماعى يعرف حقوقه وواجباته، وحقوق الغير، ويتكلم بالوسائل الرمزية بدلا من الإشارات والمصطلحات التى تستخدمها الحيوانات، وهى بعث القيم والمعارف واستمرارها وبقائها.

ويتمثل ذلك فى مجتمعات ما قبل التاريخ والمجتمعات البدائية والمجتمعات الأمية، حيث يكون التعليم غير رسمى، ويتولى الأقارب والآباء والإخوة والأخوات نقل القيم والمهارات للصغار. فبدون تدخل هؤلاء الأقارب يصبح الفرد كتلة من الهمجية، عارياً بدون ملابس، ولايعرف لغة ولا ديناً، أو معايير اجتماعية.

وتعنى التربية بالمفهوم الحديث التدريب الرسمى عن طريق المدرسة والمتخصصين، وهى التى تحول الطفل الفلاح إلى موظف، والفلاح إلى محامى، والمهاجر الايطالى إلى أمريكى، والجاهل إلى متعلم.

كلا المفهومان - يعنى إعداد الفرد ليكون عنصراً صالحاً فى المجتمع. فكل حدث وكل تجربة يمر بها الطفل عملية تربوية. ومن ثم فهناك تربية رسمية، وتربية غير رسمية. وعلى ذلك تعرف التربية بأنها نقل تقاليد المجتمع وعادات ومهاراته - أى ثقافته عموماً - إلى أعضائه الجدد، ذلك أن بقاء المجتمع ذاته يتوقف على نقل تراثه إلى الصغار يقول عنها «جون دجوى»[١]. أستاذ الاجتماع الأمريكى: «اعتقد إعتقاداً جازماً أن التربية هى الوسيلة الأساسية للتقدم الإنسانى، وأنها الأساس التى يجب أن يقوم عليه كل إصلاح اجتماعى».

وتستهدف التربية أن تجعل من الطفل إنساناً كبيراً لايختلف عن عالم الراشدين المحيطين. فهناك فروق بين نمو الطفل بالمنزل، ونموه فى دور الحضانة من حيث ضبط

١- السيد محمد بدوى . مبادئ علم الاجتماع ص ص ٣٥٦ - ٣٥٧.

العضلات، ونمو الكلام، وتكوين عادات الأكل.

والمدرسة هى وسيلة المجتمع، والمدرس أداته، للأخذ بيد الطفل أثناء نموه، والزج به فى التراث الثقافى الهائل ليصاغ ويتشكل . والتعليم هو وظيفة المدرس الأساسية، فهى تمده بالمعلومات والمهارات التى سوف يحتاج إليها لكى ينجح فى الحياة، فهى تعمله القراءة والكتابة والحساب، وتاريخ ميلاده.

وتنمى المدرسة عقل الطفل، وحواسه الخمسة، والتى هى أداة الحصول على المعرفة، كذلك فهى تصقل اتجاهاته وميوله، وتنمى شخصيته وإدراكه وخياله، وتحرره من المنزل، ومن الاعتماد على الغير، كما تعلمه مسئوليات المواطن وترشده إلى اختيار وظيفته فى المستقبل.

وتحقق المدرسة للطفل النضج الانفعالى والصحة النفسية والتوافق الشخصى والاجتماعى. فالمدرسة تستطيع أن تقوم بدور مؤثر فى مواجهة حاجات التلاميذ النفسية والاجتماعية، وذلك بما توفره للتلاميذ من أنشطة وخبرات مختلفة. كذلك فهى تعطيه القدرة على ضبط النفس وتقدير انجازاته[١].

وتستطيع المدرسة كذلك علاج السلوك المضطرب والمنحرف لبعض التلاميذ، وذلك بتقوية دافع الانتماء لديهم، وتصحيح مسار سلوكهم بمساعدتهم على تقبل أنفسهم، وتقبل الجماعة بقيمها ومعاييرها وقواعد سلوكها.

كذلك فإن التربية من أهم وظائف الأسرة لأنها تنطوى على عملية ترويض الكائن البشرى ليصبح مواطناً صالحاً .

والتربية سواء كانت فى المنزل أو فى المدرسة لا تثمر الثمرة المرجوة إلا إذا توافرت عدة عوامل، لعل أهمها : توفير العناصر الضرورية للحرص على مقومات الطفولة، وتوفير الأمن للطفل واستقراره المنزلى، والعمل على معالجة حالات التوتر فى محيط الأسرة وإنقاذها من عوامل التفكك والانهيار.

1- See Valeriya Mukhina, Growing up Human, p. 26.

وانظر د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان. الطفل – دراسة فى علم الاجتماع النفسى. ص ٩٧.

والتربية عملية شاقة نظراً لأن مدة الطفولة عند الإنسان طويلة إذا ما قورنت بغيرها من صغار الحيوانات الأخرى. ولذلك ينبغى أن توفر الدولة للأسرة مزيداً من القدرات، حتى تستطيع أن تقوم بوظيفتها التربوية خير قيام، لأن البيت هو الخلية الأولى التى يتلقى فيها الطفل مقومات الحضارة البشرية، وهو المدرسة الأولى.

ويختلف مجال ومدى مستوى التعليم، وما يصاحب ذلك من تباين فى المصالح والعادات والأذواق والأنشطة التى يقوم بها الأفراد من مجتمع إلى آخر. ففى الدول الغربية يتسم التعليم بأنماط من القيم الأساسية. وفى المجتمعات السياسية التقليدية البسيطة يتضاءل تقسيم العمل، ويقوم ممثلو الجماعة بمجموعة من الأدوار : دينية ، واقتصادية، وسياسية فى نفس الوقت. ومن ثم لا تظهر الأدوار السياسية المتخصصة.

وفى الريف، يترك أطفال القرية بيوتهم، ويتعلمون فى مدارس المدينة لاكتساب قيم ومهارات. ويرجع هذا إلى اختلاف مستوى التعليم فى القرية عنه فى المدينة. ويتبدى ذلك بدرجة كبيرة فى المجتمعات النامية أكثر منه فى المجتمعات المتقدمة[١].

وتختلف النظرة إلى التعليم فى أيامنا هذه عما كانت عليه فى الماضى. فنسق المدرسة فيما مضى كان يستهدف مواطنين تتشابه آراؤهم، ويتأثرون بطابع واحد. بينما تستهدف المدارس فى عصرنا الحالى تكوين الشخصية، وتشجيع التلاميذ على توسيع مداركهم وآرائهم.

وهكذا فمدارس اليوم ذات أهمية كبرى للحكومة الديمقراطية التى تتخذ قراراتها فى ضوء المناقشة وتبادل الآراء[٢]، حيث يعتبر الفرد نفسه عضواً فى النظام الحكومى، عليه واجبات وله حقوق، ويتسابق من أجل معرفة نسقة السياسى، وله مساهمته فيه، يشارك فى الإنتاج، ويدرك ذاته كممثل سياسى مستهدفاً بذلك المشاركة فى الحكم، وتقييم ونقد العمل السياسى على كافة المستويات.

1- See Morton Davies R. & Vaughan Lewis, Social Mobility and Political change , P. 96. & See Fred Riggs W., Bureaucray and Political Development in Joseph la Palombara(Ed.), Bureaucracy and Political Development , p. 135.

2- N.C. Dexter & E.G. Rayer, Guide to Contemporary Politics, P. 13.

وقد ثبت وجود ارتباط بين التعليم وسن الزواج. فكلما انتشر التعليم وازداد اتساعا تأخرت فرصة اختيار الزوجة كلما ارتفع مستوى الرجل الثقافى والاقتصادى، وارتفعت مكانتة الاجتماعية، وكان يتمتع بسمعة حسنة وبيئة اجتماعية ذات سمعة طيبة ايضاً.

أما المرأة فعلى العكس من ذلك، فكلما ارتفع مستواها التعليمى والثقافى كلما قلت فرصتها فى الزواج، إلا إذا كانت قد تزوجت قبل التعليم والحصول على الشهادة. أما إذا بقيت دون زواج حتى حصولها على الشهادة الجامعية وما بعدها، فإن فرصتها فى الزواج تقل عن الفتاة العادية التى لم تنل هذا الحظ الكبير من التعليم.

ويرتبط التعليم بارتفاع وانخفاض معدل الطلاق، إذ يرى بعض علماء الاجتماع أن إقبال المرأة على طلب العلم وتحررها الاجتماعى والاقتصادى، قد ولد لديها شعوراً قوياً بالتمرد على سلطة الرجل التقليدية، ولكن تبين عند محاولة التحقق من هذا الإفتراض على المجتمع المصرى أن ٧٣,٩٪ من حالات الطلاق تقع بين الأميين . وأن ٣٤,٩٪ منها تقع بين الأميات، فإن هذا يعنى أن كلما زاد حظ الزوجة أو الزوج من التعليم، إزدادت مسئولياتها نحو أسرته، وكان أكثر تردداً فى قبول هدمها وطلب الطلاق . ويتفق هذا مع ما ذهب إليه بعض علماء الاجتماع من أن المتعلمين والمتعلمات أكثر نفوراً وكرهاً للطلاق، وأكثر من غيرهم كذلك فى تحمل الالتزامات الأسرية.

وقد كان من المعتقد أن حصول المرأة المصرية على حقها فى التعليم والعمل سوف يعطيها الحرية الكاملة للتعبير عن ذاتها، وتأكيد شخصيتها أمام زوجها المتوحد مع قيم تؤكد سيطرة الرجل وسيادته. مما يؤدى بالحياة الزوجية إلى الانحلال والطلاق، إلا أن البيانات الاحصائية تؤكد عكس ذلك حيث تبين أن الطلاق أكثر حدوثاً بين الأميات وأقل وقوعاً بين المتعلمات . هذا إلى أن التجربة الثانية فى الزواج تبين أنها أكثر تعرضاً للفشل بين الأميات من غيرهن نتيجة للتسرع وعدم تلافى الاخطاء التى وقعت فى الزواج السابق. فضلاً عن أنها تتم أحياناً بسرعة؛ لإغاظة الزوج السابق. أما التجربة الثانية فى الزواج بين المتعلمات فإنها تكون أكثر استمراراً ولا نقول أكثر نجاحاً . كذلك تبين أن المطلقين يتشابهون مع المطلقات، حيث يكون الطلاق أكثر وقوعاً بين الأميين وممن يعرفون القراءة والكتابة وتتعرض الزيجة الثانية عندهم للفشل إذا قورنت بالزيجة الثانية عند المتعلمين.

الفصل الثانى عشر
الأسرة والصحة

تعتبر الصحة هدفاً من أهداف التنمية والتطور الاجتماعى والاقتصادى. وهى حق أساسى لجميع الشعوب. وقد عرفت منظمة الصحة العالمية - الصحة بأنها كون الإنسان سليماً تماماً من الناحية البيولوجية والعقلية والاجتماعية. فالشخص الذى يتمتع بصحة جيدة Healthy Person يستطيع إنجاز واجباته وأدواره الاجتماعية، ويستطيع التكيف مع البيئة التى يعيش فيها. كما أنه لا يشكو من أى عرض من أعراض المرض.

أما المرض فهو يأتى نتيجة الإحساس ببعض العلامات أو الأعراض، ويحتاج المريض فى هذه الحالة إلى من يملك سلطة تقرير ما إذا كان هذا المرء مريضاً أم لا.

وعلى ذلك فالصحة هى حلول الكفاءة البدنية والنفسية والاجتماعية الكاملة. وليست مجرد الخلو من المرض، أو العاهة، واكتمال صحة الإنسان تجئ من طريق اكتمال النواحى الآتية :

١- اكتمال النواحى البدنية :

وهى أن تؤدى جميع أعضاء الجسم للإنسان وظائفها بصورة طبيعية، والتوافق مع أعضاء الجسم الأخرى. ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا كانت إعضاء الجسم سليمة من أى مرض أو خلل أو إصابة . وعندما تعمل أعضاء الجسم بصورة سليمة يشعر الإنسان بالحيوية والنشاط.

٢- اكتمال الناحية النفسية :

هى أن يكون الإنسان فى سلام مع نفسه وأن يكون متمتعاً بالاستقرار الداخلى، وأن يكون قادراً على التوفيق بين رغباته وأهدافه وبين الحقائق المادية والاجتماعية والإنسان الذى لا يستطيع أن يعيش بسلام مع نفسه لايمكن وصفه بأنه يتمتع بالصحة.

٣- اكتمال الناحية الاجتماعية :

وهي قدرة الإنسان على تكوين علاقات اجتماعية مقبولة مع الناس وأن يكون للإنسان دخل مناسب لتحقيق الحياة الصحية السليمة من مسكن صحي وملابس مناسبة لفصول السنة وغذاء صحي.. إلخ. ولذلك فإن عدم المقدرة على معاشرة الآخرين هو مرض ينبغي علاجة حتى لو كان صاحبه له قوة عضلات ولا يشكو من مرض.

ويرى علماء الاجتماع أن هناك الكثير من السمات الديموجرافية مثل العمر والجنس والحالة الاجتماعية التى تتأثر وتؤثر فى صحة الأفراد، كما أن العوامل الثقافية أيضاً تؤثر فى الإحساس بالصحة والمرض. كما تؤثر المعايير الاجتماعية كذلك فى الصحة. فالجماعات العرقية Ethnic Group يختلف استجابتها للمرض من جماعة إلى أخرى، حيث أن لكل مجتمع من المجتمعات نمط خاص به من الثقافة. ولذلك نجد أن تعريف المرض يختلف من مجتمع لآخر حسب نمطه الثقافى. وكما أن أى تطوراً اجتماعى فى هذا المجتمع إنما يعنى تطور فى التصور الثقافى للمرض، فمثلاً فى المجتمعات القديمة نجد أنهم كانوا يعرفون المرض بأنه قوى أو روح شريرة تهاجم الشخص وتسكن داخل جسمه وتسبب له الآلام وربما الموت. أما فى القرون الوسطى فكان يعرف المرض على أنه عقاب للإنسان نتيجة لارتكابه إثم من الآثام، وأن العناية بالمريض فى هذه الحالة تكون عن طريق الابتهالات الدينية وذلك كشفاء المريض. أما اليوم فالمرض يعرف بأنه حالة من المعاناة تكون نتيجة لمرض.

كما يعتبر التدرج الاجتماعى من أهم العوامل التى تؤثر فى التعريف الاجتماعى للصحة والمرض. فنجد مثلاً أن الأفراد الذين ينتمون إلى الطبقة الاجتماعية الدنيا أقل استجابة لأعراض المرض لأنهم يرون أن هذه الأعراض تحتاج منهم الذهاب إلى طبيب لتحديد ما إذا كانوا مرضى فعلاً أم لا ، وهذا ربما يكلفهم أموالاً أو على الأقل تضطرهم إلى أخذ أجازة من العمل ربما هم فى حاجة إلى هذا العمل نتيجة للمسئولية التى يتحملونها.

ويرى البعض أن العمليات الاجتماعية تلعب دورا هاما فى أسباب المرض سواء كان هذا المرض مرض فيزيقى أو عقلى. فإذا نظرنا إلى بعض الأمراض التى تظهر فى المجتمع، ينظر إليها على أنها أمراض خطيرة كالسرطان أو بعض أمراض القلب نجد أن كثيراً من هذه الأسباب اجتماعية فالطعام المدخن يكون السبب الرئيسى مثلاً فى سرطان المعدة.

وبرغم أننا نجد أن هذا النموذج من المرض والتى تكون أسبابه اجتماعية محدود إلى حد ما فقد تلعب العوامل الاجتماعية دوراً مؤثراً فى استهلاك الكحول أو فى تدخين السجائر أو فى السلوك الجنسى، ولكن هذه العوامل لا يمكن أن تلعب نفس هذا الدور فى أسباب بعض الأمراض مثل أمراض الكبد. كما أن معرفة الفرد بالدور الذى يمكن أن تلعبه البيئة فى أسباب بعض الأمراض يمكن أن يجنبه الكثير منها.

مقاييس مستويات الصحة :

يعتمد مستوى المعيشة فى المجتمع على مكونات أساسية وصفتها إحدى لجان هيئة الأمم بأنها الطعام، والتغذية، وأحوال العمل وحالة عماله، والإسكان، والمواصلات، والضمان الاجتماعى، التعليم، الاستهلاك، الإدخار، الترويح والترفيه، والحرية الإنسانية.

وهذه المقاييس نسبية، تتغير ظروفها من مجتمع لآخر، وترتبط بعضها ببعض. ويؤكد هذا مقارنة مجموعة الدول النامية بمجموعة الدول المتقدمة، فتجد التفاوت واضح بين النواحى الاجتماعية والاقتصادية من ناحية، والنواحى الصحية من ناحية أخرى.
أما مؤشرات ومقاييس المستوى الصحى، فهى :

١- مقاييس إيجابية : وتشمل معدل المواليد والخصوبة وطول العمر المتوقع.
٢- مقاييس الوفيات : وتشمل معدل الوفيات الخام ومعدل الوفيات من الأمراض النوعية، ومعدلات الاجهاض والمواليد الموتى.
٣- مقاييس الأمراض وتشمل المعدل العام للإصابة والانتشار ومعدل الأمراض النوعية.

٤- مقاييس الأمراض الاجتماعية : وتشمل الإنحراف والجريمة والفقر الشديد وإدمان المخدرات والتعصب العنصرى.

ويرجع إنتشار الأمراض فى أى مجتمع إلى عدة عوامل منها :

١- سوء البيئة الصحية فى المجتمع.

٢- العادات الصحية السيئة.

٣- عدم التطعيم ضد الأمراض.

٤- عدم الاكتشاف المبكر للمرض.

ولذلك فإن برامج التربية الصحية ينبغى أن تستهدف نشر الحقائق الصحية بكيفية حدوث العدوى بالأمراض، وطرق الوقاية منها، ومكافحتها، وتوعية المواطنين.

ولقد تم السيطرة على كثير من هذه الأمراض المعدية فى مصر نتيجة انتشار التطعيم ضد هذه الأمراض، ولكن لايزال حتى الآن بعضها يشكل مشكلة صحية خاصة بالأمراض التى تتعلق بسوء البيئة الصحية، أو الأمراض التى لا يوجد بها تطعيم مثل مريض التهاب الكبد الوبائى ويمكن القضاء على هذه الأمراض عن طريق تحسين البيئة الصحية وزيادة الوعى الصحى بين الجماهير.

وهنا يمكن تحديد عوائق برامج الصحة العامة فيما يلى :

أ- عوائق ثقافية : ومن أمثلتها التقاليد وهى القيم الثقافية المتوارثة تعمل على الحفاظ على القديم والتمسك بما كان يعتقد فيه الآباء والأجداد وهى قوى تعوق كل ما هو جديد وتقف حجر عثرة فى سبيله، ومن أمثلتها ايضاً القدرية والتمركز الذاتى للثقافة.

ب- عوائق اجتماعية : ومن أمثلتها قوة تماسك الجماعة، الالتزام بين أفراد الأسرة ، الإلتزام بين الأصدقاء.

جـ- عوائق نفسية : ومن أمثلتها التفاوت في الإدراك، التفاوت في اللغة ويقصد بالتفاوت في الإدراك أن الأفراد أو المجتمع يختلف إدراكهم للأمور عن إدراك القائمين ببرامج الصحة العامة مثل : الطبيب يدرك أن الذباب حشرة ناقلة للكثير من الأمراض المعدية، مثل التيفود، ولكن الفلاح العادي يدرك أنها كائن حي خلقه الله فبالتالي لايقوم بمكافحتها.

ويبدو تأثير الأنماط الاجتماعية والثقافية على الصحة في الآتي :

١- الجهل ونقص المعرفة : فشرب اللبن غير المعقم يؤدي إلي حمى، وشرب الماء الملوث يؤدي إلى الدوسنتاريا والتهاب الكبد.

٢- المركز الاقتصادي، فالتخمة وزيادة المواد الدهنية تؤدي إلى السكر وتصلب الشرايين، والسكن في أماكن قذرة يؤدي إلى الإصابة بالسل.

٣- المعتقدات الدينية مثل عبادة البقر لدى بعض الشعوب يؤدي إلى نقص في التغذية.

٤- البيئة : فنقص اليود يؤدي إلى الإصابة بالغدة الدرقية ونقص الفلور يؤدي إلى تسويس الأسنان.

٥- الأوضاع غير الملائمة للمعيشة : مثل الأفراد في القناعة والتواكل يؤدي إلى مرض السل، الإشباع في الأكل يؤدي إلى مرض التخمة، ممارسة الالعاب الرياضية يؤدي إلى هبوط في القلب.

٦- الوظيفة أو المهنة : فالعمل في الحقل الذرى تؤدي إلى الإصابة بأمراض الإشعاعات والعقم ، والطلاء، مما يؤدي إلى التهاب المخ[1].

١- انظر د. السيد عبد العاطي السيد وآخرين . دراسات في علم الاجتماع العائلي . ص ص ٣١٤-٣٢٢.

ولصحة الأسرة دور هام فى سلامة الأفراد ورفاهيتهم . وهى شرط أساسى للنهوض بالمجتمع، إذ أن الصحة تشمل بجانب سلامة الجسم والنفس والعقل والتوازن الاجتماعى للفرد وليس فقط خلوه من الأمراض والعاهات.

والواقع أن «البيئة» التى تعيش فيها الأسرة لها أثر كبير على نواحيها المختلفة، والمقصود «بالبيئة» هو كل ما يحيط بالإنسان سواء كان ذلك من العوامل الطبيعية أو البيولوجية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية أو غير ذلك، فالبيئة الصالحة تعكس أثرها الطيب الحسن على نشأة الإنسان وتكوينه والعكس بالعكس.

هذا وقد ينتج عن تحضر الإنسان بيئة غير صالحة أو ضارة. ويعتبر الهواء البيئة المباشرة التى تحيط بالإنسان فى أى مكان والتى لا يمكن لأحد الإستغناء عنها ولو لفترات قصيرة، فالإنسان يمكنه أن يعيش بغير غذاء بضعة أسابيع، وبدون ماء بضعة أيام وبدون هواء أقل من خمس دقائق، لذلك فإن استنشاق الهواء النقى ضرورى لحياة الإنسان ولاستمرار عمليات الجسم الفسيولوجية المختلفة. ومن أهم أسباب فساد الهواء وجود الأتربة والدخان، وفى الهواء الفاسد تقل نسبة غاز الاكسجين أو تزيد نسبة بخار الماء ومن المحتمل أن توجد به غازات ضارة بالصحة مثل أول أكسيد الكربون. وقد يتلوث الهواء من وجود ميكروبات أو فطريات وهى تسبب الأمراض المعدية التى تنقل عن طريق التنفس وتكون موجودة بكثرة انتشار الزحام وفى الغرف التى تكون تهويتها غير جيدة .. وبرغم هذا فهناك عوامل طبيعية تساعد على نقاوة الجو مثل أشعة الشمس التى تقتل الميكروبات، والرياح التى تساعد على حركة الهواء وتجديده.

كذلك يجب أن يكون المسكن الذى يأوى إليه الإنسان مع أسرته صحى ومستكملاً للشروط الصحية فيكون مصدر مساعد على توفير الراحة والطمأنينة والصحة لأفراد العائلة، فالمسكن الصحى تقل فيه نسب الأمراض والحوادث . ويلزم أن يحتوى المسكن الصحى على : عدد حجرات مناسب لأغراض الحياة، وأن تتوافر فيه الإضاءة الطبيعية والصناعية بالقدر الكافى والتهوية السليمة.

وإذا كانت بعض الأسر تميل إلى تربية الحيوانات المستأنسة كالقطط والكلاب لابد في هذه الحالة العناية بنظافتها والاهتمام بغسل الأيدى بعد التعامل معها وتخصيص مكان لنومها، وإذا مرض الحيوان يلزم عرضه على الطبيب البيطرى إذ أن بعض الأمراض التى تصيب الحيوانات تنتقل إلى الإنسان، كما يجب الاهتمام أيضاً بالقضاء على الحشرات المنزلية كالذباب والقمل والبراغيث والصراصير والبق والفئران حيث أنها تنقل بعض الأمراض إلى الإنسان.

كما نعتبر «التغذية الصحيحة» من أهم العوامل لحفظ الصحة وهى مصدر هام لاستمرار الحياة والنمو والحركة كما أنها مصدر للطاقة والحرارة - لذا يلزم أن ينال أفراد العائلة ما يحتاجونه من الغذاء المتوازن الذى يفى احتياجاتهم، فالطفل النامى يختلف فى احتياجاته عن الشخص البالغ، كما تختلف احتياجات البالغين كل حسب نوع العمل الذى يقوم به والنشاط والحركة الذى يؤديه، ولا تتوقف كمية ما يحصل عليه الفرد من مواد غذائية على كمية ما يتناوله من أغذية ولكن يتوقف ذلك على نوع الغذاء ومقدار ما يحتوى من العناصر المختلفة اللازمة للجسم وعلى مدى استفادته منه.

والمرض المزمن لزوجة له نفس الآثار المادية والعاطفية، واضطرابات مادية ناشئة عن نفقات العلاج من جانب وعن سوء التدبير الذى يصيب الأسرة بعد مرض الزوجة من جانب آخر، وإذا طال المرض وعجزت المرأة عن المعاشرة الجنسية قد يلجأ الزوج إلى الزواج بأخرى أو يطلق الزوجة المريضة وبذلك تتعرض الأسرة إلى التصدع والتفكك، كما ينتج عن مرض الزوجة حرمان الأطفال من مصدر الحب والعطف والحنان مما يدفعهم إلى البحث عن الأشباع العاطفى خارج الأسرة فيتشردون أو ينحرفون...

وقد تؤدى بعض الأمراض إلى العقم فى الرجال والنساء وهذا يؤثر فى العلاقات الأسرية نتيجة تلهفها على إنجاب الأطفال، مما قد يدفع الزوجة إلى طلب الطلاق فى سبيل البحث عن الإنجاب مع زوج آخر.. كما أن بعض الأمراض التى قد تصيب الجهاز العصبى تجعل المريض ضيق الصدر سريع الاستثارة الأمر الذى ينشأ عنه الأزمات فى الأسرة ويؤثر فى قدرة الوالد على رعاية أولاده رعاية سليمة، وبعض

الأمراض تؤثر على القدرة الجنسية للزوج فتسبب له العنة أو تؤدى إلى البرود الجنسى عند المرأة مما يساعد على سوء التوافق العاطفى والجنسى بين الزوجين وتهدد كيان الأسرة للإنهيار.

وتؤثر العاهات الجسمية تأثيراً سيئاً فى العلاقات الزوجية فقد تؤدى إلى الإحساس بالعار أو الشعور بالنقص مما يؤدى إلى اخفائه وراء أفعال الغير دون حق، أو التمادى فى إظهار الضعف أو العدوان على المجتمع أو القصور الاقتصادى واستدانة الأسرة وارتباكها مالياً أو قد يدفع ذلك إلى حرمان الأطفال من التعليم وهم صغار والحاقهم بأى عمل لسد رمقهم.

كما أن الإصابة بالعاهة يؤدى إلى التشكك بين الزوجين كما فى حالة الصمم أو غيرة الزوج من زوجته الممتلئة صحة وهو عاجز أو مشوه مما يؤدى إلى التعاسة والقلق، ومن الثابت علمياً أنه لا يوجد رجل كامل الذكورة أو أمرأة كاملة الأنوثة، ولكن كل فرد من الجنسين يحمل هرمونات ذكرية وأنثوية مع زيادة الهرمونات الذكرية فى حالة الرجل والانثوية فى حالة المرأة، ولكن إذا زادت نسبة الهرمونات الأنثوية عند الرجل عند المعدل المعقول أصيب الرجل بالرخاوة الزائدة وضعف صفات الرجولة المرغوبة، وإذا زادت نسبة الهرمونات الذكرية عند الأنثى صارت خشنة عدوانية مما يضعف جاذبيتها الجنسية ويفقدها الرقة والصبر والحنان الأموى.. كما أن اضطراب افرازات الغدة فوق الكلوية تسبب القلق وعدم الاستقرار، واضطراب افرازات الغدة الدرقية يجعل الفرد سريع التأثر ومتقلب المزاج مما يتسبب عنه سوء العلاقات الأسرية وإضطراب العادة الشهرية عند المرأة يؤثر على المظهر المزاجي لشخصيتها ويجعلها مضطربة متوترة جنسياً ونفسياً ويصعب عليها تكوين علاقة مرضية مع أولادها أو زوجها، كما أن بلوغ المرأة سن اليأس أو انقطاع الطمث يؤدى إلى الإكتئاب والتهيج أو الانطواء فتتوهم المرأة أنها قد أصبحت كالشجرة التي لا تثمر فيها الناس أو يفكرون فى قطعها.

إن الأمراض التناسلية جناية على الأبناء بالتلوث الوراثى وتدمير للحياة الجنسية بين الزوجين للرعب من العدوى (كما يحدث للأزواج المصابين بالإيدز) والكراهية الجسدية والعقلية من القرين الخائن.

أما الأطفال ذوى العمر الأقل من ١٥ عاماً بنسبة عالية من سكان مصر والجزء الأكبر من هذه النسبة يقل سنهم عن خمسة أعوام، ومع المعدل الحالى فى زيادة السكان سوف تزداد هذه النسبة مما يحتاج إلى زيادة كبيرة فى الخدمات الصحية والتعليمية والغذائية حتى يشبوا أقوياء بدنياً وعاطفياً وعقلياً واجتماعياً، وبرغم هذا فإن هناك العديد من الأمراض المنتشرة فى مرحلة الطفولة المبكرة وتؤثر تأثيراً سلبياً على أعضاء الأسرة كلها ومن هذه الأمراض :

١- سوء التغذية :

ويظهر صور سوء التغذية وتتمثل فى الآتى :-

أ- نقص المواد البروتينية : فقد أظهر بحث أجرى على عينة فى ستة محافظات أن ٦١ ٪ - ٧١٪ من الأطفال فى سن الطفولة المبكرة تعانى من سوء التغذية لنقص المواد البروتينية، وقد وجد أن الذين يعانون من سوء التغذية البروتينية مرتبطة بمستواهم الاجتماعى، فطالما انخفض المستوى الاجتماعى كلما زادت نسبة سوء التغذية بين الأطفال.

ب- فقر الدم (الأنيميا) : يصيب فقر الدم عدد كبير من الأطفال ذوى المستوى الاجتماعى المنخفض، كما أن مستوى النضوج العقلى يتأثر بسوء التغذية . فالأطفال المصابون بنقص النمو نتيجة سوء التغذية إنما يتأثر مستوى ذكائهم فى الطفولة خاصة لو استمرت حالة سوء التغذية فترة طويلة فى السنوات المبكرة.

ج- الكساح : ترتفع الإصابة بالكساح بين الأطفال ذوى المستوى الاجتماعى المنخفض والذين يعانون من سوء التغذية.

٢- الالتهاب الرئوى عند الأطفال :

يتوفى ما يقرب من ٥ مليون طفل تحت سن الخامسة، فى مختلف أرجاء العالم سنوياً ٩٦٪ منهم من البلدان النامية ومعظم هذه الوفيات تنجم عن الإصابة بالالتهاب الرئوى والإسهال وسوء التغذية، وتشير التقديرات التى وضعتها منظمة الصحة العالمية وصندوق الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) أن الالتهاب الرئوى يقتل من ٣-٥ مليار طفل تحت الخامسة من العمر كل عام وهكذا فإن الالتهاب الرئوى يقتل طفلاً كل سبع ثوان.

وفى البلدان النامية يعيش العديد من الأطفال فى منازل صغيرة مليئة بالدخان يشتركون فيها مع آخرين كثيرى العدد. وأوضاع الإزدحام هذه تعنى أن الجراثيم تقف حاجزا أمام السبيل التنفسى لدى صغار الأطفال وأن الدخان يزيد من صلابة هذا الحاجز.

ويحتمل أن تكون ذات الرئة أقل شيوعاً بكثير لو تم تحسين ظروف السكن وجعلت أقل دخاناً واكتظاظاً . كما أن تحسين التغذية من شأنه أن يخفض معدل الوفيات التى يسببها هذا المرض، ولكن من المؤسف أنه لا وجود لأية بوادر فى بلدان عديدة على إمكان إدخال التحسينات الضرورية فى المستقبل القريب.

ومن الضرورى إذن أن يتوافر لدى الناس بقدر أكبر بكثير إدراك كون الالتهاب الرئوى سبباً رئيسياً فى وفيات الأطفال، وأن يدركوا فى الوقت ذاته أن فى الإمكان تخفيض عدد الوفيات الناجمة عن هذا المرض من خلال تحسين ظروف السكن والتغذية وربما الاسترادة من استخدام مناديل الجيب، ومما يدعو للأسف أن سنوات عديدة يحتمل أن تنقضى قبل أن يؤخذ بهذه التغيرات، وفى خلال ذلك ربما استطعنا تحقيق انخفاض ضخم فى عدد الوفيات بالالتهاب الرئوى إذا عالجنا الأطفال بالأدوية المضادة بهذا الفيروس القاتل :

٣- تيتانوس الأطفال :

أكدت العديد من الأبحاث أن تيتانوس الأطفال حديثى الولادة مازال مشكلة صحية خطيرة، وقد أكدت هذه الأبحاث أيضاً أن معظم الولادات التى تتم فى المنازل والتى يقوم بها أشخاص غير مدربين هى السبب فى إصابة الأطفال حديثى الولادة بالتيتانوس ، إلا أن الإصابة بهذا المرض لم تقتصر فقط على هذا السبب فاستخدام الضمادات غير المعقمة أثناء فترة إلتئام السرة قد يشكل عامل خطر يتساوى فى أهميته وخطورة قطع الحبل السرى بأداة غير معقمة، وتحدث معظم وفيات الأطفال الحديثى الولادة بسبب التيتانوس فى الأسبوع الأول من العمر، غير أنه تبين أن عدداً كبيراً منها قد يحدث فى مرحلة متأخرة جداً من فترة الولادة الحديثة، وقد تبين أيضاً أن عدد الأطفال الذكور الذين يموتون بسبب تيتانوس الأطفال الحديثى الولادة يفوق عدد الإناث.

وقد أوصى أعضاء الاجتماع المشترك فى المكتب الأقليمى لشرق البحر الأبيض المتوسط والخاص بالوقاية من تيتانوس الأطفال حديثى الولادة بضرورة تخفيض معدل الوفيات بهذا المرض وأن يستخدم مستويات الإصابة به كمؤشر على نوعية الخدمات الصحية المقدمة للأمهات وكيفية الإستفادة من هذه الخدمات وتأثير البرنامج الموسع للتحصين.

وفيات الرضع :

انخفضت وفيات الرضع فى مصر فى النصف قرن الأخير انخفاضا محسوساً، ولكن على الرغم من ذلك فهى تعتبر من المعدلات العالية فى العالم مما بيّن مدى قصور البيئة المصرية لرعاية الطفل المولود فى مصر فلا يستمر فى الحياة – ووفيات الرضع علاوة على ما تمثله من فاقد بشرى يعكس مدى صحة الأحياء من الأطفال.

ويلعب إسهال الأطفال الدور الأول فى قتل الرضع فيسبب ٥٠,٨٪ من أسباب وفيات الرضع . ويلى الإسهال فى الدور الأول إلتهاب فى الجهاز التنفسى وهو من

أمراض البيئة التى يمكن السيطرة عليها، وقد وجد أن ٥٧,٧٪ من حالات التهاب الجهاز التنفسى تحدث بين الأطفال أقل من سنتين من العمر وخاصة هؤلاء الذين يعيشون فى بيئة مكدسة ومزدحمة ومساكن غير صحية.

ووفيات الأطفال الرضع الذين لم يبلغوا السنة الأولى من حياتهم بلغت فى مصر رقماً كبيراً وهو ١١٠ لكل ألف طفل، وهى نسبة خطيرة، ويرجع السبب فى ارتفاع معدل الوفيات فى مصر إلى أسباب اقتصادية وأخرى اجتماعية وصحية. وقد تكون أهم هذه الأسباب هو ما يتعلق بظاهرة الفقر العامة وهبوط الدخل الفردى خاصة وتنعكس ظاهرة الفقر، وهبوط الدخل الفردى على سوء التغذية، وسوء المسكن، والاكتظاظ بالسكان.

ومن المعروف أن هبوط معدل الوفيات فى الدول الغربية خلال القرن التاسع عشر والعشرين يرجع فى الغالب إلى تقدم الطب ومعرفة أصول التغذية الصحية واكتشاف الميكروبات وتحسين مجارى المدن والتقدم الكبير الذى أحرزه العلماء فى كيفية مكافحة الأمراض المعدية ودرء خطرها كأمراض الجهاز الهضمى والتنفسى.

المشكلة الصحية فى الأسرة المصرية :

الحالة الصحية فى الأسرة المصرية سيئة للغاية وهى فى الريف أكثر منها فى المدن فسكان المدن يتأثرون بتخطيط المدن ونظافتها وظروف الإسكان. ومع ذلك هناك أمراض ترتبط بالتصنيع والإقامة فى المدن منها الدرن، والزهرى، والاضطرابات النفسية والعقلية.

أما المجتمع الريفى فإنه لا يتلقى الرعاية الصحية التى يتلقاها مجتمع المدينة. وقد يرجع ذلك إلى عدة اعتبارات مثل قلة المستشفيات، وعدم وجود الاطباء، أو هيئات التمريض بالقدر الكافي. وتتمثل الأمراض التى تصيب سكان الريف فى البلهارسيا وبنسبة ٥٠٪ من الريفيين. ويرتفع الرقم إلى ٧٥٪ فى المناطق ذات الرى الدائم. وتنتشر الملاريا فى معظم بلاد الوجه القبلي.

وعند الأطفال تنتشر أمراض البلاجرا والانكلستوما والدرن والمعويات . وتدل الإحصاءات على أن نسبة الوفيات بين المرضى فى إرتفاع مستمر مما يدل على عجز التدابير الطبية العلاجية والوقاية . وترتبط المشكلة الصحية التى تعانيها الأسرة بظروف كثيرة منها : الحالة الاقتصادية، ومستوى المعيشة، وحالة السكن، وظروف البيئة المناخية ، ومقتضيات الحياة الزراعية والصناعية، وسوء التغذية، وضعف الرقابة.

وكذلك فإن ضعف الرقابة الطبية، وقلة عدد الأطباء بالنسبة لعدد السكان، وارتفاع أجور الأطباء وأثمان الأدوية بشكل يدعو إلى اهتمام المسئولين، وعدم وصول المياه الصالحة للشرب إلى جميع القرى وعدم تخطيط المدن والقرى تخطيطاً صحياً، وعدم توافر المرافق العامة فى القرى ومنازلها، ثم انتشار الجهل والأهمال وصفات التواكل والزهد وما إليها . كل ذلك مؤشرات تدل على انخفاض المستوى الصحى.

وحقيقة الأمر أن الخدمة الطبية خدمة انسانية تقدم إلى الفقراء المرضى من أفراد العائلات التى لم تتح لها أسباب العلاج على نفقتها الخاصة. وترمى هذه الخدمة إلى أغراض إنسانية واجتماعية أهمها :

١- صون صحة المواطنين وذلك من ناحية إنسانية خالصة.

٢- حفظ كيان الأسرة والإبقاء على وحدتها وضمان تكاثر أفرادها لأنها إذا وقعت فريسة المرض ولم تجد من يخفف عنها غوائله جف عودها وإنهار صرحها وانقلبت سعادتها شقاء.

٣- الانتفاع بمجهود الأصحاء فى تدعيم الانتاج القومى.

٤- الحرص على إعداد أجيال من النشئ السليم ليكونوا دعامة الدفاع والإنتاج فى المستقبل.

ولعل أهم ما يتجه إليه المجتمع لتنفيذ هذه الأغراض ما يأتى :

أولا : القضاء على المشاكل الأساسية التى تعانيها الأسرة. مثل الجهل

وانخفاض مستوى المعيشة وسوء المساكن وانحطاط المستوى الأخلاقى فى كثير من الأسر (مثل تعاطى الخمور وإدمان المخدرات والفسق وانتشار الأمراض السرية).

ثانيا : توفير المنشآت الطبية وهى تتمثل فى :

أ- المستشفيات العامة الخارجية والداخلية.

ب- دور رعاية الطفل.

ج- مراكز توزيع اللبن على الأطفال والمرضعات الفقيرات.

د- دور رعاية الأمومة والحوامل.

هـ- مكاتب الاستشارات الطبية لراغبى الزواج.

و- الوحدات الصحية المتنقلة للإشراف على الخدمات الطبية داخل المنازل وبذلك يخف الضغط على المستشفيات العامة.

ز- صيدليات شعبية لصرف الأدوية مجاناً أو بتخفيض كبير.

ح- دور للناقهين من المرضى.

ط- وحدات العزل المؤقت لحماية أفراد الأسرة من انتشار الأمراض.

وعن طريق هذه المنشآت يستطيع أفراد الأسرة فى سهولة ويسر وبأقل التكاليف الحصول على الخدمات الطبية اللازمة لهم.

الفصل الثالث عشر
الأسرة ووقت الفراغ

وقت الفراغ :

يقسم الإنسان وقته عادة بين ثلاث فترات وأنواع من الأنشطة ، فتره العمل لضرورة كسب العيش أو فى المدرسة، وفترة النوم أو الراحة، وفترة الترويح وقضاء وقت الفراغ لكى يضمن نموه وتطوره، ويصبح سعيداً ناضجاً منظماً ومكوناً تكويناً صحيحاً.

إن المرح وقضاء وقت الفراغ بطريقة مجدية يدفع الإنسان على تحمل العمل وإتقانه. يقول عنه «جاى جاش» : «إن استخدام وقت الفراغ بذكاء وحكمة هو الاختبار الأخير للمدنية. فالناس قد يتجهون لشغل وقت فراغهم فى ألوان من النشاط هدامة مفسده، لكننا نهتم بشغل وقت الفراغ لعمل بناء».

ويختلف الناس فى قضاء أوقات فراغهم . فمنهم من يقضيه فى الرياضة، ومنهم من يقضيه فى الفن .. إلخ. وهذا وما يعتبر ترفيهاً وترويحاً لشخص قد لا يعتبر كذلك بالنسبة لآخر، فقراءة كتاب قد يعد نشاط ترويحياً لشخص يشتغل بالأعمال اليدوية، أو الأعمال التى تتطلب جهداً جسمياً، بينما لاتعد كذلك بالنسبة لشخص يشتغل بالأعمال العقلية الذهنية. إذ أن هذا الأخير يشغل وقت فراغه مثلاً فى الألعاب الرياضية. كذلك فإن المدرب الرياضى لا ينظر إلى الألعاب الرياضية على أنها نشاط ترويحى، وإنما ينظر إليها على أنها عمل.

وظائف النظم الترويحية وأثرها فى الفرد والمجتمع :

١- النشاط الترويحى والفرد :

يؤدى النشاط الترويحى وظائف أساسية فى حياة الإنسان، نذكر منها الإعداد للحياة المستقبلية جسمياً ونفسياً. ويحقق النشاط الترويحى التوازن بين قوى الإنسان المختلفة، وينفس عن بعض الغرائز.

كذلك يؤدى النشاط الترويحي إلى تخفيف وتخلي الفرد عن المتاعب الجسمية والعقلية ودليلنا على ذلك إحدى الدراسات التي قام بها أحد العلماء على بعض الأطفال المتأخرين دراسياً - إذ نظم لهم برنامجا دراسياً خاصاً، وخفض عدد الدروس النظرية من ستة دروس إلى أربعة فقط، واستغل الدرسين فى الرحلات الرياضية والترويح، فتحسن حال معظم هؤلاء الأطفال عقلياً أو جسمياً وخلقياً. ومن الواضح أن الطالب الذى يستمتع بوقت فراغه إلى الحد الأقصى فى رياضة يحبها، إنما يقبل على دراسته إقبالاً لا نظير له عن الذى قضى وقت فراغه فى كسل وخمول.

٢- النشاط الترويحى والمجتمع :

يؤدى النشاط الترويحى إلى إيقاظ الوعى الاجتماعى وتنشيطه، إذ يشعر الفرد بحاجته إلى الجماعة، وقيمة التعاون معها، وتعوده الخضوع للقوانين وطاعة الرؤساء، وإيثار المصلحة العامة، والتضحية فى سبيل الجماعة التى ينتمى إليها، والمنافسة البريئة، واحتمال الهزيمة، والرحمة بالمغلوب، وما إلى ذلك.

كذلك فإن التراث الثقافى من فن وموسيقى وعمارة ونحت وشعر وأدب فى أى مجتمع من المجتمعات إنما ينبع من النشاط الترويحى والتلقائى المثمر فى أوقات الفراغ.

وبالاضافة إلى ذلك فقد يشغل النشاط الترويحى فى ترديد الأغانى والأناشيد الجماعية، وغالباً ما تكون هذه متصلة بأساطير شعبية وأمجاد قومية، كما تتمثل فيها أمجاد المجتمع وعرفه الخلقى، وهذا بدوره يؤدى إلى رسوخ التقاليد فى المجتمع.

وللنشاط الترويحى علاقة بالمشكلات الاجتماعية. فقد أثبتت دراسة الحالات فى جرائم الأحداث فى الاحياء الفقيرة فى نيويورك أن ازدياد أندية الأطفال وملاعبهم تقلل عدد الجرائم والانحرافات.

٣- النشاط الترويحى والاقتصادى :

أثبت علم النفس الصناعى أثر وأهمية الترويح فى زيادة إنتاج العامل، وبالتالى زيادة الدخل القومى. كما أن النشاط الترويحى يكشف عن مواهب الفرد، مما يمكن

من توجيهه مهنياً. كذلك فإن النشاط الترويحى له أثره فى مستوى العادات الصحية، وينعكس ذلك أيضاً على النشاط الاقتصادى. وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك ألوان من الأنشطة الترويحية تحقق دخلاً مادياً للأفراد يرفع من مستوى معيشتهم. مثال ذلك هواة الصيد، وتربية الدواجن أو تربية النحل، والفنون المختلفة كالتمثيل والموسيقى والفنون التشكيلية.

الأسرة ووقت الفراغ :

تمد الأسرة أعضاءها بوقت الفراغ والترويح. وقد أدى التقدم المطرد فى ميكنة الأعمال الزراعية، واستخدام منسوجات جديدة، وفتح مطاعم للأكل وفصول للحضانة، إلى اختصار الوقت الذى تخصصه الأمهات فى الأسرة بثلاث ساعات وأربعين دقيقة فى اليوم. ويدخل فى تقدير هذا يوم العطلة الأسبوعية والعطلات أيضاً.

وقد أصبح لدى المرأة ساعتان وخمس عشر دقيقة للترفيه. إذا كانت تمارس نشاطاً مهنياً، وأربع ساعات إذا كانت ربة بيت لاتعمل. أما فى الولايات المتحدة فوقت الفراغ لدى الرجل يقدر بأربع ساعات وخمس وأربعين دقيقة يومياً. أما المرأة العاملة فيقدر وقت فراغها فى اليوم فى المتوسط ثلاث ساعات ونصف. وتحاول مختلف البلاد الغربية اللحاق بالوضع الأمريكى. فالوقت الذى يتوفر بفضل المرافق المنزلية والاجتماعية يذهب إلى الترفيه. ونلاحظ من الناحية العملية أنه لاتوجد خارج الأسرة المؤسسات الاجتماعية التى تقوم بتنظيم ساعات الفراغ هذه. ويصل معدل المشاركة فى النشاط العام فى الولايات المتحدة إلى خمس عشرة دقيقة فى اليوم. فى حين لايزيد على خمس دقائق فقط فى فرنسا. ويترتب على ذلك ظهور بعد جديد . وهو أن الترفيه أصبح يتم داخل الأسرة بشكل متزايد. ومما يدعم هذا الاتجاه تعميم نظام الأجازات المستحقة بمرتب وإطالتها. والتى توفق الأسرة بينها وبين أجازات الصيف المدرسية. وتكون نتيجة هذا بالطبع أن تتوثق الروابط الداخلية للجماعة الأسرية[1].

والأسرة كذلك هى الإطار الذى من خلاله يشارك أعضاؤها فى الأعياد والمناسبات الهامة كالولادة والزواج وحالات الوفاة.

١- د. محمد محمود الجوهرى، دراسات فى علم الاجتماع ص ص ١٥-١٦.

ويعتبر الترويح المنزلى عن طريق إدخال التليفزيون أحد الوسائل التى يستخدمها أعضاء الأسرة لقضاء وقت الفراغ، إذ عمم فى منازل الطبقة الوسطى. وإلى جانب مشاهدة الأفلام والمسلسلات وما تشات الكورة يعد التليفزيون وسيلة من وسائل التثقيف، ووسيلة من وسائل الترويح. وقد يكون مشاهدة التليفزيون وانجذاب اعضاء الأسرة إلى مشاهدته على حساب وقت العمل أو وقت المذاكرة.

وكثيراً ما تردد أن تناول أعضاء الأسرة الطعام معا هو أنسب وقت لتجمع أفراد الأسرة. ولكن تبين من استمارة البحث التى استخدمها الباحث، ومن السؤال رقم ٩ أن أغلب أعضاء الأسرة يشاهدون الأفلام والمسلسلات وماتشات الكورة أثناء تناولهم الطعام، ومما يعوقهم عن المشاركة فى الحديث، فـ ٦٠٪ كانت اجاباتهم الايجاب وأن التليفزيون يعمل أثناء تناولهم الطعام، فلا يتحدثون حول موضوعات تهم الأسرة، و٧٪ أجابوا بالنفى، و٣٣٪ غير مبين، ومن ناحية أخرى فقد انشئت الحدائق وزودت بأجهزة التليفزيون وملاعب للأطفال.

وهناك الترويح المدرسى، حيث يشترط أن ينشأ فى كل مدرسة أو معهد أو كلية ملاعب مناسبة وصالات للاجتماعات والاحتفالات والتمثيل . كما اهتم بصفة خاصة بالرحلات والمعسكرات التى يقيمها الشباب على الشواطئ أو فى القرى أو فى الصحراء. ويمكن للآباء أن يشاركوا فى هذه الأنشطة.

وقامت الدول بإنشاء مراكز للشباب والأندية الترويحية والمعسكرات الدائمة والساحات الشعبية والأندية الريفية والأندية العامة والشعبية والعمالية، والجمعيات وجماعات السياحة، ودور الترفيه المختلفة والملاعب العامة. كما تكونت نقابات للأطباء والمهندسين والمحامين والمحاسبين والاخصائيين الاجتماعيين والزراعيين. وتمارس هذه الهيئات ألوان مختلفة من الأنشطة الترويحية ويمكن للأسر أن تشارك فى هذه الأنشطة

وشجعت الدول تكوين الفرق المسرحية والفنون الشعبية كما تكونت فرق بالمحافظات.

وأقامت الدول بيوت الشباب وهى مساكن تصلح لإقامة المسافرين من بلد لآخر، أو من قطر لآخر نظير اشتراك زهيد.

الفصل الرابع عشر
الأسرة والاقتصاد

يعتبر العامل الاقتصادى أهم عامل فى حياة الأسرة. ويبدو ذلك واضحاً فى أن الأسرة إذا لم تجد الموارد الاقتصادية الكافية فإنها تصبح عاجزة عن أداء وظائفها، وتعمل فيها عوامل الفساد والتفكك.

ومنذ بداية التاريخ وحتى وقتنا الحاضر، أدى التفوق الجسمي للرجل على المرأة إلى تقسيم العمل بينهما واختص الذكور بالإسهام فى الحياة الاقتصادية بالأعمال التى تحتاج إلى القوة مثل قطع الأخشاب والأحجار والصيد وبناء المنزل. أما النساء فهن يؤدين الأعمال المنزلية مضافاً إليها بعض الأعمال الصغيرة كجمع الخضروات وإحضار الماء والطعام. كما أن لكل منهما حقوق فيما يتعلق بالملكية والسلطة.

إلا أن تقسيم العمل بناء على الجنس يكون قائماً على تلك الأعمال التى تتطلب بذل جهد فيزيقيى وذلك كأعمال الحفر والبناء، وغير ذلك من أعمال الصناعات الثقيلة، إلا أنه يمكن القول أن عملية تقسيم العمل فيما بين الذكور والإناث تخضع لعوامل واختبارات عديدة، والتى تتنوع بتنوع المجتمعات والثقافات.

وعموما فقد تعرض النظام التقليدى الخاص بتقسيم العمل لكثير من التغيرات حين أصبح للمرأة مصدر مستقل للدخل بحيث لا تعتمد فى حياتها على ما يكسبه الرجل ، ولم يعد الرجل وحده هو المصدر الوحيد للرزق وكسب العيش.

وقد ربط العالم الأمريكى لويس هنرى مورجان بين التغيرات التى تعترى أنماط الحياة الاقتصادية بتلك التى تطرأ على أشكال الأسرة ونظم الزواج. وكتب كارل ماركس فى تأثير الصناعة على الأسرة فى المراحل الأولى للنمو الصناعى الرأسمالى. وناقش أصحاب الاتجاه الوظيفى العلاقة بين التصنيع وتقلص الأسرة بنائياً ووظيفياً.

وتتفق معظم الكتابات على قضية مؤداها أن التصنيع يصاحبه عادة تغير فى

القيم والعادات والعرف التى تؤثر فى بناء الأسرة ووظائفها، حيث يتجه هذا البناء شكلاً حجما نحو التقلص التدريجي. ففيما مضى كانت الأسرة تعتبر وحدة اقتصادية تقوم بكل مستلزمات الحياة واحتياجاتها ، وكل مظاهر النشاط الاقتصادى، والذى نعبر عنه بالاقتصاد المغلق أى الانتاج من أجل الاستهلاك، ذلك أن التداول والاستهلاك لم يكن قد ظهر بعد أو اتسع نطاقه.

ومع حدوث التغيرات الاقتصادية، وظهور الميكنة الصناعية أصبحت الأسرة استهلاكية. وأدى اختراع الآلة إلى التقليل من القوة البدنية، الأمر الذى مهد للمرأة الدخول فى العمل الصناعى. كما هيأت الحرب العالمية الثانية فرصه للمرأة لم تتح لها من قبل، إذ أنها حلت محل الرجال الذين تفرغوا للقتال، وعند عودة الرجال من الحرب لم يتناقص عدد النساء إلى الحد الذى كان عليه قبل الحرب.

كما كانت للحرب أيضاً يد فى دخول المرأة الألمانية إلى مضمار العمل، فلقد طرد هتلر كثيراً من النساء من أعمالهن لتخفيف البطالة بين الرجال، إلا أنه رد على أعقابه، ذلك أنه إضطر إلى إعادة الكثيرات منهن إلى العمل تحت ضغط برنامج التسليح الذى أدى إلى نقص فى العمالة.

ولقد كان لإعلان حقوق الإنسان فى المجتمع الدولى أثر نحو إزالة التفرقة بين الإناث واتاحة فرصة واسعة للتعليم، والالتحاق بالأعمال المناسبة.

كما اتخذت كثير من المنظمات العمالية إجراءات للحصول على أجر للنساء مساو لأجر الرجال الذين يعملون فى أعمال مشابهة لأعمالهن، الأمر الذى يزيد من دخلهن (Smith. 98, pp. 222-224) إن هذه لدعوة وتشجيع لعمل النساء. ولقد خلقت هذه الظروف كلها وغيرها ظروفاً للمرأة، أوجدت لديها دوافع متعددة للعمل خارج المنزل.

كذلك فإن حب الظهور، والحاجة إلى الإنتماء، وتحقيق الذات، قد تكون دوافع أخرى للخروج إلى العمل، فلقد ظهر من دراسة يارو (Yarrow) ، أن ٤٨٪ من

الأمهات العاملات من الطبقة المتوسطة، يعملن من أجل تقديم خدمة للمجتمع، ويرضين حاجتهن للبقاء فى صحبة الآخرين، كما أن العمل يعطيهن فرصة لتحقيق ذواتهن.

كما أثبت فرديناند زفيج (F.Zweig) أن المرأة تخرج للعمل تحت الحاح الضغط الانفعالى لشعورها بالوحدة أكثر من خروجها إلى العمل تحت ضغط الحاجة الاقتصادية، وقد قدر فى البحث الذى قام به فى مقاطعة لانكشير Lancachire أن بين كل ثلاثة نساء متزوجات يعملن، واحدة فقط منهن تعمل تحت ضغط الدافع الاقتصادي، أما لتغطية النفقات المنزلية أو لإعالة الأسرة. أما الباقيات فيلتحقن بالعمل لأسباب أخرى كالرغبة فى الخروج، والشعور بالرضا عن العمل، واتفاق العمل مع ميولهن. (F.Zweig, P. 20, P. 47) ويمثل العمل للمرأة مكانة اجتماعية. فالعمل يمثل مركزاً اجتماعياً. هذا والتحاق المرأة بالعمل يشعرها بالقوة، والقدرة على الإنتاج كما أن التعطل نفسه حافزاً سلبى يخافه الفرد، وقد يفصله عن المجتمع.

إلا أن لعمل المرأة جوانب سلبية تبدو فى التأزم النفسى الذى يصيب المرأة إذا ما زاولت أعمالاً لا تتفق وميولها، أو تتنافر مع تكوينها البيولوجى والنفسى. كما أن عمالة المرأة خارج البيت يترتب عليها حرمانها من أداء رسالتها الطبيعة، ووظيفتها الأساسية، وهى الأمومة. هذا ولا يكتمل نمو المرأة النفسى والجسمى إلا بالأمومة، ولذلك قد يتولد لديها صراع عنيف بين مغريات الحياة العاملة خارج المنزل، وبين حنينها الأصيل إلى الاستقرار وبناء بيت تكون فيه الزوجة والأم(١).

وقد أدت الميكنة الصناعية، وعمالة المرأة، وحصولها على أجر إلى المساواة بين الرجل والمرأة فى مجال اتخاذ القرارات المتعلقة بالأسرة وقد ذهب هير Hear إلى أن المرأة العاملة فى الأسر الإيرلندية تمارس تأثيراً فى اتخاذ القرارات أكثر من التأثير الذى تمارسه المرأة غير العاملة(٢).

١- انظر د. عباس محمود عوض. فى علم النفس الاجتماعى ص ص ٢٣٤-٢٣٧.
٢- انظر د. على عبد الرازق جلبى. علم الاجتماع ص ٢٣٤.

كذلك فإنه خروج المرأة إلى ميدان العمل جعل رعاية الأطفال وتربيتهم والعناية بهم أقل نجاحاً عن ذى قبل.

وأدت عمالة المرأة وانشغالها بالعمل خارج البيت، بالإضافة إلى انشغالها بإدارة المنزل إلى تغيير علاقات الأسرة بالجماعات القرابية، وجماعات الجوار، فتناقصت فرص التفاعل بهذه الجماعات التى تعتمد على العلاقات المباشرة. ومن ثم تفقد هذه الجماعات خصائصها القرابية البنائية والوظيفية التقليدية، ولا يبقى من هذه الخصائص سوى ما يؤكد سيطرة المنفعة والمصلحة لتحل محل قيم التضامن والتكافل التى تميز هذه الجماعات وبنائها التقليدى(١).

وقد نتج عن انخفاض الأجور وعدم تناسبها مع أسعار السلع انتشار الإنحرافات الشاذة وجرائم الأحداث : وهى مشكلة خطيرة ترجع إلى عوامل كثيرة تتعلق بالوراثة والوضع العائلى والحالة السيكولوجية، غير أن العامل الاقتصادى لايزال هو العامل الأساسى فى ظهور هذه المشكلة.

ولاشك أن هناك علاقة بين طبيعة المسكن وبين متوسط الدخل. إذ يندر أن يسكن الرجل الموسر فى مسكن ردئ، ولذلك يتميز مساكن الفقراء بسوء حالة السكن وازدحامها. ولما كانت غالبية الأسر المصرية فقيرة ومتوسط دخولها منحط جداً، فإن ٧٠٪ من هذه الأسر تعيش فى منازل أقرب إلى الكهوف وتتكدس فى غرف قذرة تنعدم فيها التهوية والإضاءة وأبسط مستلزمات الصحة العامة. وغنى عن البيان أن ازدحام المساكن يساعد على سرعة انتشار الأمراض وصعوبة مقاومتها. وهذا يؤدى بدوره إلي ضعف الصحة العامة وانخفاض القوة الانتاجية لعناصر الأسرة ثم إلى ارتفاع نسبة الوفيات وخاصة بين الأطفال والشيوخ(٢).

كذلك فإن الاتجاه نحو التصنيع وتحول المناطق الريفية إلى مدن أدى إلى اتساع حركات الهجرة من القرية إلى المدينة، وتضخم مشكلة الإسكان فى المجتمع

١- انظر د. حسن أحمد الخولى وآخرين. علم الاجتماع العائلى ص ص ٧٥-٧٦.
٢- انظر د. مصطفى الخشاب. المرجع السابق ص ٢٠٥.

الصناعي. وعلى هذا اتجهت الأسرة نحو أن تكون صغيرة، وأقبلت على ضبط النسل في المجتمع الصناعي.

وبإنتشار الصناعة وما صاحبها من تقدم تكنولوجي واسع، بدت الأسرة مجردة من كثير من وظائفها التقليدية. وقد كانت الوظيفة الاقتصادية، وبخاصة الجانب الانتاجي منها أكثر تأثراً، ذلك أن فصل العمل عن محيط الأسرة كان واحداً من أبرز خصائص الإتجاه الصناعي، وأدى بدوره إلى تحول الوظيفة الانتاجية للأسرة إلى أجهزة أخرى. فأصبحت وحدة الانتاج بديلة للأسرة، خاصة أن هذا المصنع كان أكبر من أن يمتلكه أو يديره أفراد أسرة بعينها مهما كبرت لذلك لم يبق للأسرة المتغيرة إلا بعض عمليات منزلية بسيطة كالطهي أو الحياكة، وحتى هذه الأخيرة تخصص في ممارستها هيئات وأجهزة أخرى بعيدة عن نطاق الأسرة.

وقد ترتب على إنتقال الوظيفة الإنتاجية خارج نطاق الأسرة، أن فقدت الأسرة بعض الوظائف الأخرى. فقد توزعت الوظائف التعليمية والدينية والترفيهية على ما أوجده المجتمع الصناعي من أجهزة ومنظمات عديدة حلت محل الأسرة.

وقد أدى تطور الصناعة إلي ظهور أشكال جديدة من البيئات السكنية. فقد انفصل مكان العمل عن مكان الإقامة. وأصبحت المدن الكبيرة تنقسم إلى مناطق متخصصة، ومناطق للإقامة، ومناطق صناعية، ومناطق إدارية، ومناطق عمالية. وباتت الحياة الخاصة تأخذ أشكالاً متعددة في المجتمعات الجديدة، منها : الوحدات السكنية، والعمارات الضخمة، والأحياء. وقد ظل الإسكان يتجه نحو التمركز الحضرى، ثم اتجه نحو عدم التمركز.

وقد اتضح من الدراسة التى أجراها شومباردى دى لوف Chombard de Lauve بعنوان «الأسرة والإسكان» أن ٥٦٪ من الناس قد ابتعدوا عن أماكن عملهم لكى يسكنوا فى الوحدات السكنية الجديدة فى الضواحى. وأوضح الدكتور دى جونج de Jonge فى الحلقة الدراسية التى عقدت فى بروكسل حول الأسرة فى مايو ١٩٦٥: أن حركة ابتعاد السكان عن المركز تزيد على حركة الاقتراب من المركز فى البيئات غير الزراعية.

الفصل الخامس عشر
الأسرة والسياسة

للأسرة دور كبير فى السلطة، وقيام الدولة، وتشكيل النسق السياسى. فقد ظهرت جماعة العشيرة فى المجتمع البدائى المعاصر نتيجة تطور الجماعة العائلية المكونة من الزوج والزوجة وأولادهما وأحفادهما الذين يعيشون جميعاً تحت كنف الجد الذى يقوم بدور الحاكم المطلق.

ويتمثل نسق العائلة الأبوى فى الأسرة الرومانية، فقد أشار هنرى مين إلى البيت الأبوى فى روما، حيث كانت السلطة أوتوقراطية يستحوذ عليها الزوج «رئيس العائلة». أما الزوجة والأبناء فكانوا كالعبيد. وكان الزوج هو المالك الوحيد لكل الممتلكات، وامتدت سلطته إلى حق منح الحياة أو الموت لأبنائه، واحتوت العديد من المجالات، كالمجال الاقتصادى والدينى والتعليمى. وكانت العائلات تقوم بالخدمات العامة وانتقل هذا الحق من الآباء إلى الأبناء، بل ومن جيل إلى جيل[1].

وبظهور العصر الإمبراطورى فى روما، أفلت سلطة الأب إلى مستوى يكاد يقترب من الأسرة الحديثة، فأصبح القصاص العائلى من اختصاص القضاة المدنيين، وانتهت سلطة الأب فى تزويج أبنائه، وبيع أولاده، ففقد التبنى أهميته القديمة، وباختصار تقاربت كلتا صورتى العائلة فى العصرين الإمبراطورى والحديث. وقد أثر تغير نظام العائلة الأبوى على تكوين الطبقات فى روما، ووضع أسساً جديدة للملكية والثروة والدين،وانعكس ذلك على الأصل الاجتماعى لأعضاء مجلس الشيوخ.

ويعتبر التغيير الذى إعترى السلطة الأبوية جزءاً من المقاييس الأخرى التى اتخذت لتثبيت الحكومة المركزية، ووضعها فوق جميع المنظمات والطبقات فى المجتمع،

1- See Robert Nisbet. State and Family P. 190. & See Lofthouse, W.F., Family and the State, p. 36 & See Gaetano Mosca, The Ruling Class, P. 261.

فلا يجب أن توجد إمبراطورية داخل امبراطورية، ولا ولاء إلا للدولة، وانعكس هذا الولاء على الروح القومية. وترادف لفظنا الدولة والقومية بالرغم من اختلاف مفهوم كل منها(١).

ومع ذلك، فإن الولاء الذى تتطلبه الدولة تقوم الأسرة بتلقينه لأبنائها، فتدربهم على تأدية الواجبات وإنكار الذات الذى تلزمه الدولة للفرد. ومن ثم ظهرت فاعلية الأسرة فى العمل السياسى. ففى العديد من المجتمعات الغابرة والمعاصرة تنحصر الطبقة الحاكمة فى عدد معين من العائلات. ويصبح الانتماء للأسرة معياراً يحدد الدخول فى الطبقة أو الخروج منها، كما فى الارستقراطيات الوراثية فى عصور التاريخ المختلفة.

وقد ظهرت هذه الأحداث فى الصين، وفى مصر القديمة، والهند، وفى روما القديمة، وبين الاثينيين والجرمان فى العصور الوسطى، وفى المكسيك فى عصر الاكتشافات، وحتى وقت قريب فى اليابان كما ظهرت فى انجلترا، خلال القرنين الثامن عشر والعقد الأول من القرن التاسع عشر وحتى إعلان وثيقة الإصلاح عام ١٨٣٢ عائلات احتكرت العضوية فى البرلمان ، واحتلت قمة المعارضة، بل وتبوأت منصب رئيس الوزراء. وفى فرنسا، ورث الأبناء عن آبائهم العمل السياسى واحتكروا الدوائر الانتخابية(٢).

وفى ظل هذا النظام احتفظت هذه العائلات بالثروة والشجاعة العسكرية والتقاليد الاخلاقية بالانتساب لآبائهم، ويكتسب الفرد القدرة على أداء الخدمة العامة ومواجهة الأعمال منذ طفولته.

ومازالت آثار هذا النظام باقية حتى وقتنا الحاضر حتى تغير. فمن الناحية

1- Wright, F. J., The Elements of Sociology, An Introduction to Social and Political Science.
2- See Lofthouse , Op. Cit., P. 11 & See Mosca, Gaetano, Op. Cit., PP. 60-61.

النظرية تكون الاختيارات السياسية والتنافس مفتوحة لجميع أفراد المجتمع. ومع ذلك فإن الغالبية العظمى من أفراد المجتمع تفتقر إلى الثروة لتغطية تكاليف الإعداد للانتخابات. كما يفتقر آخرون إلى المعارف والأصدقاء والأقارب الذين يفتحون لهم الطريق إلى الانتخابات.

هذا ومازلنا حتى اليوم نشاهد المرشحين الناجحين فى الإنتخابات الديموقراطية فى الدول الحديثة يرثون عن آبائهم قوى سياسية تساعدهم على النجاح. فبرلمانات إنجلترا وفرنسا وايطاليا يمثل أعضاؤها الأبناء والإحفاد والإخوة والأقارب.

ومن ناحية أخرى، فعندما أصبحت الأسرة كياناً يقوم على العلاقة الشخصية، واتجهت إلى تحديد النسل، وقل حجمها، تغيرت تنظيمات الدولة، وقامت بأدوار جديدة لم تكن تقوم بها من قبل، فقد استطاع القضاء مثلاً أن يبعد طفلاً عن أسرته، ويودعه لدى أسرة أخرى.

واستطاعت الدول أن تبحث عن عمل للمواطن دون أن تستشير آباءه. كما تحملت الدولة مسئولية تنظيم نوادى العائلات، فأنشأت فرقاً كشفية وفرقاً للمرشدات.. الخ. واهتمت الدولة بحالة المواطنين الصحية، ولم تعد مقارمة الأمراض وانتشار العدوى فى مسئولية طبقة معينة، بل أصبحت من مسئولية الدولة دون تمييز فى الإمكانيات المادية[1].

وتذعن الأسرة للقرارات التى يفرضها النظام السياسى. فالهيئات الرسمية للضبط الاجتماعى «مثل الشرطة» ليس لديها فى نهاية الأمر لتقديم المنحرفين سوى استخدام القوة، وهنا تبدو أهمية الصلة المتبادلة بين الأسرة والنظام السياسى، فالأسرة أثناء عمليات التنشئة الاجتماعية لأطفالها تخلق فيهم الدافع نحو الامتثال، ولكن الإنسان خلال حياته البيئية يكون معرضاً للإنحراف، حيث لا يكون الضبط الداخلى على الدور الذى يجب أن تقوم به الأسرة، فقوتها وسيطرتها على الفرد تزيد

1- See Wright, F.J., Op. Cit., P. 109 & See Loftouse, W.F., Op. Cit., P. 93 & 37.

على جميع هذه القوى، ولهذا تقع مسئولية التوافق والامتثال للوضع السياسى القائم فى المجتمع المحلى على عاتق الأسرة، وبين بعض الباحثين أن النظام السياسى يستطيع الاستمرار إذا كان أعضاء الأسرة يؤمنون بشرعيته ويدينون له بالولاء.

وقد تتسم الأسرة بالدكتاتورية والتسلط، أو بالحرية والديموقراطية فتسمح لأبنائها بمناقشتهم فى الموضوعات التى تخص الأسرة، مما يؤثر على اتخاذ القرار. وهذه جميعاً سمات أى نسق سياسى . وقد تبين من الدراسة الميدانية التى قام بها الباحث، أن ٨٠٪ من المبحوثين وصفوا آباءهم بالدكتاتورية والتسلط، والتى تجلى فى الآتى:

الأمر والنهى ، اجبار الأب الإبن على الدخول فى كلية معينة لا تتفق وميول الابن، إصرار بعض الآباء على عدم تعليم الأبناء، إجبار الأب الابن على تنفيذ أوامره، فرض الأب رأيه على أبنائه، كل أحاديثه تعبر عن إصدار الأوامر، رفض الأب خطيب متقدم لابنته وهى توافق عليه ، الأب صانع القرار، رفض خروج ابنته فى رحلة، رفض طلب الأم شراء أى شئ، يجبر ابنته على ارتداء الحجاب، لا يسمح لأى عضو من أعضاء الأسرة أن يناقشه فى أى موضوع، لا يستمع إلى آرائهم، شخصيته مستبدة متسلطة، هو صاحب اتخاذ القرار، يصمم على تنفيذ الأبناء قراراته، الأب ضابط شرطه تعود أن ما يقوله أبناؤه هو الخطأ، ورأيه هو الصحيح، كلامهم وآراؤهم لا يؤخذ بها، يتدخل فى كل كبيرة وصغيرة، تمثل شخصيته شخصية : سى السيد» .

وقد انعكست هذه الصفات على الأبناء، فساهمت فى صمتهم، وأصبح الأبناء يخشون الكلام مع الأب، وهم يعيشون فى خوف ورعب، ولا يستطيعون طلب أى شئ، وقد أضعفت هذه الأمور شخصياتهم، وقد يؤدى بهم هذا إلى الإنحراف.

وقد ميز بورمان Bowerman بين مفهوم الأم التقليدية والأم المتطورة، حيث ربط بين الأم التقليدية وعلاقة التسلط. فعلاقة هذه الأم بأطفالها هى علاقة ضبط وتنظيم من جانب الأم وطاعة وامتثال من جانب الأطفال. وربط بورمان بين الأم

المتطورة وعلاقتها بالديموقراطية. وخرج باستنتاج مؤداه أن هناك علاقة إيجابية بين الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية للولدين وبين علاقة التعادل التى تربط الوالدين بالأبناء.

وبعد تغير مكانة المرأة فى معظم دول العالم، تساوت علاقة الزوج والزوجة. ولم تعد السلطة من حق الزوج فقط، فسقطت الولاية عن المرأة ونمت حقوقها، وتغيرت العلاقة بين الجنسين، وقامت الحركة النسائية[١].

وقد درس العديد من الكتاب العلاقة بين الحركة النسائية وصغر حجم العائلة فى بريطانيا فى نهاية القرن التاسع عشر. وتبين منها أن هذا الشكل قد أثر على مركز المرأة. وساعد على ذلك الرجال والنساء من الطبقة الوسطى بتأييدهما الحركات النسائية. فقد أكد كونجرس الاتحاد التجارى ضرورة تساوى الأجور بين الرجال والنساء، وارتبطت الحركات النسائية من وقت لآخر بالحزب الليبرالى إلى الراديكالى، واتسمت بالسياسة المحافظة.

ومنذ أعوام ١٨٥٠-١٨٦٠ قامت حركات متتالية تستهدف تحسين تعليم الفتيات، كما قامت انتفاضات عديدة تستهدف حق المرأة فى التصويت الإنتخابى - كللت فى النهاية لصالح الحركة النسائية. كذلك استطاعت الحركات النسائية واتحادات المرأة أن تقنع مجلس العموم البريطانى لتغيير قانون الملكية للنساء المتزوجات، وقانون حضانة الأطفال كما استطاعت الحركات النسائية القضاء على قانون الدعارة فى بريطانيا، وتمتعت المرأة بالحريات السياسية، وأصبحت عضواً فى الإتحادات التجارية، وشغلت أعلى المناصب[٢].

1- See Banks, Olive, Feminism and Social Change in Zollschan, George & Hirsch, Walter, Exploration in Social Change P. 574. & See Lofthouse, W.F., Op. Cit., P. 37.
2- Banks, Olive, In Zollschan, George & Hirsch, Walter, Op. Cit., P. 547 & 552 - 557 & See Lofthouse, W. F., Op. Cit., P. 125.

الفصل السادس عشر
الأسرة والطبقة الاجتماعية

يختلف الأفراد والجماعات كل منهم عن الآخر فى الجنس والعمر والحجم والقدرة العقلية، كما يختلفون فى المهنة، والأجر، والممتلكات، وكذلك فى الهيمنة والسلطة، والعادات، والاهتمامات، والميول، والاتجاهات، والقيم، والمعتقدات، وكذلك فى المستويات التعليمية.

وينجم عن هذه الاختلافات انقسام الناس إلى طبقات ترتب ترتيباً رأسياً بناء على معايير محددة، قد تكون المهنة، إذ يميز بين المهنة اليدوية والمهن غير اليدوية أو العقلية. وإذا كان التعليم هو معيار التمييز، نجد أن هناك مستويات للتعليم منها المتوسط، والعالى ... وغير ذلك.

وقد اشار ميلڤين كوهين فى حديثه عن الطبقة : بأن الأفراد فى مختلف الطبقات قد ينعمون أو يقاسون من أوضاع حياة متباينة نظراً لاختلاف نظراتهم إلى العالم، وتباين مفاهيمهم من الواقع الاجتماعى، وتفاوت آمالهم ومخاوفهم وموقفهم لما هو مرغوب فيه.

وتنطبق هذه المقولة على العلاقة بين الأسرة وبين الطبقة الاجتماعية، إذ تبدو الاختلافات بين أسر الطبقات العليا، وأسر الطبقات الدنيا فى عملية الاختيار الزواجى، فينظر إلى الزواج باعتباره زواج بين أسرتين متماثلتين فى الخصائص، وهو ما يعرف بالزواج الطبقى المتجانس، أو زواج الشبيه بالشبيه.

أما النوع الآخر من الزواج، فهو الزواج بين الأسر التى تنتمى إلى شرائح اجتماعية غير متجانسة، وهو ما يعمل على التقليل من حدة الفوارق الطبقية. وهذا ما يعرف باسم الزواج الطبقى غير المتجانس.

وفى نظام الزواج المتجانس يحاول الأفراد الذين يرغبون فى الزواج البحث عن زوجة تكون لها بعض الصفات المماثلة أو المرغوبة من جانبهم والتى تتنوع فيما بينهم، فهؤلاء الذين يملكون الثروة والجمال والفطنة والهيبة إنما يبحثون عن زوجات مماثلة لهم

فى تلك الخصائص الطبقية والشخصية . ولذلك يبقى الشكل العام للطبقة ونسق التدرج الطبقى مستقراً نسبياً عبر الزمن.

وإذا قام نسق التدرج على أسس طائفية ودينية كما فى الهند فإن الحراك يكون أكثر صرامة لأن هذه الطوائف تتكون من جماعات اجتماعية مرتبطة مع بعضها البعض ومرتبة فى نظام يبلور الأعلى والأدنى فيها. حيث يولد الفرد فى طائفة معينة يقضى فيها معظم حياته، ويستمد منها وضعه الاجتماعى، والتزاماته، ولا يمكن له أن يغير من وضعه أو مكانته الاجتماعية عن طريق ما يكتسبه أو ما ينجزه، وبالتالى فإن وجود الفرد فيها لا يزوده بحراك اجتماعى لأنه لا يسمح للفرد بالصعود أو الهبوط فى النسق الطائفى، كما لا يمكن له أن يغير من نسقه الطائفى عن طريق الزواج نظراً لأنه يسود فيها نظام الزواج الداخلى Endogamy بين الطوائف المتماثلة ؛ حيث لا يسمح فيه للرجل بالزواج من إمرأة ذات مكانة اجتماعية أعلى منه ويعتبرون ذلك الزواج بأنه يسير ضد طبائع الأشياء. فى حين يسمح فيه بزواج الرجل ذو المكانة الاجتماعية العليا من زوجة ذات مكانه اجتماعية أقل منه ويرون أن هذا الزواج يسير فى الاتجاه الطبيعى. وينتشر هذا النظام أو الشكل الأخير من الزواج – أى زواج الرجل الأعلى فى المكانة بمن هى أقل منه فى المكانة – «عند بعض قبائل البنغال وكيرالاGujerat وغيرها من الولايات الهندية الأخرى : ففى البنغال مثلاً تنقسم بعض الطوائف إلى فئات متفاوتة فيما بينها فى السلم الاجتماعى، ويتزوج ذكور الفئات العليا من بنات الفئات السفلى دون أن تسمح الفئات العليا بتزويج بناتها للفئات السفلى. ويعرف هذا أيضاً عند الهنود الأمريكيين، وفى كثير من القبائل الافريقية الغربية».

وفضلا عما سبق ففى المجتمعات الأخرى كالصين وفرنسا فى القرن الثامن عشر، كانت الأسر تعتمد على الزواج كوسيلة لأحداث الحراك الاجتماعى الصاعد. ومن ثم يتمكن بعضهم من الصعود إلى طبقة النبلاء، ومن خلال اكتساب الثروة والمكانة والوظيفة. وبالتالى يبدأون فى ممارسة عادات وطرق معيشة النبلاء، ويقومون ببناء البيوت فى الريف والمدن، فضلا عن ممارستهم للفنون والخطابة ومختلف وسائل

الترفيه، ويكون أبناؤهم على درجة من الثقافة والذكاء شأنهم فى ذلك شأن أبناء النبلاء. ومن ثم كانوا يتماثلون فى معظم الجوانب فيما عدا إختلافهم فى جانب واحد وهو التاريخ الأسرى لكل منهم.

وينجم عن الزواج الطبقى المتجانس، والزواج الطبقى غير المتجانس إختلافات فى نسبة الزواج، وسن الزواج بين الطبقة العليا، والطبقة الدنيا. كما تبدو الاختلافات فى أسلوب الحياة، وفى التنشئة الإجتماعية، وفى التفاعل، وفى الأدوار، ونظرة كل منهما إلى الطلاق.

فقد تبين إرتفاع نسبة الزواج المبكر بين أبناء الطبقتين الدنيا والعليا. فالعمال غير المهرة والمزارعين يستطيعون التكسب وهم فى سن مبكرة مما يجعل الأسرة تسارع بتزويج أبنائهم استعجالاً للفرح والسعادة. ويشجعهم على ذلك انخفاض تكاليف الزواج وقلة مطالبه.

أما أبناء الأثرياء فهم يتلقون دعماً مادياً كبيراً من أسرهم، التى تسعى لمد شبكة علاقاتها بغيرها من العائلات عن طريق النسب، فتيسر لهم الزواج وهم فى مثل هذه السن. أما أبناء الطبقة الوسطى، فلديهم ميل عام لتأخير سن الزواج حتى يتسنى لهم إنهاء تعليم أبنائهم والحصول على وظيفة أو عمل محترم، والانتظار حتى يرتقى الفرد فى ذلك العمل.

وبالنسبة لجميع الطبقات يسفر الزواج المبكر عن بعض المشكلات مثل عدم إتمام التعليم بالنسبة للزوجة، أو إعاقة التنقل للزوج فى عمله مما يتيح له الترقى.

ويرتفع معدل المواليد فى الغرب بين تلك الجماعات فى الطبقات الدنيا ومع ذلك نجد اختلافات بسيطة داخل كل شريحة طبقية منها. وذلك طبقاً لعوامل أخرى متعددة منها الدخل، الثقافة، العادات والتقاليد، الديانة .. إلخ.

وتزداد فترة التعارف والخطوبة بين الشباب والفتيات من أصحاب الشرائح الطبقية العليا. وحينما تصبح وسائل تنظيم الأسرة متاحة ومسموح بها فى المجتمع.

نجد أن الأسر من الشرائح الطبقية العليا هى التى تبدأ باستعمالها وبسرعة أكثر من غيرها من الأسر فى الشرائح الطبقية الأقل منها فى المجتمع.

ويزداد الالتقاء الجنسى خارج نطاق الزواج فى الغرب بازدياد العمر للرجال فى الأسر التى تنتمى إلى الطبقات العليا. فى حين نجده يقل بين الرجال التى تنتمى إلى الطبقات الدنيا. وتتزايد سلطة كبار السن من الرجال على أعضاء الأسرة فى الشرائح الطبقية العليا.

كما يتزايد الاهتمام برعاية الأطفال بين الأسر التى تنتمى إلى الطبقات العليا وما يتطلبه ذلك من إنجاز أعلى فى المهارة والمعرفة والخبرة فى حين نجدها تقل بين غيرهم من أسر الطبقات الدنيا.

وقد أجرى Mir Romarovisky دراسة بين أسر ذوى الياقات الزرقاء، انتهى فيها إلى أنه لو حدثت مشكلة أو موقف فإن الزوجة تتوجه إلى والدتها أو بعض صديقاتها من النساء لكى تتناقش معهم فى هذه الأمور . أما الرجل فإنه يحاول التحدث عن مشاكله الأسرية مع رجل آخر يكون له صديق. ومع ذلك ففى النهاية تعتقد الزوجة بأن زوجها يكون غير قادر على فهم مشاكلها. وكذلك الأمر بالنسبة للزوج فإنه يعتقد أيضاً بأن زوجته ليست لديها القدرة على فهم ما كان يعنيه أو يقصد إليه.

ويعتقد الرجال من الأسر ذوى الياقات الزرقاء وأصحاب المستوى التعليمى المنخفض بأن الرجل لا يتوقع منه أن يساعد زوجته فى أداء الأعمال المنزلية، وتنحصر اهتماماتهم بالأمور الجنسية التى ينجم عنها إشباع الطرفين. أما الرقة فى المشاعر والاهتمام الدائم بالزوجة فإنه أمر نادر الحدوث. وهم عادة ما ينظرون إلى الاشباع الجنسى على أنه حق مقصور على الرجل. ومن ثم فإن حدوث أى تغيرات تطرأ على هذه العملية من جانب المرأة إنما ينظر إليه على أنه انحراف جنسى.

وللطبقة الاجتماعية تأثير هام لايمكن إغفاله فى عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال خلال فترات الطفولة المبكرة. فمن خلال النظر إلى الأساليب والعادات الغذائية

التى تستخدمها المرأة فى الطبقة العاملة نجدها تحرص على إرضاع أطفالها الصغار لفترات طويلة، ودون اتباع نظام موحد، فضلاً عن استخدامها لأسلوب صارم فى عملية إطعامهم. فى حين تتبع المرأة فى الطبقة الوسطى وسائل أخرى تكون متاحة وأكثر ملاءمة منها : الاختيار بعناية مرضعة أو مربية Wetnurse لأطفالها والإشراف الدقيق عليها. إلى جانب حرصها على تنظيم أوقات الرضاعة للطفل، وتستخدم زجاجات الرضاعة Bottle Feeding باعتبارها وسيلة شعبية تكون أكثر انتشاراً بين الزوجات العاملات فى الطبقة الوسطى ومن ثم تصبح بمثابة أحد مؤشرات الطبقة الاجتماعية التى من خلالها تستطيع أن تتحكم فى مقدار ونوعية أغذية طفلها – وإن كانت هذه الزجاجات التى تستخدم فى الرضاعة تعتبر غير صحية اليوم إذا ما قورنت بالرضاعة الطبيعية.

وتفتقر المرأة من الطبقة العاملة إلى الأدوات التكنولوجية الحديثة فى المطبخ والتى من شأنها أن تكفل لها أسباب الراحة. وهى تحرص على إرضاع طفلها رضاعة طبيعية – أى من ثديها وليس من زجاجات الرضاعة كما فى الطبقة الوسطى – وذلك لأنها رخيصة وغير مكلفة لها مادياً. كما أنها تعتبر مريحة وفى متناولها بصفة مستمرة، وأخيراً فهى لا تشجع الاتصال بالزائرات الصحيات وغيرهن من أجل رعاية الطفل وتقديم النصائح لها.

ونادراً ما يوفر آباء الطبقة العاملة لأولادهم لعبة أو دمية، وكثيراً ما يذهب الطفل للنوم متأخراً، ويكون الطفل فى الطبقة العاملة أكثر عرضة لتوقيع العقاب البدنى عليه، فى الوقت الذى لايحرص فيه الآباء على توضيح أسباب العقاب عند الطفل. فى حين نجد أن الآباء فى الطبقة الوسطى يحرصون فى معظم الأحيان على تنمية خيال وإدراك الطفل نحو ما يجب فعله وما لا يجب فعله، وبالتالى يستتبعه توقيع عقاب وذلك من خلال الاعتماد على استخدام مختلف الألعاب التى تتناسب مع قدراتهم العقلية.

وعندما يتشدد آباء الطبقة العاملة فى توقيع العقاب على الطفل نجدهم

لايحرصون على توضيح الحدود التى تفصل أو تميز بين المسموح به من أنماط السلوك وغير المسموح به للأطفال فى مختلف مواقف الحياة. فى حين يحرص الآباء بالطبقة الوسطى عند توقيع الجزاء على أطفالهم أن يأخذ شكل اللوم والتأنيب وغير ذلك كالحرمان من المكافأة . فضلاً عن ذلك فإنهم يأخذون فى إعتباراتهم الدوافع التى أدت بهم إلى ممارسة السلوك الخاطئ وغير المقبول اجتماعيا.

كما تتسم اتجاهات الآباء فى الطبقة العاملة فى معاملتهم لأطفالهم بالتسلطية والتهديد بالعقاب وتخلو فى الوقت نفسه من الإقناع والمناقشة بينهم وبين الطفل. بينما تتسم فى الطبقة الوسطى المناقشة والإقناع المستمر لكل ما يصدر عن الطفل من أفعال غير مقبولة.

علاوة علي ذلك يحرص الآباء باستمرار فى الطبقة الوسطى على تعليم أطفالهم المهارات اللفظية ومختلف مفردات اللغة ليس فقط من أجل أن تمكنهم أو تسمح لهم بالمناقشة والتفاعل فى مختلف المواقف، والتعبير عن المشاعر والرغبات، ولكن لكى تزودهم بالاستخدام الفعال لتلك الطرق المفضلة والمرغوبة فى اتباع النظام المقبول اجتماعياً. وفى هذا الصدد عادة ما نجدهم يترجمون أو يعكسون النتائج المرغوبة فى سلوك أطفالهم فى أشكال منها المديح والثناء على الطفل واحترام لمشاعره وإظهار التعبير بالرضا عنه من جانب الآباء. فى الوقت الذى تنعكس فيه التسلطية فى الطبقة العاملة إلى شعور الأطفال بالذنب والخوف من كل رموز السلطة سواء كانت ممثلة فى الآباء، المدرس، رجل الشرطة، فى معظم مواقف حياتهم الاجتماعية لأنها تقترن لديهم فى خبرات الطفولة بتوقيع العقاب..

هذا والشجاعة والمهارة فى الحرب أكثر أهمية فى بعض المجتمعات فى حين تكون المعرفة الإنسانية كما فى الصين، أو الإنجاز العلمى كما في الغرب أكثر أهمية من أسس وصفات أخرى فى غيرها من المجتمعات. فضلا عن ذلك تتنوع أيضاً مصادر الثروة والقوة بين جماعات وطبقات المجتمع الواحد. كما تتنوع أهمية هذه المصادر بين المجتمعات بعضها والبعض. ففى بعض المجتمعات تستخدم القوة Power للحصول

على الهيبة، فى حين تستخدم غيرها المال للحصول على القوة والسلطة.

ويظهر آباء الطبقة الوسطى نحو أبنائهم عواطف التدليل أو الكلام أو اللعب، أكثر مما تظهره الطبقات الدنيا.

ويشعر أطفال الطبقة العاملة بعدم وجود فروق بين أنماط السلوك المسموح به وغير المسموح به، وتختلط لديهم الحدود بينهما، ويشعرون حينئذ بأنهم أحراراً وبالتالى تجدهم يعاودون تكرار نفس الأخطاء مرة أخرى لفترات طويلة فى حياتهم.

ومما هو جدير بالذكر أيضاً أن الآباء فى أسر الطبقات الدنيا غالباً ما يمارسون على أطفالهم مختلف أنواع الضغوط الاجتماعية والنفسية فى كثير من مواقف حياتهم الاجتماعية، فى حين يحرص الآباء فى الطبقة الوسطى على الاهتمام بسيكولوجية الأطفال بهدف خلق إرادة قوية لديهم، ورغبة جامحة نحو التعليم، الحب، الثقة فى الآباء، التعاون مع الآخرين، إنكار الذات.

كما يحرص الآباء فى كلا الطبقتين - الدنيا والوسطى - سواء بوعى وقصد أو بدون وعى على نقل خبراتهم المهنية لأطفالهم وتدريبهم عليها. إلا أننا نجد إختلاف جلى بين طريقة كل منهما. ومن ثم يتضح أنه فى أحيان كثيرة غالباً ما تؤكد الخبرة الوظيفية للآباء بالطبقة الوسطى على ضرورة تعليم الأطفال واكتسابهم للخبرات سواء بمفردهم أو عن طريق مشاركة ومساعدة الآخرين، وكذلك ضرورة التفاعل مع غيرهم على أساس (الأخذ والعطاء) متبادل. بينما تؤكد الخبرة الوظيفية للآباء فى الطبقة العاملة على ضرورة الطاعة أو الامتثال الواجب من قبل الأطفال للآباء باعتبارها طاعة من طرف واحد[١].

وفى المستويات الطبقية الدنيا يتلقى الأطفال قيم التوجيه التى تتمثل فى (السلبية)، والتوافق، وضغوط قوية للطاعة والإمتثال. وتختلف واقعية الإنجاز باختلاف النوع «ذكر وأنثى». فغالباً ما تنشأ الأنثى فى كل المستويات الطبقية على أنها أقل

١- انظر د. السيد عبد العاطى السيد وآخرين. علم الاجتماع الأسرى. ص ص ١٣١-١٤٥.

اعتماداً على النفس، وأنها تجد الحماية من والديها وبذلك فعليها الطاعة والامتثال لوالديها.

وينظر أبناء الطبقات الدنيا إلى المطلقة نظرة تحد من قدرها، فهى عندهم كالسلعة المستعملة. أما الأرملة فهى إمرأة قدر لها أن تكرس حياتها لتربى أطفالها وتصون ذكر زوجها، وتختفى هذه النظرة إلى حد كبير بين أبناء الطبقتين الوسطى والعليا الذين يعدون أكثر تحررا فى نظرتهم إلى المرأة بوجه عام، وأشد إيماناً بقدرتها على الاختيار لما هو أفضل بالنسبة لها ولحياتها[١].

١- نفس المرجع. ص ٩٢.

استمارة بحث عن مشكلة الصمت بين أفراد الأسرة

إشراف

دكتور/ حسين عبد الحميد أحمد رشوان

كبير مدرسي علم الاجتماع بدرجة مدير عام

أستاذ/ جامعة الإسكندرية (سابقا)

اسم الطالبة : - الصف :-

المجموعة :-

ضع علامة (صح) أمام الإجابة الصحيحة :-

يرجع الصمت بين أفراد الأسرة (الأب والأم والأبناء) إلى واحد أو أكثر من الأسباب الآتية :-

١- التباعد الفكرى والثقافى بين الأب والأم والأولاد (............)

أذكرى واقعة (............

............................)

٢- الخلاف فى الرأى بين الأم والأم أمام الأولاد (............)

أذكرى واقعة (............

............................)

٣- تجاهل الآباء للأبناء (............)

أذكرى واقعة (............

............................).

٤- دكتاتورية الأب وتسلطه (............)

أذكرى واقعة (............

..............................)

٥- انشغال الأب فى مشاكله الخاصة وكذلك الأم ، والأولاد يفكرون فى دروسهم وليس هناك ما يتناقشون فيه (............)

أذكرى واقعة (............

..............................)

٦- الأب يعمل لساعات طويلة وعند عودته للبيت يكون مرهقاً ويظل صامتاً (............)

٧- تفكك عائلى:

طـــلاق (............)

إنفصال (............)

مشاحنات وخلافات (............)

٨- حضور أفراد الأسرة إلى البيت فى مواعيد متفرقة بما لا يسمح لهم بتبادل الطعام معاً، وكل يأكل بمفرده (............)

٩- التليفزيون شغال أثناء الأكل (............)

المراجع

أولا : المصادر

١- الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء.

ثانيا : المراجع العربية

٢- د. أحمد أبو زيد . البناء الاجتماعي - مدخل لدراسة المجتمع، الجزء الأول - المفهومات الاسكندرية، الدار القومية للطبعة والنشر، ١٩٦٥.

٣- د. أحمد أحمد. الأسرة - تكوين الأسرة - الحقوق والواجبات .د.ن.، د.ت.

٤- د. أحمد حسين عبد الرازق . الوظائف الاسرية وأهم مقوماتها. دمنهور، ١٩٩٩م

٥- د. أحمد زكي بدوي. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. بيروت. مكتبة لبنان، ١٩٧٨.

٦- د. إسماعيل على سعد. الاتجاهات الحديثة في علم الاجتماع . الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣.

٧- السيد سابق. فقه السنة. الجزء الثاني، بيروت، دار الكتاب العربي ١٩٨٧.

٨- د. السيد عبد العاطي السيد وآخرون، الأسرة والمجتمع. الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢.

٩- ——————، دراسات في علم الاجتماع العائلي. الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧.

١٠- ——————، علم اجتماع الأسرة. الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية،١٩٩٩، ٢٠٠٠.

١١- السيد محمد بدوي. مبادئ علم الاجتماع. الاسكندرية. دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى. ١٩٦٨ والطبعة الثانية ١٩٧٦.

١٢- د. أميرة منصور يوسف. المدخل الاجتماعي للسكان والأسرة. الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦.

١٣- د. جعفر عبد الأمير الياسين. أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث. بيروت لبنان، عالم المعرفة، الطبعة الأولى ١٩٨١.

١٤- د. حسن أحمد الخولي وآخرون. علم الاجتماع العائلي. دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١.

١٥- د. حسن الساعاتي. في علم الاجتماعي الجنائي. القاهرة، دار النهضة المصرية، ١٩٥١.

١٦- د. حسن شحاته سعفان. أسس علم الاجتماع. مكتبة الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثانية، ١٩٥٤.

١٧- د. حسن همام. أصول علم الاجتماع. المعهد العالي للخدمة الاجتماعية. دمنهور، ١٩٨٠.

١٨- د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان. المجتمع – دراسة في علم الاجتماع. الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثانية، ١٩٩٣.

١٩- ———————. الطفل – دراسة في علم الاجتماع النفسي. الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٨.

٢٠- ———————. علم الاجتماع وميادينه. الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٠.

٢١- ———————. تطور النظم الاجتماعية وأثرها في الفرد والمجتمع. الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣.

———————. التغير الاجتماعي والتنمية السياسية في المجتمعات النامية – دراسة في علم الاجتماع السياسي، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١.

٢٣- د. حلمي المليجي. علم النفس المعاصر. الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤.

٢٤- د. خيري خليل الجميلي وآخرون. المدخل إلى الممارسة المهنية في مجال الأسرة والطفولة. الإسكندرية، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، ١٩٩٥.

٢٥- ريمون مروية. فلسفة القيم. ترجمة د. عادل العوا. مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠.

٢٦- د. سامية الخشاب، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة. القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٧.

٢٧- د. سامية حسن الساعاتي. الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي، القاهرة، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٨٨.

٢٨- د. سناء الخولي، الأسرة في عالم متغير. الهيئة العامة للكتاب، بيروت، ١٩٧٤.

٢٩- ـــــــــ، الأسرة والحياة العائلية . الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د.ت.

٣٠- ـــــــــ، الزواج والعلاقات الأسرية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الثانية، ١٩٧١، ١٩٨١، ١٩٩٠.

٣١- ـــــــــ، الأسرة والمجتمع. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢.

٣٢- د. سيد محمد غنيم، سيكلوجية الشخصية. محدداتها، قياسها، نظرياتها، القاهرة ، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٧٣.

٣٣- د. طه أبو الخير ود. منير العصرة. انحراف الأحداث في التشريع العربي والمقارن، الاسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٦١.

٣٤- د. عاطف وصفي. الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٦٧.

٣٥- د. عباس محمود عوض. في علم النفس الاجتماعي. الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٠.

٣٦- د. عباس محمود عوض. الأبعاد السياسية للمشكلات النفسية والاجتماعية للأسرة في المجتمع. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨.

٣٧- د. عبد الحميد لطفي. علم الاجتماع. القاهرة، مطبعة دار اليزابيث، ١٩٨٧.

٣٨- د. عبد الخالق محمد عفيفي، الأسرة والطفولة - النظرية والتطبيق. القاهرة ، مكتبة عين شمس، د.ت.

٣٩- د. عصام الدين حواس. ثورة الأخلاق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٧.

٤٠- د. عبد الله الخريجي، علم الاجتماعي العائلي. القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٨١.

٤١- د. عبد المنعم البيه. نظرية القيمة. مكتبة الانجلون، ١٩٥٢.

٤٢- د. عبد الهادي الجوهري. أسس علم الاجتماع، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٣، ٢٠٠٠.

٤٣- د. عبد الهادي الجوهري. أصول علم الاجتماعي. د.ن. ١٩٩٨.

٤٤- د. عبد الهادي محمد والي، الاجتماعي العائلي - دراسة في اجتماعيات الأسرة، د.ن. ١٩٩٩، ٢٠٠٠.

٤٥- د. علياء شكري وأخرون. قراءات في الأسرة ومشكلاتها في المجتمع المعاصر. القاهرة، دار الثقافة والطباعة والنشر، ١٩٧٤.

٤٦- د. علياء شكري. ألاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة. الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧.

٤٧- د. علياء شكري وأخرون. الحياة اليومية لفقراء المدينة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥.

٤٨- د. علي عبد الرازق جلبي وأخرون. أسس علم الاجتماع، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية. ١٩٩٩.

٤٩- د. علي عبد الرازق جلبي وأخرون. علم الاجتماع. دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨.

٥٠- علي عبد الواحد وافي. الأسرة والمجتمع. القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٦.

٥١- د. عماد حمدي داوود.أحمد حسين عبد الرازق. الأسرة والطفولة من منظور الخدمة الاجتماعية. د.ن، ١٩٩٩.

٥٢- د. غريب سيد أحمد وأخرون. البحث الإجتماعي. الجزء الأول. المنهج القياسي. دار الكتب الجامعية، ١٩٧٤.

٥٣- د. غريب سيد أحمد. علم الاجتماع ودراسة المجتمع.الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠.

٥٤- د. غريب سيد أحمد وأخرون. دراسات في علم الاجتماع العائلي. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦.

٥٥- د. غريب سيد أحمد وأخرون، علم اجتماع الأسرة. الاسكندرية. دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠١.

٥٦- د. فوزية دياب. القيم والعادات الاجتماعية. القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٦.

٥٧- د. كمال الدسوقي. الاجتماع ودراسة المجتمع. القاهرة، مكتبة الأنجلو-المصرية، ١٩٧١.

٥٨- لويس كامل مليكه. سيكولوجية الجماعات والقيادة. الجزء الأول، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩.

٥٩- د. محمد أحمد بيومي. أسس وموضوعات علم الاجتماع، الاسكندرية، د.ت.

٦٠- د. محمد أحمد غنيم. دراسة في الانثروبولوجيا الحضرية. الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧.

٦١- د. محمد الجوهري وأخرون. ميادين علم الاجتماع. دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٢.

٦٢- د. محمد الجوهري وأخرون، الطفل والتنشئة الاجتماعية، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤.

٦٣- د. محمد الجوهري وأخرون، دراسات في علم الاجتماع. الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠.

٦٤- د. محمد سعيد فرح. البناء الاجتماعي والشخصية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠.

٦٥- د. محمد سعيد فرح. الطفولة والثقافة، الاسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٩٣.

٦٦- د. محمد عاطف غيث. دراسات فى المشاكل الاجتماعية. دار الكتب الجامعية، ١٩٧٧.

٦٧- د. محمد عاطف غيث، دراسات فى علم الاجتماع القروى. الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١.

٦٨- د. محمد عاطف غيث، علم الاجتماع ، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥.

٦٩- د. محمد عاطف غيث، ود. إسماعيل على سعد. المشكلات الاجتماعية-دراسات نظرية وتطبيقية، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠.

٧٠- د. محمد عاطف غيث وآخرون. المرجع فى مصطلحات العلوم الاجتماعية، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥.

٧١- د. محمد عبد المنعم نور. المجتمع الإنسانى، مكتبة القاهرة الحديثة، د.ت.

٧٢- د. محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون. قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية. مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢.

٧٣- د. محمد غلاب. حياتنا الاجتماعية ومشكلاتها العظمى، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٢.

٧٤- د. محمد فؤاد حجازى. الأسرة والتصنيع. القاهرة. مكتبة وهبة، ط١، ١٩٧٢.

٧٥- د. محمد محمد الزلبانى. القيم الاجتماعية مدخل للدراسات الانثرولوجية الاجتماعية. الكتاب الأول، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٣.

٧٦- د. محمد مصطفى أحمد. الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والطفولة. الإسكندرية، مكتبة سامى، ١٩٩٢.

٧٧- د. محمد مهدى عصر ود. ماجدة أحمد القاضى. محاضرات فى التنمية. الجزء الأول، مبادئ علم الاجتماع ١٩٨٤.

٧٨- د. محمد نبيل جامع. المفتتح فى علم الاجتماع. الاسكندرية. دار المطبوعات الجديدة، د.ت.

٧٩- د. محمود فتحي عكاشة، علم النفس الاجتماعي. دمنهور. مطبعة الجمهورية، ١٩٩٥.

٨٠- د. محمود فتحي عكاشة وآخرون. دراسات في الأسرة والمجتمع والبيئة. الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨.

٨١- د. مصطفى الخشاب. دراسات في الاجتماع العائلي. القاهرة، لجنة البيان العربي، ١٩٥٧.

٨٢- د. مصطفى الخشاب. علم الاجتماع ومدارسه. تاريخ الفكر الاجتماعي وتطوره. القاهرة مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٨.

٨٣- د. مصطفى الخشاب. علم الاجتماع العائلي . القاهرة، لجنة البيان العربي، ١٩٦٦.

٨٤- د. يسرى سعيد. حول رعاية الأسرة والطفولة. مكتبة النصر، جامعة القاهرة، ١٩٩٣.

ثالثا : الجرائد

٨٥- جريدة العروبة. العدد ٣٢٩، بتاريخ ٢٧/١٠/١٩٩٩.

رابعاً : المراجع الأجنبية (مترجمة)

٨٦- أوسيوف/ ج. قضايا علم الاجتماع. ترجمة د. سمير أحمد نعيم. دار المعارف المصرية، ١٩٧٠.

٨٧- دور كايم/ إميل. قواعد المنهج في علم الاجتماع. ترجمة د. محمود قاسم. مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٠.

٨٨- دور كايم/ إميل. اجتماع وفلسفة. ترجمة حسن أنيس . الأنجلو المصرية ١٩٦٦.

٨٩- مونييه/ رينيه. المدخل في علم الاجتماع. ترجمة د. السيد محمد بدوي. الاسكندرية، دار نشر الثقافة، ١٩٥٣.

خامسا : المراجع الأجنبية

90- Bahr, Stephen, Family Interaction, Mcmillan, Publishing Company. New York, 1989.

91- Beals, Ralph L. & Haijer, Harry, An Introduction to Anthropology, Fourth Edition, The Macmillan Company, New York, 2nd Printing, 1972.

92- Broom, L. & Selznick, Sociology, Harper Row, New York, 1968.

93- Burt.· Cyril, The Young Deliquent, 4th ed., London University of London Press, 1961.

94- Court, Catherine, Basic Concept of Sociology, Checkmate Arnold, Britain, 1987.

95- Davies, Morton, R. & Levis, Vaughan, Social Mobility and Political Change, George Allen K. Unwin,L.T.D. London, 1973.

96- Dewey, J.H., Human Nature and Conduct, Henry Holt, New York, 1922.

97- Dexter, N.C. & Rayner, E.G., Guide to contemporary politics,.Pergaman press, London, 1966.

98- Durkheim, Emile, Les Régles de la methode Sociologique, Presses universitaires de France, 1973.

99- Elder, Glen H., & Bowerman, Charles, E., Family structure and Child, Rearin Patters, The Effected of family size and sex composition, Amercan Sociological Review 28, December. 1968.

100- Emory & Bogardos, Sociology, Third Edition, New York, The MacMillan Company, 1950.

101- Eschleman, Ross & Hunt, Chester L., Social Class Factors in College Adjustment of Married Students, Kalamajo Western Michigan University, 1965.

102- Farmer, Mary, The family, New York, Longman Group Limited, Second Edition, 1979.

103- Fichter, J. Sociology, The University of Chicago Press, 1966.

104- Form, W. H. & Miller, D.C., Industry, Labour and Community, New York, Harper, 1960.

105- Good, W.G. The Family, Englewood Clives, Prentice Hull, 1964.

106- Healy, William & Brenner, Augustaf New Light on Deliquency and Its Treatment; New Haven, Yale University Press, 1950.

107- Hertzler, J.O., Social Institutions, Lincoln University of Nebrasha. Press. 1946.

108- La Palombara, Joseph, (Ed.), Bureaucracy and Political Development' 2 Binceton, New Jersey, 1967.

109- Lofthouse, W.F., The Family and the sate , Edger & Barton, London. 1st Published 1944.

110- Miller, D.C., & Form W. Industrial Sociology, New York, Harper, 1954.

111- Morgan, D.H., Social Theory and the Family, Routhedge & Kegan Paul. London, 1972.

112- Mosca, Gaetano, The Ruling Class. Translated by Kahn, Hanneh, MacGraw HillBook Company. Inc., New York, London Copyright. 1939.

113- Mukhina, Voleriya, Growing Up Human, Mosco, Progress Publishing, 1984.

114- Nimkoff, M.E., Comparative System, Boston Houghton, Mifflin Company, 1955.

115- Nisbet, Robert, Social Change, Harper Toreh Books, Harper & Row Publisher, New York, 1972.

116- Olson M. E. The Process of Social Organization. Holt Rirenart, New York, 1960.

117- Roke, A. M., The Nature Human Values, The Free Press, 1973.

118- Smith, Rebecca M. & Apicelli, Mary, L., Family Matters, Glencoe Publishing Company. California, 1982.

119- Westermarck, Edward, The History of Human Marriage, London, 1921.

120- Wilensky & Lebau, Industrial Society and Society and Social Welfare, Russel Sage Foundation, N. Y. 1958.

121- Wray, Joe, Population Pressures on Families, Family Size and Child Spacing Report on population Family Planning, N. Y., The population Council, 1971.

122- Wright, F.J., The Elementary of Sociology, An Introduction to Social and Political Science University of London Press, L.T.D., 1942.

123- Zollschan, George K. & Hirsch, Walter (ED.), Exploration in Social Change, Routledge & Kegan Paul, London, 1964.

للمؤلف

١- الاستعمار فى القرن العشرين. الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.

٢- الإدعاءات الصهيونية والرد عليها، الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٧٥.

٣- المدينة - دراسة فى علم الاجتماع الحضرى. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الخامسة، ١٩٨٩.

٤- دور المتغيرات الاجتماعية فى التنمية الحضرية - دراسات فى علم الاجتماع الحضرى، الإسكندرية المكتب الجامعى الحديث، ١٩٨٨.

٥- بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور/ عبد الهادى الجوهرى. دراسات فى علم الاجتماع الحضرى. د.ن. ١٩٩٤.

٦- بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور/ عبد الهادى الجوهرى، علم الاجتماع الحضرى - مفاهيم وقضايا . دار الشروق، جامعة القاهرة، ١٩٩٧.

٧- مشكلات المدينة - دراسة فى علم الاجتماع الحضرى. المكتب العربى الحديث، الطبعة الثالثة، الإسكندرية، ٢٠٠١.

٨- بالإشتراك مع الاستاذ الدكتور/ عبد الهادى الجوهرى، دراسات فى علم الاجتماع الحضرى - (مشكلات المدينة). المكتبة الجامعية ٢٠٠١.

٩- المجتمع والتصنيع - دراسة فى علم الاجتماع الصناعى الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ١٩٩٥.

١٠- الاقتصاد والمجتمع - دراسة فى علم الاجتماع الاقتصادى. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ٢٠٠٢.

١١- تطور النظم الاجتماعية وأثرها فى الفرد والمجتمع، الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣.

١٢- الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع، الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١.

١٣- التغير الاجتماعى والتنمية السياسية فى المجتمعات النامية - دراسة فى علم الاجتماع السياسى. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١.

١٤- علم الاجتماع وميادينه. المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٠

١٥- ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمي. المكتب العلمي الحديث، الاسكندرية، الطبعة الثامنة ، ٢٠٠١.

١٦- المجتمع - دراسة في علم الاجتماع. الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣.

١٧- العلم والبحث العلمي - دراسة في مناهج العلوم، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة السادسة، ١٩٩٦.

١٨- أصول البحث العلمي. مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ٢٠٠٣م.

١٩-في مناهج العلوم. الاسكندرية. مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٣.

٢٠- الجريمة - دراسة في علم الاجتماع الجنائي، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٥.

٢١- التطرف والإرهاب من منظور علم الاجتماع. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، الطبعة الثانية، ٢٠٠١.

٢٢- مشاكل وقضايا معاصرة. الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٧.

٢٣- أضواء على الحياة الاجتماعية. الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٩.

٢٤- سلوكيات، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠١.

٢٥- العلاقات العامة والإعلام من منظور علم الاجتماع. الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٣.

٢٦- العلاقات الإنسانية في مجالات: علم النفس، علم الاجتماع، علم الإدارة . الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٧.

٢٧- العلاقات الاجتماعية في القوات المسلحة - دراسة في علم الاجتماع العسكري، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٧.

٢٨- الطفل - دراسة في علم الاجتماع النفسي، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٠.

٢٩- علم اجتماع المرأة. الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٨.

٣٠- علم الإجتماع الأخلاقى. المكتب العربى الحديث . اسكندرية، الطبعة الثانية، ٢٠٠١.

٣١- الأسس النفسية والاجتماعية للإبتكار. دراسة فى علم الاجتماع النفسى. الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ٢٠٠٠.

٣٢- الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ١٩٩٣.

٣٣- دور المتغيرات الاجتماعية فى الطب والأمراض - دراسة فى علم الاجتماع الطبى. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثانية ١٩٩٩.

٣٤- علم الاجتماع الطبى لشعب التمريض بالمعاهد الفنية الصحية. وزارة الصحة بالإشتراك مع منظمة الصحة العالمية، القاهرة، ١٩٩٧.

٣٥- الانثروبولوجيا فى المجال النظرى. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثانية ١٩٩٧.

٣٦- الأنثروبولوجيا فى المجال التطبيقى. الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث، ١٩٨٩.

٣٧- بالإشتراك مع الإستاذ الدكتور/ عبد الهادى الجوهرى. دراسات فى الانثروبولوجيا. الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٢.

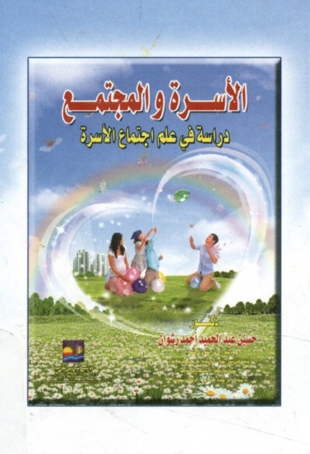
٣٨- السكان من منظور علم الاجتماع. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ٢٠٠١.

٣٩- التربية والمجتمع - دراسة فى علم اجتماع التربية. الإسكندرية، المكتب العربى الحديث، ٢٠٠٢.

٤٠- علم الاجتماع الريفى. الاسكندرية، المكتب العربى الحديث، ٢٠٠٣.

٤١- مشاهد من الحياة جارى تاليفه.

تم بحمد الله وتوفيقه


الأسـرة و المجتمـع
دراسة في علم اجتماع الأسرة
دكتور
حسين عبد الحميد أحمد رشوان


Bibliotheca Alexandrina
12122790